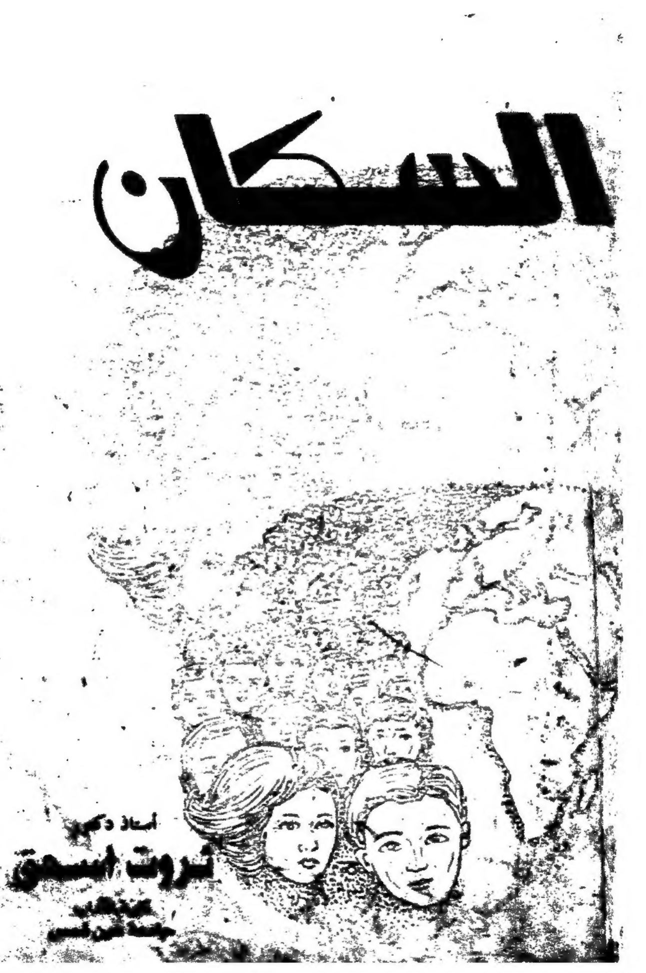

السكان
أستاذ دكتور
ثروت إسحق
جامعة عين شمس

السكان


أ.د. ثروت اسحق
أستاذ علم الاجتماع
كلية الآداب
جامعة عين شمس
٢٠٠٢

إهـــداء

إلى أفراد أسرتي الصغيرة

وطلابي الأعزاء

الذين أجد في عذوبة ابتسامتهم

المعنى الحقيقي للحياة

ثـروت اسـحق

" أن اليد إلي كانت تعطي مازالت تفيض خيرا على البشر "

نبيل

مقدمـــــــه

شكرا لله على عطاياه التي لا يعبر عنها فقد آزرني في أنجاز هذا المؤلف في علـم السكان في مطلع الألفية الثالثة وتعد هذه الطبعة - وهى الطبعة العاشرة - ثمــــره من ثمار التواصل بيني وبين طلابي الذين اعتز بمرور الوقت وبحواراتهم الدائمـــة معي كما أن هذا المؤلف يجسد العلاقة الجدلية بين علم الاجتماع - الـذي يـدرس العلاقات الاجتماعية والظواهر الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي - وبيــن الظواهـر السكانية سواء في مجتمعنا القومي (خاصة) أو العالم العربي والمجتمع العـالمي (بصفة عامة) .

وغير خاف أن النهج الذي استنه المؤلف يقوم على اعتبـــار أن دراســة الظواهر السكانية كالخصوبة والهجرة والخصائص السكانية لابد أن تتم من خـــلال السياق الاجتماعي الذي يضمها فمن العبث أن تتحول الدراسة السكانية الإنســانية إلى مجموعة من الأرقام والأشكال يتم المقارنة بينها للخروج بنتائج جزئية نعجــز عن تفسيرها فـــي ضـــوء الأوضـــاع الاجتماعيــــة والاقتصاديـــة والثقافيـــة والايديولوجيه المحيطــــة .

ومن الملفت للنظر في الوقت نفسه أن بعض الخبراء قـــد اتجــهوا إلـــى تفسير الظواهر السكانية في ضوء محددات جزئية ديموجرافيـــة أو اقتصاديـــة أو

جغرافية أو ايديولوجيه دون أن يضعوا في اعتبارهم الرؤية الشمولية للظواهر السكانية بما يوفر افضل فهم لها دون تحيز أو انغلاق ، كما حاول البعض حصر السياسات السكانية في إطار المالتسية الجديدة التي ترى أن الحل الأوحد للمشاكل السكانية في عالم اليوم يتمثل في تحديد حجم السكان في العالم الثالث بالاستعانة بوسائل تنظيم الأسرة للوصول للمعدلات المعروفة في نصف الكره الغربي ، وهم يغضون البصر عن الوجه الأخر للقضية والمتمثل في دفع عجله التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الدول النامية للاستفادة من الطاقات المادية والبشرية .

وقد أوضحت المؤتمرات السكانية منذ بوخارست حتى المؤتمر الدولي للسكان بالقاهرة سنه ١٩٩٤ انه من العبث أن تتبادل الدول النامية والدول المتقدمة صناعيا الاتهامات إذ تنسب الأولى للثانية أنها السبب الرئيسي فيما تعانيه من مشكلات اقتصادية واجتماعية بينما تلقى ألا خيره بالكره في ملعب دول العالم الثالث المتسببة في الانفجار السكاني " السرطاني " من وجهه نظرها حيث تستحوذ الهند والصين وحدهما على اكثر من ثلث سكان العالم حاليا ، وبينما تطرفت الدول المتقدمة صناعيا في استخدام وسائل تنظيم ألا سره تطرفت الدول النامية في زيادة حجم السكان فيها .

وقد جاء الفصل الأول في الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان دراسة الظواهر السكانية ، وجاء الفصل الثاني بعنوان نمو السكان في العالم .

كما تناول الفصل الثالث ظاهره الخصوبة والمجتمع ، والرابع الخصائص الطبيعية والاجتماعية للسكان .

وكان لابد من الوقوف عند الملامح الاجتماعية والديموجرافية في الوطن العربي في الفصل الخامس ثم الانتقال إلى مصر لدراسة المؤشرات الديموجرافية فضلا عن معطيات المؤتمر الدولي للسكان ، والذي يعد ملمحا هاما لمناقشة الظواهر السكانية من خلال استضافة مصر لخبراء السكان في العالم الذين عقدوا مؤتمرهم الأخير مع نهاية الألفية الثانية في العاصمة المصرية بحضور باقة من رؤساء الدول والمنظمات الدولية .

وكان لابد أن نتناول النظرية السكانية ونظرية التحول الديموجرافى في الفصل السابع بينما جاء الفصل الثامن ليناقش ظاهره الهجرة ، والتاسع لمناقشة قضية تنظيم الأسرة .

ولما كان من المتعذر أن ننهى فصول المؤلف قبل عرض فلسفة السياسات السكانية في عالم اليوم واستعراض العلاقة بين السكان والتنمية فقد تكفل الفصل العاشر بمناقشة القضية الأولى بينما استأثر الفصل الأخير بمناقشة العلاقة بين السكان والتنمية البشرية ليوضح أن فهم هذه العلاقة هو المدخل الحقيقي لتفعيل دور السكان في التنمية .

أرجو من الله أن يفيد جمهور طلابي من هذا المؤلف لفهم الظواهر السكانية ودراستها في ضوء أطر علم الاجتماع ونظرياته .

والله الموفق ،،،

أ.د. ثروت اسحق

القاهرة

أبريل ٢٠٠٢

الفصل الأول

دراسة الظواهر السكانية

أولا : لماذا ندرس الظواهر السكانية :

الظواهر السكانية ظواهر اجتماعية حيث يعني مصطلح السكان ان هنـــاك جماعه من الأفراد – من نوع واحد – يسكنون في إقليم ، ولهم بنـــاء وتنظيـــم معين ، ويؤكدون وجودهم من خلال علاقاتهم ببعضهم البعض وعلاقاتهم بغـــيرهم من الناس ،

أما الاختلاف بين البشر فيعود بدوره الى اختلاف صـــور التوافـق مـع الظروف البيئية المحيطة ،

فالسكان على حد تعبير سيسيلابوك Sissela Bok لا ينفصلـون عـن المكان سواء كان المجتمع باسره ام مدينه او منطقة بعينها (١)،

وتعد الظواهر السكانية على هذا النحو ظواهر اجتماعية تحدث بين الناس في المجتمع ، وينطلق علم الاجتماع من بديهية مؤداها ان الســكان بخصائصـهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتوزيعهم ونموهم تحددها عوامل مختلفة تتصـل بالبيئة بمعناها الشامل وبناء المجتمع وانساقه وثقافته كما ان السكان بدورهم هـم العنصر الفاعل في المجتمع وتشكيل نظمه وثقافته فالعلاقة بين الســكان والبيئـة الطبيعية والاجتماعية علاقة تفاعليه ديناميه منذ وجد الانسان على ســطح الارض والى قيام الساعة ،

وقد بدأ هال هلمان مؤلفة الكلاسيكي عن مشكلة تضخم السكان بهذا السؤال المحوري ثم استطرد مرة اخرى حقا ايه اهمية لطفل وليد ؟ واجاب انه بالنسبة الى الاسرة فم جديد عليها اطعامه وشخص جدير بأن يحب ، وهو بالنسبة لشركه المياه والمدرسه والمستشفى اضافة جديده للرقم القائم بالفعل واذا كان من واجب الدولة – اى دوله – في ضوء هذه الارقام ان تنظر الى مشروعاتها في الحاضر والمستقبل في ضوء هذه الارقام ودلالاتها فان علم الاجتماع وحده هو الذى يهتم بتتبع العلاقة بين الظواهر السكانية والتنظيم الاجتماعى في ضوء السياق الاجتماعى والتاريخى الذى يضمها كما يهتم بالخصائص السكانية باعتبارها الاطار الذى يعطى للظواهر السكانية شكلها وتنظيمها .

ويزداد اهتمام رجل الدين والسياسى وعالم الاقتصاد والتاجر وغيرهم بالقضايا السكانية كما ان لكل منهم زاوية محدده ينظر للظاهره من خلالها غير ان الرؤية الاجتماعية للظواهر السكانية تتبنى نظره شمولية تربط السكان بمجمل البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع في ضوء الحقبة التاريخية التى توجد فيها كما ان العلم الاجتماعي في مجال دراسة الظواهر السكانية لم يعد يقتنع بالوصف فحسب بل انه يتعدى ذلك الى مستوى التنبؤ – على المستوى القصير والطويل – ويستعرض هلمان احتمالات النمو السكانى في المستقبل ويضع ٣ سناريوهات للنمو العالمى ، ويقدم لكل سناريو العوامل التى تقف وراء هذا الاحتمال او ذلك النموذج الأول يضع في تقديره اطراد ارتفاع معدل النمو عن معدل النمو المعتاد وهو ٢% اما الثانى فيضع في الحسبان الاقتراب من درجة الصفر في النمو السكاني حيث يكبح العالم جماح نموه وتكاثره .

اما النموذج الثالث فيضع في اعتباره ان سلسله من النكبـــات ستحدث عندما يصل حجم سكان العالم الى نحو ٦ ملايين وسينتشأ اذ ذاك اجماع عام على عدم ازدياد السكان نتيجه لهذه النكبات * .

والواقع ان دراسه السكان تكشف لنا عن ان عـالم اليـوم ينقسـم الـى مجموعه البلدان المتقدمه (غرب اوربا والولايات المتحدة وكندا وبعـض بلـدان اسيا) ثم مجموعه البلدان النامية (التى تضـم العديـد مـن الـدول الافريقيـة والاسيوية ودول امريكا الجنوبية والوسطى) والمقارنه بيـن الـدول المتقدمـه والمتخلفة صناعيا تكشف عـن حقـائق هامـه تتعلـق بالاوضـاع الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية في هذه البلدان بل ان الامـر الاشـد خطـوره ان الثقـل السكاني في عالم اليوم يتركز في الدول الاشد فقرا ، وفى مؤتمر بوخارست سنه ١٩٧٤ اتهمت الدول الغنية جارتها الفقيره بانها السبب في الانفجار السكاني الذى يهدد العالم باسره ، وهى الحقيقه نفسها التى اكدها روجير ريفيـل R. Reveile الذى كان يشغر مدير مركز هارفارد للدراسات السكانية – حين ذكر في السبعينيات لن ينتهى هذا القرن حتى يكون قد ولد اكثر من ثلاثة بلايين من الاطفال يتحتـم ايجاد غذاء ومأوى وتعليم لهم ومعظم هؤلاء ينتمون للدول النامية وحدها "

والامر الملفت للنظر في الوصول الى هذه المقارنات ما ذكره العديد مـن علماء السكان من حيث ان الدول الاقل نمواً تشترك في الكثـير مـن الخصـائص الاجتماعية فالى جانب الفقر يزداد معدل الامية وتخلف القطاع الصناعى واستخدام التكنولوجيا البسيطه ونقص الخدمات وبخاصة الخدمات الصحية وقد اثـرت هـذه جميعا على الخصائص الديموجرافية في العالم الثالث (٣) .

---

* كان ذلك في مطلع السبعينيات .

ان الحقيقه التى تؤكد اهمية دراسة الظواهر السكانية تتمثل كذلـــك فـــي الاهتمام المتزايد بالربط بين التنمية البشرية والسكان اذ ان دليل التنمية البشـــرية يتضمن ٣ مكونات رئيسيه وهى طول العمر او ما نطلق عليه توقع الحيـــاه عنـــد الميلاد والمعرفة او مستوى التعليم السائد ومستوى المعيشه والمتمثل في القـــوه الشرائية المعادله للدخل (بالدولار الامريكى) ٠

وفى السنوات السابقه حددت القيمة الدنيا لكل متغـــير مـــن المتغـيرات المتضمنه عند مستواها في الدولة ذات الاداء الاقل ، وحددت القيمة القصوى لتلك المتغيرات عند مستواها في الدولة " الاقل اداء " غير ان برنامج الامـــم المتحـده الانمائى لعام ١٩٩٤ قد استحدث تطويراً رئيسياً في منهج بنـــاء دليـــل التنميـــة البشرية حينما تم تثبيت الحدود الدنيا والقصوى لكل مؤشر وظلت القيـــم الدنيـــا والقصوى للمتغيرات الاساسية كما هى في التقارير التالية مع استثناء واحد حيـث خفضت القيمة الدنيا لمتوسط نصيب الفرد من الناتج الاجمالى الحقيقـــى للقـــوه الشرائية المعادله بالدولار الى ١٠٠ دولار امريكى في تقرير سنه ١٩٩٥ بدلا من ٢٠٠ دولار في تقرير ١٩٩٤ ، وقدر متوسط العمر بين ٢٥ سنه كقيمة دنيـــا" و ٨٥ سنه " كقيمة قصوى " بينما قدر معدل الالمام بالقراء والكتابـــه بيـــن صفـــر و ١٠٠ والقيد الاجمالى بالتعليم الاساسى والثانوى والعالى بين صفر و ١٠٠ كذلك وتعد التعدادات السكانية والتسجيل الحيوى والمسوح القومية اهم مصادر البيانـات السكانية كما تسخدم المؤشرات السكانية في مجالات التعليـــم والصحـــة والمهنـــة والدخل وغيرها ضرورية لنقص العلاقة بين الظواهر السكانية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية في جوانبها المختلفة (٤) ٠

وتعد الاحصاءات الحيوية المرتبطه بالمواليد والوفيات والزواج والطلاق في الريف والحضر والمناطق الصحراوية من الجوانب الهامة لابراز الفروق الريفية الحضرية والصحراوية بل ان المقارنة بين بيانات قوه العمل والبطاله والنشاط الاقتصادى واوضاع العمال تعد على اكبر درجة من الاهمية للدلاله على المستوى الاجتماعى الاقتصادى على مستوى المجتمع القومى او المجتمعات المحلية والمناطق والاحياء المختلفة .

وتكشف البيانات المتعلقة بمعدلات الاطفال (اقل من ١٥ سنه) عن حقائق هامة وكذلك معدلات كبار السن في المجتمع فمن المعروف ان هذا الشرائح تعتمد في معاشها على غيرها Dependents ومن المعروف ان نسب الاطفال تزداد في الدول النامية كما تزداد في القرى والاحياء المختلفة Slum areas داخل المناطق الحضرية نفسها ومن الواضح ان نسبة الاطفال اقل من ١٥ سنه تتراوح بين ٢٠% فأقل في الدول المتقدمه صناعياً بينما تزيد عن ٤٠% من اجمالى السكان في دول العالم الثالث وذلك على عكس فئة كبار السن التى قد تقل نسبتها عن ١٠% في الدول النامية بينما ترتفع عن ٢٥% في الدول المتقدمه صناعيا . وهكذا ترتفع نسبة الاعاله Dependency في الدول الفقيره حيث تبلغ ٥٠% تقريبا من مجموع السكان بينما تقل هذه النسبة في الدول المتقدمه صناعيا .

وتكشف دراسة توزيع السكان حسب النوع عن حقائق اجتماعية بالغة الاهمية تتعلق بالحالة الزواجيه وارتفاع او انخفاض المبالغ المقدمة نظير الهدايا "والشبكة " وغيرها من المتعلقات المادية وتعليم واشتغال الانثى والمكانة الاجتماعية التى تحتلها في المجتمع والنمط السائد للزواج الذى يتضح في الثقافة

السائده في المجتمع سواء كـــان النمـــط المعـــروف باســـم الـــزواج الداخلـــى Endogamy او الزواج الخارجى Exo gamy .

وبالامكان دراسة الظواهر الثقافية الاخرى كتعدد الزوجات والطلاق فـــي ضوء النسبة القائمة بين الذكور والاناث .

وهكذا يتضح لنا بجلاء اهمية دراسة الظواهر السكانية في المجتمع اذ ان حجم الطلاب في المراحل التعليميـــة المختلفـــة يحـــدد مـــدى الحاجـــة للفصـــول والمدرجات والمعامل والادوات اللازمة لاداء المهمة التعليمية .

كما ان اعداد المرضى فـــي الحـــى او المنطقـــة يحـــدد مـــدى الحاجـــة لمستشفيات بعينها والمعدات اللازم توفرها بها . وحجم الجرائم كذلك يحدد عـــدد ونوع المؤسسات العقابية .

وحجم السكان في منطقه ما واماكن العمل تحدد نوعيه المواصلات الـــلازم توفيرها وطرق سيرها .

واعداد الشباب في مجتمع تحدد انواع المؤسسات الترفيهيـــة والثقافيـــة وحجم المساكن المطلوب توفيرها وهكذا .

وتفصح السياسة الاجتماعية لاى مجتمع عن مدى الوفـــاء بالمتطلبـــات المختلفة من حيث طبيعة المؤسسات الاجتماعية والانتاجية اللازم توفيرها ويدخـــل في هذا المضمار اعداد المهاجرين للداخل او الخارج ، والضوابـــط التـــى يمكـــن وضعها لتحديد وتوجيه تيارات الهجرة في ضوء ما يعرف بعوامل الطـــرد push Factors وعوامل الجذب السكاني pull factors .

ويؤكد خبراء التنمية على محورية الظاهره السكانية فقد تأكد في السنوات الاخيرة اهمية العمق الانسانى في مجال التنمية والتى تعد التنمية البشرية صياغة فعلية لها تضع حاجات الناس وتطلعاتهم في قلم عمليه التنمية . فالناس هم الشغل الشاغل للمنمى بدلا من النظره الكلاسيكية التى كانت تعول في الاساس على بعض الجوانب الاقتصادية كسبل الانتاج ، واسعار صرف العملات المختلفة ، واسعار الفائدة ، واسواق الاوراق المالية ، ونمط التجاره السائد وتعكس هذه النظره الراديكالية الوعى المتزايد بمراعاة البعد الانسانى اذ ان الانسان هو هدف التنمية ووسيلتها الفعاله (٥) .

ثانيا : الاطر النظرية واساليب دراسة الظواهر السكانية :

من اقدم الاساليب لدراسة الظواهر السكانية :

الاسلوب الاحصائى : فقد اتبعه سنكلير Sinclair في كتابه الذى اطلق عليه " وصف احصائى لاسكتلندا Statistical Account of Scotland ، وكذلك كوندرسيه Condercet في مؤلفه عن الرياضيات الاحصائية وكيتيليه في دراسته عن الفزياء الاجتماعية .

ومن الدراسات الشهيرة التى اتبعت هذا النهج دراسة فردريك لبلاى F. Leplay بعنوان " العمال الاوربيون " سنه ١٨٥٥ ودراسته عن تنظيم الاسرة سنه ١٨٧١ .

وغنى عن القول ان الدراسة التى قام بها رائد علم الاجتماع اميل دور كايم E.Dur Kheim عن ظاهره الانتحار Suicide تعد من امتع الدراسات التى استخدمت الاحصاءات الاجتماعية في دراسة الانتحار وتفسير الدوافع التى تقف

وراء هذه الظاهرة ، وقد استوجب هذا دراسه معدلات الانتحار في ضوء علاقتها بالحالة الزواجيه والمهنة والولاء الديني اذ ان هذه المعدلات تعكس ايضا درجة التماسك – او عدم التماسك – في مختلف انماط الجماعات (٦) ٠

كما يعتبر " ادولف كوست A. Coste ممن اتبعوا هذا الاسلوب ، ومن ابرز اعماله اسس علم الاجتماع الموضوعي سنه ١٨٩٩ Principles of objective Sociology ، وتتمثل الفكره المحورية عند كوست في ان كثافة السكان هى العامل المحدد لتطور المجتمع ويتمثل هذا التطور في المقاطعة Borough فالمدينة City فالمدينة الكبرى Metropolitan والعاصمة Capital ثم عاصمة الاتحاد الفدرالى ٠

وينبغى الإشارة الى ان اتباع الاسلوب الاحصائى في دراسة الظواهر السكانية لم يجد استحسانا في بادئ الامر بل ان الامر بلغ بعالم الاجتماع اوجست كونت ان عارض فكره استخدام الاحصاء رغم انه درس الرياضيات في مطلع حياته ، وقد استخدم مصطلح علم الاجتماع حتى يبتعد عن الاسلوب الاحصائى الذى قدمه كيتيليه والتى رآها كونت كاوضح دليل على العجز والقصور العلمى (٧) ٠

ويعد هذا الاتجاه محورا هاما لدراسة السكان ولذا فان فيليب هاوسر في مقاله عن الوضع الحالى والمأمول للدراسات السكانية يذكر ان مناهج البحث في الظواهر السكانية كمية اساسا Primarily Quantitaive ولا ينفى هذا انها لا تستغنى عن الاساليب الكيفية ولذلك فان عالم السكان يستطيع ان يتنبأ باحتمالات

النمو السكاني ومعدلات الهجره والمواليد والوفيات والزواج والطلاق في المستقبل ويضـــع عده سيناريوهـــــات محتمله كما يبرر " السيناريو السكاني " الأرجح – بترجيحات موضوعية – وقد تبلور الأسلوب الإحصائي ليشكل مـــا يعـــرف بالديموجرافيا .

ويستخدم مفهوم الديموجرافيا Demography للاشـــارة الـــى الدراســـة الاحصائية للسكان وهذا المصطلح مكون من اصليين يونـــانيين Demos بمعنـــى ناس او سكان و Graphien بمعنى كتابة وهكذا يعني المصطلـــح الكتابـــة عـــن الناس ويستخدم الديموجرافى القياس الإحصائي للسكان في دراســـاته للظواهـــر السكانية .

فالكاتب الفرنسى جيرالد يذكر في كتابه بعنوان :

" Elements de statipue humaine ou demographie Comparee " عـــام ١٨٥٥ ان الديموجرافيا هى التعريف الرياضى للسكان ، وممـــا لا شـــك فيـــه ان الديموجرافيا تتضمن الاحصاءات السكانية واساليب الاستقصاء الكمى للتعـــدادات ودلالاتها الكمية ولذلك فان فالنتى Valentey يعتقد انـــها الاساســـى الحقيقـــى للدراسه السكانية وعلى حد تفسيره :

" Demography is the core of nucleus of the whole system of science Concerned with population " (٨).

وتعد المحاولة التى قام بها جون جراونت بعنوان " ملاحظات على قوائـــم الموتى " في انجلترا أحد الدراسات الرائدة في اتباع الاسلوب الإحصائي كما تمكـــن جراونت من تحديد جدول الحياة واستطاع ان يقارن حالات الوفيـــات بـــالمواليد ،

وان يقوم بتوزيع الوفيات حسب العمر مع حساب عدد الاناث في سن الإنجاب ٠ (٩)

اما الاسلوب الثاني : لدراسة السكان فقد ظهر من خلال الايكولوجيا البشرية Muman Ecology باعتبارها فرعا من فروع علم الاجتماع اذ كان على رواد هذا الفرع الحديث من فروع الدراسات الانسانية تتبع العلاقة بين الإنسان والبيئة المحيطة كما تتبع ديفى Devy على سبيل المثال نمو سكان العالم منذ مليون سنه حتى ستينيات القرن العشرين مع ربط هذا النمو بوسائل العيش (من نبات وحيوان) ٠ (١٠)

وهكذا انشغل العلماء بالعلاقة المتبادلة بين السكان والبيئة الفيزيقية والبيولوجيه ، ومن الواضح ان نمو السكان لم يكن متاحا دون ان يحدث الانسان تغيرات حاسمة في البيئة ولعل هذا ما ساعد على تأصيل مفهوم نسق البيئة Eco System – الذى يتتبع هذه التغيرات في النسق الايكولوجى (في مجال التنظيم والتطور التكنولوجى) وعلى سبيل المثال فقد اثر اختراع الفأس وادوات الزراعة التقليدية على استقرار السكان ٠

وقد أدى تطور اساليب الزراعة واستئناس الحيوان وظهور المحراث واستخدام الاسمده الى تزايد الانتاج كما تضاعف السكان الى ١٦ مره في الفترة من ٨٠٠٠ ق ٠ م الى ٤٠٠٠ سنه قبل ميلاد السيد المسيح ٠

أما النمو الصناعى وما صاحبة من اكتشافات جغرافية وتقدم تكنولوجى وتنظيمى – مع اختراع مصادر جديدة للطاقة – فقد اسهم في النمو السكاني الكبير

مع ما رافقه من تطور ملحوظ في وسائل النقل الحديث ، كما أدى قيـام الثـوره الصناعية الى زياده تيارات الهجرة الداخلية ونمو سكان الحضر ، وهكذا تزامـن نمو السكان مع حرص الإنسان على زيـاده وسـائل العيـش وتطويـر البيئـة التكنولوجيه والتنظيمية (١١)

وقد اوضح جيرالد بريز ان النسبة المئوية لزيادة مجموع سكان العالم قـد ارتفعت من ٢٩% في الفترة من ١٨٠٠ – ١٨٥٠ الى ٤٩% فـي الفـترة مـن ١٩٠٠ – ١٩٥٠ بينمازاد سكان المدن التى يزيد تعدادهـا عـن ٢٠,٠٠٠ الـى ١٣٢% ، و ٢٣٩% خلال هذه الحقب ، واذا كان سكان العالم قد تضاعفوا ثـلاث مرات في الفترة من ١٨٠٠ حتى ١٩٦٠ فان سكان هذه المدن قد تضاعفوا اكـثر من اربعين مرة في هذه الفترة (١٢) ،

وقد اهتم دعاه الاتجاه الايكولوجى بدراسة المدينة باعتبارها مركز تركـز عدد كبير من السكان في منطقة جغرافية محدوده فانشغل سـوروكن وزمرمـان بالمهنة والحجم وكثافة السكان للتمييز بين المجتمع الريفى والحضرى ،

واذا كان مصطلح الايكولوجيا قد ظهر لاول مرة سنه ١٨٦٩ علـى يـد عالم الاحياء الالمانى ارنست هايكل E. Haeckel فـان اسـتخدامه فـي مجـال العلاقات الانسانية تم لاول مره على يد جالبن Galpin في كتابة عن " التشـريح الاجتماعى لمجتمع محلى ريفى سنه ١٩١٥ وبدأ استخدام المفهوم للدلاله على ان افراد المجتمع يعيشون في اطار بيئة مكانية تتأثر بعوامل اجتماعية عديدة ومـن اشهر الرواد هنا لويس ويرث الذى يذهب الى ان زيادة الكثافة السكانية في المدن تؤدى لزيادة التخصص والتباين الاجتماعى ، وان الحضرية كاسلوب للحياة تدفـع المدينة للتأثير خارج حدودها الادارية والجغرافية ،

ورغم ان نظرية ويرث خضعت للنقد الشديد لاعتمادها علـــى التعميمـــات التى تنهض بدورها على صوره المدينة الامريكية في الثلاثينات الا انه لـــم يكـــن يهدف كذلك للبرهنة على ان الحجم وكثافة المدينة والتباين بين السكان تعد وحدها المتغيرات الاساسية المحدده للحضر ٠

وقد اهتم علماء الايكولوجيا بدراسة بعض العمليات الســـكانية كـــالتركز Concentrobtion والتشتت Decon centration ، وهما يشيران للتغيرات التـــى تطرأ على توزيع السكان عبر المكان نتيجة الهجرة من منطقة لاخرى والاختـــلاف في معدلات الزيادة الطبيعية ، ويتم قياس عمليتى التركيز والتشـــتت فـــي ضـــوء الكثافة السكانية حيث اوضح دنكان واخرون ان معدل التركز يزداد فـــي المنـــاطق التى تتطور نتيجة لارتفاع معدل النمو السكاني فيها ٠

ولقد اشار هاولى الى ان الاتجاه نحو التشتت قد ظهر في المدن الامريكية خلال عشرينيات القرن العشرين غير انها شهدت بعد ذلك نموا هائلا فـــي حجـــم الضواحى نتيجه لوجود شبكه متطوره للمواصلات ٠

ويشير مفهوم الغزو in vasion الى نفاذ جماعة سكانية الـــى منطقـــة منفصلة كانت تشغلها من قبل جماعة سكانية اخرى وهو لا يتم بصوره فوريـــة ، وفى مدن الدول النامية تتخذ عمليه الغزو السكاني صوراً عديدة من بينـــها نمـــو احياء واضعى اليد ٠

والواقع ان هناك حاجة ماسه في هذا المجال للقيام بدراسات في العالم الثالث اذ ان العديد من الافكار التى طرحها انصار هذا الاتجاه تتعلق اساسا بالظواهر السكانية في الدول المتقدمه صناعياً والمدن الغربية نفسها (١٣) ٠

وقد اهتمت الدراسات التى اجريت في امريكا اللاتينيه بالاحياء الفقيرة وتكيف المهاجرين لظروف الحياة في المدينة وخصائصهم العمرية والنوعية واوضاعهم المهنية والتعليمية وظروفهم الاقتصادية ٠

ويؤكد اولين Olien ان هناك ٤ محاور ينبغى الاهتمام بها في الدراسة الحضرية وهى العلاقات المحلية ، والعلاقات الريفية الحضرية ، والعلاقات الحضرية القومية ، والعلاقات الحضرية الدولية ٠

وقد اهتم هاوسر Hauser بالكثافة السكانية في دول العالم الثالث وابرز الدور الذى يلعبه التضخم الحضرى في ظهور المناطق المختلفة وانشغل Mc Gee بمفهوم التحضر الزائد في بعض بلدان العالم الثالث ٠

ومن بين الطرق التى يتحدث عنها وارن R.warren لدراسه المجتمعات المحلية الدراسة السكانية للمجتمع المحلى لدراسة توزيع السكان وتصنيفاتهم المختلفة كما ان من بين انصار هذا الاتجاه كذلك توريديك Thorndkie وسيلى Seely وفوجت Vogt وغيرهم وهى دراسة تهتم اساسا بالظواهر السكانية (١٤) ٠

اما الاسلوب الثالث فهو الاتجاه الذى تبناه علماء الاجتماع والذى يضع في حسبانه انه يتعذر تفسير الظواهر السكانية الا في اطار البناء الاجتماعى

والنظم والانساق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والقائمة ، والحقبة الزمنية التيلا توجد في ظلها هذه الظواهر ، وبعباره اخرى فان النظره الشمولية ترى ان الانسان قادر على السيطره على نموه وحراكه .

والتنظيم الاجتماعية تعد بمثابة التربة التى تنمو فيها الظواهر السكانية وتتشكل في ظلها اتجاهات وقيم السكان المتصله بالخصوبة والزواج والطلاق والهجره وغيرها كما ان الوجود المادى واسلوب الانتاج في المجتمع يحدد وعى واراده الانسان ويشكل رؤية مجتمعية شمولية وخيال سوسيولوجي يحدد الاطار الذى يمكن دراسة الظواهر السكانية واذ ذاك تصبح قضية الزيادة السكانية الكبيره في العالم الثالث مع تخلف سبل العيش عرضا للتخلف الاجتماعى الاقتصادى في البلدان النامية لا سببا له ، ومن الكمتابات المعبره عن هذا الاتجاه كتابات جيريسيك Gerysk الذى اوضح ان الزيادة السكانية هى تعبير عن زيادة عدد السكان عن المعدل الفعلى الذى يتمكن من بلاغ مستوى معقول من الانتاجيه في ضوء المصادر والتكنولوجيا المتاحه .

وكتابات جرين Green عن ان المجتمع يتكون من السكان والتنظيم والزمن والمكان والمصالح ، وكتابات سميث عن السكان باعتبارهم محور البناء الاجتماعى وهو وسيلة النشاط الانسانى وغايته في آن واحد .

وتنظر البنائية الوظيفية للظواهر السكانية للمجتمع باعتباره نسقا من الظواهر المنسجمه يعتمد في بقائه واستقراره على التوزن فاذا حدث انخفاض او زيادة في السكان تعرض المجتمع للخلل ومن الضرورى هنا ان تعمل اليات التوازن على استعاده الاستقرار من خلال الهجره واستخدام وسائل منع الحمل :

والباحثين الذين يتخذون من النظريات المثالية اطارا للدراسة يجـــزءون الواقع الاجتماعى فيعزلون الظواهر السكانية عن سياقها الفعلى وكأن البشر هنـــا مجرد ارقام يسهل تحريكهم بانقاص او زيادة خصوبتهم ودفعهم للحراك للداخـل او الخارج ٠

اما الرؤية الماركسية – اللينينية التى اشارت الى ان لكل اســـلوب مـــن اساليب الانتاج قوانينه الخاصة بالسكان ولا توجد قوانين عامـــة تنطبـق علـــى السكان في كل زمان ومكان ٠

وتنتقد النظرية الماركسية ادم سميث الذى انصرف عن ادراك العلاقة بين السكان والثروة فاصبحت الثروة من وجهة نظره الهدف النهائى للجهد الانســـانى ويؤكد اتباع هذه النظرية انه تحت ضغط الامبرالية تـــزداد كـل اشـكال البطالـة السافره والمقنعه نتيجة لسيادة الاقتصاد الرأسمالى الاحتكـــارى ، وحيـن تنشـأ الشركات العملاقة فانها تتبنى سياسة قوامها " عش ودع غيرك مـــن المنافســين الاقوياء يعيشون "

ومع ذلك فالظواهر السكانية في النظريـــة الماركســية – اللينينيـة هــى متغيرات تابعة ، وبذلك فانها تنفى عنها مسئوليتها عن تحديد النظام الاجتمـــاعى بل ان النظام الاقتصادى في المجتمع يؤدى الى التحكم فـــي الظواهــر الســكانية وتحديد مسارها ٠

والواقع ان ثمه علاقة تفاعليه بين السكان والنظم الاجتماعية الاخرى اذ انه من الظلم البين ان نرى في السكان هذا المتغير التابع الذى يتأثر بالاساس الاقتصادى في المجتمع ٠

ولا خوف في هذه النظرية من الزيادة السكانية اذ انها تؤدى بدورها لازدياد الكفاية الانتاجيه وزيادة كفاءة تقسيم العمل واتساع تبادل المهارات الانسانية ٠

ومن اتباع هذه المدرسة Urbanis , Kautsky , Nitti , Vertysk ، وقد اوضح جيرتسك على سبيل المثال ان الزيادة السكانية تحدث اذا زاد عدد السكان عن المعدل الفعلى الذى يتمكن من بلوغ مستوى مرغوب من الانتاجية في ظل المصادر والامكانيات الفنية المتاحه ٠

وقد تقاعست النظرية الماركسية عن استجلاء اسباب انخفاض الخصوبة في المراحل المختلفة للرأسمالية ٠

اما مدرسة التبعية فقد انطلقت في دراستها للظواهر السكانية الى رفض اعتبار هذه الزيادة احد مظاهر التخلف في العالم الثالث وتدهور النمو الاقتصادى ٠ اذ يذكر سمير امين ان الضغوط الاقتصادية في ريف العالم الثالث وبخاصة في افريقيا قد ادت لعجز السكان عن القيام بما تستلزمه الزراعة الافقية ٠

ويرى انصار نظرية التبعية ان ساسه الدول النامية يرجعون التشوه الاقتصادى لاسباب اقتصادية ويستلهمون في ذلك المنطق الرأسمالى الذى يضع

تكلفه الطفل في كفة وسوء الاوضاع الاقتصادية في هذه البلدان في الكفة المقابلة اذ ان ماكنمار (رئيس البنك الدولى في مرحله الحرب البارده) قد قارن بين تكلفه اعاله الطفل في العالم الثالث – حتى يتمكن من الاستقلال بحياته (نحو ٦٠٠ دولار في ذلك الوقت) وبين تكلفة الوسائل التى تسمح بعدم انجابه (٦ دولارات) وهو هنا يتجاهل حجم الاستثمار البشرى واسهام الناس في التنمية كما يعكس خوف العالم الرأسمالى (المركز) من العالم الثالث (المحيط) فالمركز من وجهة نظر انصار هذه المدرسة يشتغل المحيط ويرغب في تخفيض حجم سكانه (١٥) ٠

وهكذا نلاحظ ان الاتجاهات المختلفة في دراسة الظواهر السكانية تعبر بدورها عن اتجاهات نظرية وتجسد الاطر التصورية التى توجه الدراسة في هذا الاطار ٠

ثالثا : المجال وادوات الدراسة في علم الاجتماع السكاني :

١] المجال الضيق للدراسة في الاجتماع السكاني The Micro Approach:

تهتم الدراسة السكانية بثلاث نواحى هى :

أ] حجم السكان : مجموع عدد السكان وما يطرأ عليه من تغير والاثارة المترتبة على ذلك بالنسبة حيث يعتبر التناسل عملية اجتماعية في المحل الأول اكثر منها عملية فيزيقية ٠

ب] توزيع السكان : ويقصد به مدى انتشار السكان في المناطق المختلفة من الكرة الارضية وفى المناطق الريفية والحضرية ، وفى

الاجزاء المختلفة من المجتمع والعوامل التى ادت الى هذا وما يترتب على ذلك من آثار اجتماعية واقتصادية وسياسية واقليمية .

جـ] خصائص السكان : وهى الخصائص المرتبطة بالنواحى العمرية ، التعليمية ، الزواجية ، المهنية ... الخ فضلا عن توزيع السكان بحسب الدخل والملكية وغيرها من المتغيرات الاجتماعية والثقافية .

على أنه ينبغى الاشارة في الوقت نفسه الى أننا ندرس وحدة حية تتفاعل ابعادها اذ أن أى تغير في ناحية منها تؤثر على ماعداها فازدياد حجم المجتمع يستلزم الاهتمام بتوفير مؤسسات الخدمات المختلفة وبخاصة في مجال الاسكان والتعليم وغيرها (١٦) .

ويؤدى انخفاض عدد السكان الى تغيرات مصاحبة فالمجتمعات المحلية التى يتناقص عدد سكانها تعانى حالة من الكساد ، ويطلق على هذه الحالة " الموت الايكولوجى والاجتماعى " وأبرز الامثلة على هذا ما ذكره Cottrell عن مدينة صحراوية صغيرة شيدت كمحطة لخدمة قاطرات السكك الحديدية فازدهرت بصورة ملموسة ثم تبدلت الظروف وفقدت المدينة الاساس الاقتصادى لوجودها وذكر كوترل أن مدينة (كالينت) في طريقها للذبول بعد أن بطل استخدام الفحم الحجرى وبدأ استخدام قاطرات الديزل وتعرضت المدينة للكثير من التغيرات والتحولات الديموجرافية Demographic Transitions كان ابرزها هجرة الرجال الى خارج المدينة Emigration وذلك بهدف البحث عن موارد اخرى للمعيشة فازدادت عزلة المدينة واصبحت قريبة في مظهرها من مدن الاشباح .

ويؤثر توزيع السكان بدوره في التوازن (السكاني) بين قـارات العـالم ففى عام ١٧٥٠ كان سكان أمريكا الشمالية لا يزيدون عن ٢ر من جملـة سـكان العالم وقتئذ ثم تطورت النسبة الى ٦,٩ سنة ١٩٥٠ بينما تقدر هذه النسبة بـ ٦,٠ سنة ٢٠٠٠ أما على المستوى المجتمع الواحد فقد اضطرد سكان المنـاطق الحضرية في مصر من ٢٠ % من اجمالى السكان عام ١٨٩٧ الـى ٤٤,٣ عـام ١٩٨١ على سبيل المثال .

ومـن المعروف أن حجـم وتوزيـع السكان يتغيران نتيجة للزيـادة (الطبيعية) أو نتيجة للهجرة ، أما الزيادة الطبيعية فـهى محصلـة للمعادلـة الاتية:

مجموع المواليد - مجموع الوفيات = الزيادة الطبيعية ، أما الـهجرة فهى الانتقال من منطقة (ينزح) منها الناس Emigration الى منطقة اخـرى (يقصدها) الناس Immigration بصورة مؤقتة او دائمة .

وتختلف الزيادة الطبيعية بين مختلف البلدان ففى عام ١٩٨١ كانت نسـبة المواليد في الدانمرك ١٢ في الالف والوفيات ١١ فـي الالـف وتكـون الزيـادة الطبيعية على هذا الاساس :

١٢ - ١١ = ١ في الالف فقط .

وفى مصر وفى العام نفسه كـانت نسبة المواليـد ٤١ والوفيـات ١١ والزيادة الطبيعية على هذا الاساس هى ٤١ - ١١ = ٣٠ في الالف .

وفى النمسا بلغ معدل المواليد ١١ في الالف والوفيات ١٢ في الالف سنة ١٩٨١ فتكون الزيادة الطبيعية ١ في الالف .

فاذا انتقلنا الى الخصائص السكانية والتى يميل البعض الى تسميتها بالتركيب السكاني وهى تختلف بطبيعة الحال بين مجتمع لآخر وفى المجتمع نفسه من وقت لاخر فان نسبة الزواج لكل ١٠٠٠ من السكان لم تتعدى في مصر سنة ١٩٧٩ م ٩,٤ في الالف بينما بلغت هذه النسبة سنة ١٩٤٤م ١٥ في الالف .

ولعل هذه بعض الامثلة التى تمكنا من ابراز الجوانب الاساسية للدراسات السكانية والتى سيأتى تفصيلها فيما بعد .

وغنى عن القول أن الاكتفاء بالنسب والارقام دون الاهتمام بالتفسير في ضوء النظرية الاجتماعية بصفة عامة والبناء الاجتماعى الذى ندرس من خلاله هذه الارقام بصفة خاصة لا يعد وأن يكون لغوا يزيد من الحواجز بين علم الاجتماع ودراسة السكان في المجتمع .

ب] المجال المتسع لعلم الاجتماع السكاني :

The Macro Approach

أن ما يشغل عالم الاجتماع اليوم ليس هو في الحقيقة دراسة الظواهر السكانية المحدودة المضمون اذ يهتم علماء الاجتماع السكاني بدراسة العلاقة التفاعلية بين التنظيم الاجتماعى - الثقافى والمتغيرات السكانية . ومن امثلة ذلك العلاقة الدينامية بين التنظيم الاقتصادى الاسرى او السياسى أو الطبقى والمتغير السكاني ويمكن كذلك دراسة التفاعل بين الانسان والبيئة (الانساق

السكانية والايكولوجية) ، ودراسة الآثـــار الاجتماعيــة – الســكانية للتصنيــع والتحضر ، ويمكن استجلاء العلاقة بين بعض المتغيرات الســكانية والمجتمعيــة كالعلاقة بين تنظيم الاسرة والتعليم واشتغال المرأة ، وعلاقة تنظيم الاسرة بنسـق القيم في المجتمع ولاسيما القيم الدينية ، والعلاقة بين تنظيم الاســرة والخدمــات الصحية المقدمة وطبيعة هذه الخدمات ، والعلاقة بين معــدل الزيــادة الطبيعيــة والميكنة الزراعية وتصنيع الريف ، والعلاقة بيــن الســلوك الانجــابى والاعــلام والتوعية والعلاقة بين السلوك الانجابى والتأمين الاجتمـــاعى (للفقــر والعجــز والبطالة .. الخ) والعلاقة بين هذا السلوك الانجابى والرفاهيـــة الاجتماعيــة ، وهل يختلف حجم وتوزيع السكان بحســب ايديولوجيــة المجتمــع رأســمالية أم اشتراكية ؟ وهل بوسع دارس الاجتماع السكاني في العالم الثالث أن يتحدث عـــن سياسة سكانية للعالم الثالث تتصل بخصوصية الدول النامية ؟

الطرق والادوات : من المعروف أن تحديد السكان في المجتمع يتم بعدة طرق مختلفة وهى بدورها تعد بمثابة الادوات المستخدمة لجميــع البيانــات فــي الدراسات السكانية ، ومن أبرز هذه الطرق والادوات المستخدمة :

أ – الحصر أو التعداد الشامل .

ب – تقدير عدد السكان .

جـ – البحوث بالعينة .

د – نظم التسجيل .

هـ – التنبـــــؤ .

أ] التعــــداد الشامــــل Complete Enumeration

ليس هناك شك أن هدف الحصر الشـــامل أو التعـداد The Census الحصول على صورة صادقة ودقيقة لحجم وتوزيع السكان في أى مجتمع ، ولقـد كان الرومان هم أول الشعوب التى أقدمت على حصر السكان .

وقد اهتم حكام اسرائيل قديما باستخدام الحصر الشـامل لفئـات عمريـة معينة من السكان وتذكر التـوراه أن هذا الحصر كان يتم بأمر الله سبحانه وتعالى " كلم الرب موسى والعازر بن هارون الكاهن قائلا خذا عدد (احصيا) كل جماعـة بنى اسرائيل من ابن عشرين سنة فصاعدا حسب بيوت آبائهم كل خارج للجند فـي إسرائيل " (عدد ٢٦ : ١، ٢) .

كمـا تـذكر التوراه أنه في نهاية أيام حكم الملك داود قام بتعداد السـكان " فكان اسرائيل ثمانمائة الف رجل ذى بأس مستل السيوف ورجال يهوذا خمـس مئة الف رجل " (٢ صم ٢٤ : ٩) .

ويتضح لنا أن هذا الحصر السكاني كان يتميز بأن الله هو مصدر الامـر – للملك أو السلطة للقيام به – فضلا عن أنه لم يكن ينطبق على الاناث والاطفال والعجزة والاطفال والمرضى واصحاب العاهات بل علـى الذكـور الذيـن يمكـن الاعتماد عليهم في الحروب مع الاعداء .

ويذكر الانجيل المقدس أن سيدتنا مريم ويوسف كانا في طريقـهما الـى موطنهما الاصلى حيث يذكر : أنه في تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصـر بأن يكتتب كل المسكونة وهذا الاكتتاب الأول جرى اذ كان كيرينيوس والى سورية

يذهب ليكتتبوا كل واحد الى مدينته فصعد يوسف ايضا من الجليل ٠٠٠ الى بيت لحم ٠٠٠ " (بيت المقدس) ٠

ويعنى هذا أن التعداد الرسمى الأول في فلسطين قد تم منذ نحو ٢٠٠٠ سنة وكان على كل فرد أن يذهب الى موطنة الاصلى لاجراء الحصر ٠ والواقع ان الكلمة الانجليزية للتعداد Census مستمد من الكلمة اللاتينية Censuer اى القيمة أو الطريبة وقد بدأت أول التعدادات في سومر سنة ٥٠٠٠ ق ٠ م لاغراض الضرائب ٠

غير أن هناك سجلات غير مؤكدة عن تعدادات تمت في مصر الفرعونية والصين (عائلة شو) تعود الى ما قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة وقد اهتم القرآن الكريم بابراز علم الله المسبق بعدد السكان حين يذكر " وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا " وكانت عشائر الانكا في بيرو (من القرن الثالث عشر الميلادى حتى الخامس عشر) تحصى الموارد فضلا عن السكان غير أن افتقارهم للكتابة اضطرهم الى التعبير عن هذه التعدادات بوسائل أخرى فقد ابتكروا نظام الكيبو quipu وهو عبارة عن حبل كبير تتدلى منه حبال صغيرة ذات الوان مختلفة لتمثل النوعيات السكانية المختلفة فالابيض للفضة والاحمر للجنود ٠٠٠ الخ ٠

وكان التعداد يجرى بربط اعداد للحبال الصغيرة يمكن عدها وحسابها وقد ظهر التعداد الأول في فرنسا الجديدة (كندا) سنة ١٦٦٥ وكانت هناك خشية دائمة من تسرب البيانات السكانية الى الاعداء ٠ وفى العصر الحديث تضمن دستور الولايات المتحدة سنة ١٧٩٠ لإجراء التعداد - حيث كانت تنص مادته الاولى على الدعوة لاجرائه - وكان الهدف اذ ذاك الحصول على عدد دقيق

للسكان حتى يتسنى توزيع مقاعد المندوبين في مجلس النواب بالكونجرس وقـــد ترتب على هذا التعداد اعادة توزيع المقاعد في الكونجرس مــرات عديـدة وقـد سبقتها في هذا المضمار السويد سنة ١٧٤٩ ، والدانمــرك ســنة ١٧٦٩ ومـن المعروف أن معظم بلدان العالم توجد بها الان وحدات اداريـــة رسـمية لاجـراء التعداد العام للسكان بطريقة تنظمها الدولة وقد بدأ التعداد المنظم في انجلترا سنة ١٨٠١ ، وفرنسا سنة ١٨٣٥ ، واليابان سنة ١٨٧٣ ، وروسيا سنة ١٨٩٧ ٠

وقد أجرى أول تعداد للسكان في مصر سنة ١٨٨٢ وكــان عـدد ســكان مصر فيه ٦,٧ مليون نسمة ، اما في سنة ١٩٧٦ فبلغ اجمـــالى السـكان ٣٨,٢ مليون نسمة بزيادة قدرها ٧٨% عن سابقه من بينهم ١,٤ مليون نسـمة كـانوا خارج الجمهورية (ليلة التعداد) (١٧) ٠

ورغم أنه بامكان من يجمعون بيانات التعداد أن يحصلوا على العديد مـن المعلومات الديموجرافية التى تكون بالغة النفع في الوقت نفسه ، وهــى الحقيقـة التى كشف عنها قادة المستعمرات في انحاء مختلفة من افريقيا واســيا (حيـث ازداد الاهتمام بجمع هذه البيانات) فلا يزال الكثير من الافـراد يرفضـون فكـرة الافضاء بمعلومات شخصية اذ أن الامر لم يصبح مجرد حصـــر سـكانى ضيـق النطاق ٠ وفى الولايات المتحدة وضعت الدولة نظاما حديثا لتفادى أرهاق جميـع الناس من جهة الى جانب التخفيف من التزامات مكتب التعداد من جهـــة اخـرى فعلى حين يطلب من الجميع ذكر البيانات الاولية الخاصة بالاسم والسن والنـــوع والـجنس والحـــالة الزواجية فانه يكتفى بنسبة معينة تصل في بعض الاســئلة الى ٥ % فحسب وفى البعض الاخر الى ١٠ % أو ٢٠ % من المجموع الكلـــى وذلك في النواحى الخاصة بالصحة والتعليم والقوة الشرائية وبفضل نظام العينـات هذا يمكن اختصار المزيد من الوقت والجهد داخل اطار الحصر الشامل ٠(١٨)

ب] تقدير عدد السكان :

ويرتكز تقدير السكان على الحقيقة التى مؤداها أنه يتعذر القيام بتعداد السكان بصورة مستمرة لذلك يلجأ علماء الديموجرافيا الى استخدام الرياضيات لتقدير عدد السكان في السنة او السنوات المراد تقدير عدد السكان خلالها بالرجوع الى التعدادات السابقة لاستخراج متوسطات يرتكز عليها في هذا التقدير ، ويذكر Lewentierz (١٩) مثالا لذلك بالولايات المتحدة ففى الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٦٠ زاد عدد السكان من ١٥١ مليون الى ١٧٩ مليون نسمة او بمعدل ٢٨ مليون نسمة ، وعلى ذلك فاذا اردنا تقدير عدد سكان الولايات المتحدة سنة ١٩٦٥ تجرى المعادلة الاتية :

الزيادة في خمس سنوات = ٢٨ ÷ ٢ = ١٤ مليون نسمة اى أن حجم السكان سنة ١٩٥٥ هو = ١٧٩ - ١٤ = ١٦٥ مليون نسمة ويقدر حجم السكان سنه ١٩٦٥ بـ ١٧٩ + ١٤ = ١٩٣ مليون نسمة هذا بينما يقدر عدد السكان سنة ٢٠٠٠ بـ ٢٥٩ مليون نسمة في الولايات المتحدة ، وقد تم تقدير عدد السكان في وقت الحملة الفرنسية على مصر بـ ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة اما في عهد محمد على فتم تقدير عدد السكان للمرة الثانية سنة ١٨٤٦ على أساس احصاء المنازل (دون الرجوع للسكان) على اعتبار أن كل منزل يضم خمسة افراد في المتوسط وقد قدر عدد السكان بنحو ٤,٥٠٠,٠٠٠ نسمة (٢٠) .

وتختلف تقديرات الاعداد السكانية بحسب حجم السكان في المجتمع فاذا كان هذا العدد صغيرا كانت الزيادة السنوية صغيرة والعكس صحيح . . .

ففى سنة ١٩٦٠ قدر عدد السكان في مصر بـــ ٢٦,١ مليـون نسـمة تقريبا وقدرت الزيادة الطبيعية عن عام ١٩٥٩ بنحو ٦٧٦ الف نسمة ،

وفى عام ١٩٨٠ قدر عدد السكان بـ ٤٢,٢ مليـون نسـمة والزيـادة الطبيعية عن عام ١٩٧٩ بـ ١٢٨٨ الف نسمة ٠

ويتم هذا التقدير من واقع احصاءات المواليد والوفيات والمقصود عـادة بالزيادة السكانية الزيادة الصافية وهى تمثل الفرق بين عدد المواليد والوفيات اى أنها لا تمثل المواليد فقط ، وبالتالى فمن – الخطأ أن نذكـر أن مصـر تسـتقبل مولودا كل ٢٧,٨ ثانية والصواب أن مصر تزيد في المتوسط نسـمة كـل ٢٧,٨ ثانية فهى تستقبل في الحقيقة مولودا واحدا كل ٢٠,٢ ثانية وتحدث فيـها فـي المتوسط وفاة كل ٧٣,٤ ثانية وبذلك تزيد فردا كل ٢٧,٨ ثانية ويدخل في التقدير عادة ما يعرف بمعدل النمو السنوى وهو المعدل الذى يعبر عـادة عـن الزيـادة الطبيعية او الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات وهذا المعدل يختلف بـدوره باختلاف الظروف الاجتماعية – الاقتصادية ومستوى الرعاية الصحيـة ومعـدل الزواج السائد وذيوع وسائل تنظيم الاسرة ، وغيرها من المتغيرات وهـو لـهذا الغرض يختلف من مجتمع لآخر ومن حقبة زمنية لاخرى ٠ ففى مصر على سبيل المثال بلغ هذا المعدل من عام ١٩٦٣ الى ١٩٦٥ ، ٢,٧ سنويا بينما انخفض الى ٢% سنة ١٩٧٢ نتيجة للحروب التى خاضتها مصر وأدت الى تأخير العديد مـن الزيجات والاقلال بالتالى من معدلات المواليد هذا فضلا عن الازمات الاقتصاديـة المختلفة التى يعانى المجتمع منها ٠ ومجمل القول أن تقدير حجم السكان يسـتلزم من المتخصص في الاجتماع السكاني دراية بالعديد من المتغـيرات التـي تـؤدى بدورها الى ثبات أو تذبذب هذا المعدل (٢١) ٠

وقد قدر " ولكوكس " عدد سكان العالم في عام ١٦٥٠ بنحو ٤٧٠ مليونـا وقدره كارسندرز بنحو ٥٤٥ مليونا مما دعا " د ٠ ديراند " أن يفترض في مقالـه عن سكان العالم بأن معدل الزيادة بين وقت مجيء السيد المسـيح وعـام ١٦٥٠ كان يتراوح بين ٢,٥ و ٥ % في كل قرن والفرق بينهما ليس بسيط (٢٢) ٠

ولذلك فان " فرانك ونرتشتين " يحذر من الاعتماد على التقديرات بصـورة جازمة اذ يجب دائما أن نتذكر أنها مجرد فروض وان اختلاف الاحداث يمكـن أن يؤدى الى اجابات مختلفة ٠(٢٣)

ولعل هذا ما دفع و ٠ س وونتسنكى الى القول بأننا سنجد صعوبة بالغـة في تحديد حجم السكان في العالم بعد نصف قرن من الزمان ٠

جـ] البحوث بالعينة : Sample Syrveys يتم عادة استخدام هذا الاسلوب لدراسة النواحى المتصلة بالسكان فـي مجـالات الحيـاة الاجتماعيـة والمجـال الاقتصادى والتعليمى والدينى والسياسى وغيرها حيث يقوم الباحث باختيار عينـة تمثل المجتمع ، ويستخدم المسح السكاني عادة من خلال اختيار عينة ممثلة تعـبر تعبيرا صادقا عن المجتمع موضوع الدراسة (فلا يمكن على سبيل المثال دراسـة ظاهرة تنظيم الاسرة بالنسبة لكبار السن أو العزاب) ، وينبغى أن ننوه أن هـذه المسوح الديموجرافية يرجع تاريخها في الولايات المتحدة الى بداية هذا القرن فقد أجرى ريس J. Riss مسحا عن المناطق المختلفة نشر سنة ١٩٠٢ وأسـماه Battle with the slums وفى سنة ١٩١٤ قامت مؤسسة راسل سيج بمسـح " سبرنجفلد " بولاية الليلوير وكان عدد سكانها حوالى ٥٢ الفا واشترك في اجـراء

المسح حوالى ٩٠٠ فرد يمثلون ١٧ هيئة من مؤسسات المجتمع المحلى ، ومن المسوح الهامة مسح مدينة " يورك " الذى نشرت نتائجه في الفترة من ١٩٢٧ : ١٩٣١ ومن المسوح التي طبقت في مجتمعنا المسح الاجتماعى لدائرة باب الشعرية سنه ١٩٦١ وهناك بعض الادوات يمكن استخدامها في الدراسة ومنها الاستبيان الذى يسلم للبحوث ليجيب عليه دون تدخل من الباحث او يرسل بالبريد questionnaire اذا كانت الظاهرة السكانية المراد دراستها لا تحتوى على نواحى حساسة فضلا عن المام أفراد العينة بالقراءة والكتابة ولذا يمكن استخدامه في دراسة ظاهرة كالهجرة بينما يصعب تطبيقه في دراسة ظاهرة كالاجهاض وهذه الاداة عبارة عن استمارات تسلم للبحوث ويترك له حرية اختيار الاجابة ثم يعيد تسليمها للباحث .

وتستخدم دراسة الحالة Case study لدراسة بعض الظواهر السكانية - كالهجرة الداخلية وعلاقتها بالجريمة او بالهامشية ... الخ بصورة تفصيلية .

ويمكن استخدام الملاحظة بالمشاركة في حالة دراسة ظاهرة سكانية بعينها او عن طريق دراسة مؤسسة بعينها تؤدى الخدمة السكانية كمركز تنظيم الاسرة او عن طريق دراسة ظاهرة سكانية في احد المجتمعات المحلية بصفة عامة كدراسة الاحياء المتخلفة slums في المدينة او عشش الصفيح أو الجيتو وغيرها .

ومن أشهر العينات المستخدمة في الدراسة السكانية الاختيار على أساس المربعات السكنية selection from grids وهى تستخدم اذا أردنا اختيار عينة تمثل اقليما او شياخة ممثلة لاحد الاحياء السكنية بتقسيم الخريطة الى مربعات وترقيم المربعات واختيار العينة .

د] نظم التسجيل : Recording

ونقصد بهذه النظم الاجراءات الدقيقة التي تلزم الدولة بها رعاياها لتحديد معدلات المواليد والوفيات - والزواج ويعد التسجيل بمثابة " كاميرا " دائمة يمكن بواسطتها مقارنة فترة زمنية بفترة اخرى سابقة او مقارنة ذلك بما هو سائد في مجتمعات اخرى بشرط ضمان الدقة في التسجيل ٠ وفي الكثير من المجتمعات يستمر التسجيل باضافة معلومات مستمرة عن الفرد طوال حياته لتعطي صورة صادقة عن التطورات الشخصية وبالتالي عن الملامح الاجتماعية للسكان في المجتمع بصورة مستمرة ٠

هـ] التنبؤ : Fore Casting

من الممكن أن يقال أن " الهرم السكاني " يعطي تاريخا موجزا للستين او السبعين عاما القادمة في اى مجتمع ، ويمكن من " الهرم السكاني " استنتاج الكثير من المعلومات عن السكان فكلما اتسعت قاعدته مثلا دل ذلك على ارتفاع نسبة المواليد ويكون العكس صحيحا اذا ضاقت القاعدة كما انه اذا انكمشت بعض الفئات امكن معرفة اثر هذا الانكماش بعد فترة زمنية معينة وتأثير ذلك على نسبة الزواج والمواليد والوفيات علاوة على معرفة العوامل التي تقف وراء التزايد او التذبذب او الانكماش نتيجة للهجرة او للحروب او لاستخدام عوامل ضبط النسل (٢٤) ٠

ويمكننا هذا من التنبؤ بحجم الخدمات التعليمية والصحية اللازمة للاجيال الصاعدة ٠

اما ما لا يخبرنا به الهرم السكاني عادة فهو ما يحدث في فئة العمر اقل من ٥ سنوات (المواليد الجدد) اذ أن هذه الفئة التي تستقر في أسفل الهرم يصعب التنبؤ بحجم الفئة التي ستحل محلها في المستقبل فليس من اليسير التنبؤ بمدى الاقبال على وسائل تحديد النسل ونوع الاوضاع الثقافية والاجتماعية الاقتصادية السائدة في السنوات اللاحقة والتي من شأنها التحكم في حجم معدل المواليد .

وكمثال للاخطاء المتوقعة في هذا المضمار أن نشرة مكتب التعداد الامريكي سنة ١٩٤٣ قد تنبأت بأن عدد سكان الولايات المتحدة سنة ١٩٨٠ سيكونون ١٥٣ مليونا وقد وصل السكان الى هذا الحكم سنة ١٩٥١ فقط فمن المعروف أن معدلات النمو غير ثابتة وتخضع للعديد من المؤشرات التي يصعب الالمام بها جميعا .

ولذلك يفضل علماء السكان استخدام مفهوم السلوك الانجابي Reproductive Behaviour والارتكاز على نسبة المواليد الصافية Net Reproduction Rate للوصول على تقديرات اكثر دقة وموضوعية .

ولهذه الاسباب يحرص هؤلاء العلماء في محاولة تنبؤهم بمعدلات السكان في مجتمع ما على تقديم ثلاث تقديرات يمثل احداها الحد الادنى المتوقع للسكان في ظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة والاخر الحد الاعلى المتوقع ، والاخير الحد المتوسط . وقد قدر عدد سكان مصر سنة ٢٠٠٠ على اساس ٧٠ مليونا كحد اعلى ، ٦٠ مليونا كأدنى حد ممكن للتنبؤ ، ٦٥ مليونا في المتوسط كما قدر سكان اقليم القاهرة الكبرى بـ ١٥ مليونا وما من شك أن التنبؤ السكاني

ليس عملية حسابية فحسب بل يدخل فـي تقديرهـا أثـر للتغـيرات الاجتماعيـة والثقافية في تحديد معدلات المواليد والوفيات والهجرة – خلال الفترة الزمنية التي فتولى التنبؤ بحجم السكان خلالها ٠

[[المصـــــــادر]]

[١] Sissela bok , population and Ethics (In) Gita sen, Adrienne Germain and Lincolnc . Chen (Eds) population policies Reconisidered Harvard univ . press. 1944 pp. 16 , 17 .

[٢] هال هلمان – مشكلة تضخم السكان – ترحمة محمد بدر الدين خليل – القـاهره – ١٩٧٤ – الفصل الأول ٠

[٣] الن منتجوى – نظره الى العالم الثالث (في) الاقتصاد والمجتمع في العالم الثالث ترجمة محمد الجوهرى واخرون – القاهره – ١٩٨٢ – مواضع مختلفة ٠

[٤] معهد التخطيط القومي – مصر – تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ – القـــاهره ص ١١٠ : ص ١١٢ ٠

[٥] المصدر نفسه – ص ١ ٠

[٦] نيقولا تيما شيف – نظريه علم الاجتماع ترجمة محمود عودة وأخرون – مراجعة محمـد عاطف غيث - دار المعارف – القاهره ١٩٧٨ ص ١٣٠ : ص ١٧١ ٠

[٧] المصدر نفسه ص ١٤٤ ص ١٤٥ ٠

[٨] ثروت اسحق – وصفا الفولى – السكان والمجتمع – التعليم المفتوح – جامعـــة عيـن شمس — الفصل الأول ٠

[٩] Ann Mosley Lesch, middle East reserch awards program in population and development the population council. Egypt . 1990 pp. 15 : 17 .

[١٠] D.I. Valentey. An outline theory population moscow. P . 256 .

[١١] انظر على جنبى – علم الاجتماع السكان – دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية – ١٩٨٤ – ص ٤٦ : ص ٤٨ ٠

[١٢] السيد الحسينى – المدينة – دراسة في علم الاجتمــاع الحضـرى – بـدون – ١٩٨٠ – ص١٤٤ : ص ١٤٥ ٠

[١٣] المصدر نفسه ص ١٢٣ : ١٤٣ ٠

[١٤] ثروت اسحق – علم الانسان والدراسة السوسيوانثروبولوجية – دار المعرفة الجامعيـه – الاسكندرية – ١٩٨٨ ص ٩٥ . ص ١٠٥ ٠

[١٥] ثروت اسحق – علم الاجتماع ودراسه السكان – دار المعرفة الجامعيه – الاسـكندرية – ١٩٩٣ – ص ٦٥ : ص ٧١ ٠ وانظر للمؤلف نفسه – علم الاجتماع السـكاني – القاهرة – ص ٣٣٧ : ص ٣٤٧ ٠

[١٦] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى - دراسات في علم السكان– المصـدر السـابق – الفصل الأول ٠

[١٧] الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – التعداد العام للسكان والاسـكان – ١٩٧٠ – اجمالى الجمهورية ٠

[١٨] هال هلمان – المصدر السابق – الفصل الرابع ٠

[١٩] Lewentierz population, U.S.A 1970 – p. 39 .

[٢٠] حسن الساعاتى عبد الحميد لطفى – المصدر السابق – الفصل السابع ٠

[٢١] الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء الكتاب الإحصائي السنوى – ٥٢ : ١٩٨٢

[٢٢] فيليب هاو زر – السكان والسياسات الدولية – ترجمة خليل حسين وسعيد النجار – القاهره – مواضع مختلفة –

[٢٣] المصدر نفسه – مواضع مختلفة ٠

[٢٤] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى – المصدر السابق – الفصل السادس ٠



الفصل الثاني

نمو السكان في العالم

يعد نمو السكان في العالم من ابرز الظواهر في السنوات الاخيرة حيث يضطرد نمو السكان بصورة مذهلة ، وقد بلغ عدد سكان العالم سنة ١٩٨٤ – ٤,٧٦٣ مليون نسمة ، وارتفع هذا العدد الى ٥,٢٩٢ مليون نسمة سنة ١٩٩٠ ثم الى ٥٦٢٩ مليون نسمة عام ١٩٩٤ ، و ٦٢٦٠ كذلك سنة ٢٠٠٠ وينتظر أن يصل الى ٧٤٦٨ مليون نسمة سنة ٢٠١٥ ، ٩٨٣٣ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠م٠

ويعنى ذلك أن حجم السكان قد ازداد بصورة ملحوظة خلال السنوات الاخيرة كما سيزداد حجم السكان بصورة مطردة خلال الاعوام القليلة القادمة ، فاذا حسبنا معدل التضاعف خلال الفترة من ١٩٨٤ الى ٢٠٥٠ لاكتشفنا أن السكان سيضاعفون بمعدل ١.١ مره خلال ٦٦ سنة فقط (١) ٠

والواقع أن الزيادة السكانية خلال السنوات الاخيره تتجسد بوضوح اذا استعرضنا تقديرات ولكوكسّ لسكان العالم سنة ١٦٥٠ حيث قدر حجم السكان بـ ٤٧٠ مليون نسمة ارتفعت ألي ٦٩٤ مليون نسمة سنة ١٧٥٠ ثم ألي ٩١٩ مليون نسمة سنة ١٨٠٠ و ١٥٧١ مليون نسمة سنة ١٩٠٠م٠

ولا تختلف تقديرات كارسندرز كثيرا عن تقديرات ولكوكس الذى قدر عدد السكان سنة ١٩٠٠ بـ ١٦٠٨ مليون نسمة (٢) ٠

وقد قدر حجم السكان سنة ٢٠٠٠ بـ ٦٢٦٠ مليون نسمة (٣) ، وهكذا يبلغ معدل التضاعف في الحقبه من ١٩٠٠ : ٢٠٠٠ أى خلال مائة عام فقط ٢,٩ مره (٣) ٠

ومن الممكن بالطبع الحديث عن الامكانيات البشرية والمادية والاستخدام الامثل للطاقة لاستغلال الموارد المتاحة في الكرة الأرضية غير أن الزيادة الكبيرة ونقص الوعى واهدار الموارد هى من نصيب الدول الناميه مما يؤدى ألي اتساع دائرة الفقر والاميه والامراض والمشكلات البيئية والتلوث البيئى بابعاده الفيزيقيه والتكنولوجيه والاجتماعية ، ولا يعنى ذلك بطعبية الحال أن الزياده السكانية تعد السبب الرئيسى في تفاقم الاوضاع في هذه الدول التي استنزف الاستعمار خيراتها وازدات الاوضاع الاجتماعية والسياسية فيها سوءا بمرور الوقت ٠

وبامكاننا هنا أن نقف عند سنوات ١٩٨٤ ، ١٩٩٤ للتعرف على الخريطة السكانية ودراسة نمو سكان العالم خلال هذه الحقبة الزمنية القصيرة التي لا تزيد عن ١٠ سنوات ٠

فقد بلغ عدد سكان قارة افريقيا سنة ١٩٨٤ - ٥٣٧ مليون نسمة وفى سنة ١٩٩٤ – ٧٠٨ مليون نسمة ٠

اما امريكا فان حجم السكان فيها سنة ١٩٨٤ قد بلغ ٦٥٨ مليون نسمة وفى سنة ١٩٩٤ ٧٦٢ مليون نسمة ٠

والقدر الاكبر من هذا النمو يخص أمريكا الجنوبيه وحدها التي ازداد حجم سكانها من ٢١٨ مليون ألي ٣٠٤ مليون نسمة سـنه ١٩٩٤ اى قرابـة ١٠٠ مليون نسمة مقارنة بـ ٢٩ مليون نسمة بالنسبة لامريكا الشـمالية التـي ازداد عدد سكانها من ٢٦١ مليون نسمة ألي ٢٩٠ مليون نسمة خلال هذه الحقبة ،

وتعد قارة اسيا من اكبر القارات من حيث حجم السكان سـنة ١٩٨٤ اذ بلغ عدد سكانها ٢٧٧٧ مليون نسمة بالمقارنة بـ ٣٤٠٣ مليـون نسـمة سـنة ١٩٩٤ حيث تبلغ الزيادة خلال هذه الحقبة ٦٢٦ مليون نسمة (٤) ٠

والواقع أن اصغر القارات حجما هى استراليا والاقيانوسـيه ففـى سـنة ١٩٨٤ مليون نسمه ، وارتفع سنة ١٩٩٤ الى ٢٨ مليون نسمة ، وهذا يعنـى أن القارات تختلف في معدل الزيادة السكانية ، غير أن الامر المؤكد هـو أن كـل قارات العالم تشهد زيادة سكانية كبيرة ٠ فالامر الملفت للنظر أن الزيادة السكانية في قارة اسيا وحدها خلال الفترة من ١٩٨٤ الى ١٩٩٤ تساوى مجموع سـكان العالم كله حتى مطلع القرن الثامن عشر ، وبعبارة اخرى فان الإنسان اسـتطاع أن يصل بمعدل الزيادة السكانية خلال ١٠ سنوات فقط في قارة اسيا الـى اجمـالى حجم سكان العالم سنة ١٧٠٠ م ٠ (٥)

أولا : سكان البلدان المتقدمـة صناعيـا :

المتتبع لاعداد ومعدلات السكان في الدول المتقدمة صناعيا يلحظ أن حجم السكان لا يتغير كثيرا في هذه البلدان رغم ما تتميز به من ثراء نسـبى وازديـاد معدلات الانتاج القومى ارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومى اذ أن قارة اوروبـا التي قدر حجم سكانها سنة ١٩٨٥ ، ٤٩٢ مليون نسمة يقدر حجم سكانها سـنة

٢٠٠٠ بـ ٥١٢ مليون نسمة اى بزيادة لا تتعـدى ٢٠ مليـون نسـمة للقـارة باكملها وهى زيادة يتوقع أن تزيدها دولة واحدة كالفلبين التي من المقرر أن يزيد سكانها ٢٢ مليون نسمة خلال الفترة ذاتها ، او فيتنام التي من المقرر أن يزيـــد سكانها ٢٠ مليون نسمة خلال الحقبة نفسها ،

فاذا عدنا الى اوروبا لكى نحدد ملامح البلدان الواقعة في فلكها لاتضح لنا أن البلدان الاوروبية لا يتوقع أن يزداد حجم سكانها خلال السنوات القليلة بــل أن بعضها سيشهد تناقصا في حجم السكان بمرور الوقت ،

فاذا اخذنا دول شمال اوروبا يمكن أن نستعين بالدانمارك حيث يقدر حجـم سكانها في سنة ١٩٨٥ ، ٥,١ مليون نسمة ، سنة ٢٠٠٠ يتوقع أن يكون حجــم السكان ، ٥,١ مليون نسمة اما في سنة ٢٠٢٥ م فان الحجم سينقص الـــى ٤,٧ مليون نسمة ،

وفى السويد قدر حجم سكانها في سنة ١٩٨٥ ، بـ ٨.٤ مليون نســـمة وفى سنة ٢٠٠٠بـ ٨,٢ وفى سنة ٢٠٢٥ بـ ٧,٨ مليون نسمة ،

وفى انجلترا قدر حجم السكان في سنة ١٩٨٥ بـ ٥٦,١ مليون نســـمة وسنة ٢٠٠٠ بـ ٥٦,٤ مليون نسمة وفى سنة ٢٠٢٥ بـ ٥٦ مليون فقط ،

وفى جنوب اوروبا قدر عدد سكان ايطاليا بـ ٥٧,٣ وفـــى ســنة ٢٠٠٠ بـ ٥٨,٦ ، وفى سنة ٢٠٢٥ بـ ٥٧,٢ مليون نسمة ،

اما في غرب اوروبا ففى النمسا قدر الحجم سنة ١٩٨٥ بـــ ٧,٥ وفـــى سنة ٢٠٢٥ بـ ٧,٣ مليون نسمة وفى سويسرا قدر الحجم سنة ١٩٨٥ بـ ٦,٤ وفى سنة ٢٠٠٠ بـ ٦,٣ وفى سنة ٢٠٢٥ بـ ٥,٨ مليون نسمة ٠

وملخص القول هنا أن الدول الصناعية أو المتقدمـــة صناعيـا لا تعـانى كمثيلتها في العالم الثالث من زيادة السكان بل على العكس تماما فان الكثير منـــها تدل تقديرات علماء السكان على أن حجم السكان سيتعرض للنقص خلال السنوات القادمة في الوقت الذى يعد دخل الفرد كافيا لتقديم مستوى اجتمـــاعى اقتصـــادى مقبول اجتماعيا وتزداد فيها حصيلة الدخل القومى نتيجة لازدياد معـــدل الانتـــاج وزيادة الواردات فيها فضلا عن تحسن مستوى الخدمات في المجتمع ٠

ثانيا : سكان البلـــدان الناميـــــة :

الملفت للنظر أن حجم سكان البلدان النامية سيتضاعف بصـــورة مذهلـــة دون مراعاة للموارد الطبيعية وطبيعة أساليب الانتاج الموجودة فنحن لا ننكـــر أن السكان في ظل وجود الامكانيات المادية يمكن أن يتم توظيفـــهم بصـــورة فعالـــة لتحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى اما فـــي غيبـــة هـــذه الامكانـــات والاطـــر الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية فان الامر يصبح تهديدا حقيقيا للواقـــع الاجتماعى والاقتصادى القائم ومنذرا بعواقـــب جد وخيمة فالزيادة في ثلث قـــرن (١٩٢٢ – ٢٠٢٥) نحو ٢٨٠٠ مليون نسمة فيها وهى زيادة فعليـــة كبـــيرة ستؤدى الى الضغط على الموارد الطبيعية والتكنولوجيا القائمة في الوقـــت الـــذى يمكن أن تتفاقم فيه ازمة الغذاء بصورة حادة وتزداد المشكلات والكوارث البيئيـــة والامراض والمشكلات الاجتماعية كالفقر والجريمـــة والتفـــاوت الطبقـــى بينمـــا

تستفحل القلاقل السياسية والخلل في انساق القيم فضلا عـــن التـــهديد المســـتمر لشبكة العلاقات الاجتماعية والانساق الاجتماعية في المجتمع ٠

وبالنظر للبيانات السكانية ففى سنة ١٩٨٥ كان حجم سكان الدول النامية ٣,٦٧٠ مليون نسمة والدول المتقدمة ١,١٧٠ مليون وفى سنة ٢٠٠٠ ســـيصل حجم سكان الدول النامية ٤,٨٥٠ مليون نسمة والمتقدمـــة الـــى ١٢٨٠ مليـــون نسمة وهكذا يزداد حجم سكان العالم حوالى ١,٢٨٥ مليون نسمة فـــي ١٥ ســـنة فقط ونصيب الدول النامية منها ١١٨٠ مليون نســـمة والمتقدمـــة ١٠٥ مليـــون نسمة وهكذا تزداد الضغوط على البلدان النامية فالمطلوب أن يتوفر لـــهذا العـــدد الغذاء والكساء والمأوى والخدمات الصحية والتعليمية والترفيهية والمواصلات ٠

والامثلة على ذلك متعددة حسبما يتضح في البيان التالى لبعـــض اجـــزاء العالم المتقدم والنامى :

جـــدول رقـــم (١)

المنطقة	١٩٩٠ بالمليون	٢٠٠٠ بالمليون	٢٠٢٥ بالمليون
غرب افريقيا	١٩٤	٢٦٧	٥٠٧
امريكا الجنوبية	٢٩٧	٣٥٥	٧٠٧
جنوب آسيا	١٢٠٠	١٤٩٦	٢١٦٢
غرب أوروبا	١٥٧	١٥٩	١٥٦
شمال اوروبا	٨٤	٨٦	٨٨
امريكا الشمالية	٢٧٦	٢٩٥	٣٣٢

ومن الواضح أن هناك فروقا ملموسة بين هذه المناطق ، ففـــى الوقـت الذى يتوقع أن يزداد فيه حجم السكان في غرب افريقيا نحو ٧٣ مليون نسمة فــي ١٠ سنوات ، وامريكا الجنوبية نحو ٥٨ مليون نسمة يتوقع أن يزداد حجم جنـوب اسيا اكثر من ٢٩٦ مليون نسمة ، وفى الوقت نفسه لا يتوقــع أن يــزداد حجــم سكان غرب اوروبا وشمال اوربا سوى ٢ مليون نســمة لكــلا منــهما وامريكــا الشمالية ١٩ مليون نسمة ٠

ولا شك أن نسق القيم التقليدى في بلدان العالم الثالث يتعاطف مع الزيادة السكانية أو يقف بحياد منها كما في معظم البلدان الناميه حيث يعد الطفل وحــده اقتصادية في المناطق الريفية والاحياء الشعبية بينما ينظر للطفــل فــي البلــدان الصناعية باعتباره مسئولية كبرى تتحمل نيرها الاسرة والمجتمع ٠

ولابد أن نستشهد ببعض الامثلة للدلالة على ذلك ففــى الصومــال علــى سبيل المثال لم يتعدى حجم السكان ٥ مليون نسمة سنة ١٩٩٠ وينتظر أن يصــل الى نحو ١٩ مليون نسمة في سنة ٢٠٢٥ ومن المعــروف أن الصومــال مــهدد بازمة حادة في الغذاء ويتعرض لكوارث مروعه نتيجة لشبح المجاعة الذى يخيــم على السكان نتيجة للتمزق السياسى والعرقى حيث يموت المئات يوميا نتيجة لذلك فضلا عن نقص معدلات الانتاج مما أدى لتدخل الامم المتحــده بصفــة مســتمره بقوافل الاغاثة لانقاذ الناس من شبح الموت ٠

وفى السودان من المقرر أن يقفز حجم السكان من ٢٢ مليون نسمة سنة ١٩٨٥ الى ٦٠ مليون نسمة ســـنة ٢٠٢٥ ولنــا أن نتصــور كــم المشــكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن يواجهها هذا البلد من الان فصاعدا نتيجــة

للتضاعف فـ حجم السكان بينما تحتاج المساحات الشاسعة من اراضيه الى موارد ماليه وخبرة فنية وتقنية كبيرة ليتمكن من اشباع احتياجات السكان فيه فضلا عما يتعرض له السلام الداخلى في السودان من تمـــزق نتيجـــة للصراعـــات الدينيـــة والقبلية والعرقية التي ازداد سعيرها في السنوات الاخيرة بينما تتباطىء معـــدلات النمو الاقتصادى بصـوره ملفته للنظر ٠

وفى قارة امريكا ينتظر أن يقفز حجم سكان السلفادور من ٦ مليون الـــى ١١ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ والمكسيك من ٧٩ مليون نسمة الى ١٥٠ مليـــون سنة ٢٠٢٥ ٠

أما في امريكا الاستوائية فان سكان البرازيل ينتظر أن يرتفع حجمهم مـــن ١٣٦ مليون نسمة الى ٢٤٦ مليون نسمة خلال هذه الفترة ٠

ويعنى هذا أن الزيادة السكانية في البلدان الفقيرة المحدودة والامكانـــات والتى تفتقر للتخطيط الفعال والاستثمار الامثل للامكانات يمكن أن تؤدى الى مزيـد من افقار سكان هذه البلدان من جهة وزيادة الفجوة بين مستوى الحياة في البلدان الغنية والفقيرة – فيما يتعلق بمستوى الدخل والخدمات وغيرها – مـــن جهـــة أخرى ٠

اما بالنسبة لقارة آسيا فان سكان الصين سيزداد عددهم – رغم السياسة السكانية التي تتبعها الدولة – من ١٠٦٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٥ الى ١٥١٣ مليون سنة ٢٠٢٥ ، وهكذا يزيد حجم سكان دولة واحدة ٤٥٠ مليـــون نســـمة خلال ٤٠ سنة فقط ٠

وفى اندونيسيا من المقرر أن يرتفع الحجم من ١٦٦ مليون نسمة سنة ١٩٨٥ الى ٢٨٥ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ ، وهكذا يزداد السكان نحو ١٢٠ مليون نسمة في ٤٠ سنة ، وفى الهند يتوقع أن يرتفع حجم السكان من ٧٦٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٥ الى ١٤٤٢ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ ، بزيادة تقدر بنحو ٧٠٠ مليون نسمة في ٤٠ سنة فقط .

وهكذا يزداد حجم السكان في الصين والهند وحدهما من ١٨٢٠ مليون نسمة سنة ١٩٨٥ الى ٢٩٥٥ مليون نسمة سنة ٢٠٢٥ وهذا يعني أن الزيادة ينتظر أن تتجاوز ١١٣٥ مليون نسمة في ٤٠ سنة فقط فيهما معا .

ومعنى هذا أن نصيب الفرد من الدخل القومى في هذه البلدان يتناقص فعليا مما يهدد خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية في هذه البلدان .

غير اننا نعود فنؤكد أن القضية ليست قضيه الزيادة السكانية وحدها فالظواهر السكانية لا يمكن أن تتفهم الا في ضؤ علاقتها بالموارد والامكانات الاقتصادية لمنطقة ما بل وفى ضؤ البنية الاجتماعيه الكلية والانساق الاجتماعية المختلفة كالنسق العائلى والاقتصادى والسياسى والثقافى التي تتبادل التفاعل مع البناء الكلى للمجتمع .

ثالثا : الزيادة السكانية داخل كل قارة :

[١] افريقيـــــــا :

بينما يبلغ حجم السكان في افريقيا ٧٠٨ مليون نسمة فـــي ســنة ١٩٩٤ ويتوقع أن يصل الى ١٢٠٤ مليون نسمة سنة ٢٠١٥ ، فان هناك اختلافات بيــن الاقسام المختلفة داخل القارة بحسب الجدول التالى :

جدول رقم (٢)

القسم	١٩٩٤	٢٠١٥
شرق أفريقيا	٢٢١	٣٩٠
وسط أفريقيا	٨٠	١٤٦
شمال أفريقيا	١٥٧	٢٣٣
غرب أفريقيا	٢٠٤	٣٦٤
جنوب أفريقيا	٤٦	٧١
المجموع	٧٠٨	١٢٠٤

وتوضح هذه الأرقام أن الزيادة السكانية في أفريقيا ســـتصل ألـــي ٤٩٢ مليون نسمة في ٢١ سنة والملفت للنظر أن هذه الزيادة تمثل ٣ أضعاف ســـكان أفريقيا سنة ١٩٠٠ بحسب تقدير كارسيندرز الذي قدر مجموع سكان أفريقيا فـــي مطلع هذا القرن بـــ ١٢٠ مليون نسمة ٠

[٢] أمريــكــــا :

ويبلغ حجم سكان امريكا سنة ١٩٩٤ بـــ ٧٩٢ مليون نسمة بينما يرتفــع حجم السكان ليصل ألي ٩٨٦ مليون نسمة سنة ٢٠١٥ بحسب ما يتضح مما يلي:

جـدول رقم (٣)

القسم	١٩٩٤	٢٠١٥
الكاريبى	٣٥	٤٥
وسط امريكا	١٢٤	١٧٦
امريكا الجنوبية	٣١٤	٤٢٠
امريكا االشمالية	٢٨٩	٣٤٥
المجموع	٧٦٢	٩٨٦

ومن الواضح أن الكاريبى يضم اصغر الاحجام بينما تضم امريكا الجنوبيـة اكبر مناطق التجمع السكاني في الامريكتين ومن هنا فان المتوقع أن يصل حجـــم السكان في امريكا الجنوبية الى ٤٢٠ مليون نسمة سنة ٢٠١٥ بالمقارنه بـــ ٤٥ مليون نسمة في العام نفسه لمنطقة الكاريبى .

[٣] آسيـــــا :

يصل عدد سكان آسيا سنة ١٩٩٤ الى ٣٤٠٣ مليون نسمة ، ويرتفع هذا العدد سنة ٢٠١٥ الى ٤٥١٦ مليون نسمة بينما يمكن أن نحصل علـــى صـــورة كاملة لهذه الزيادة الرهيبة اذا عرضنا الاقسام المختلفة لقارة آسيا :

جـــدول رقم (٤)

القسم	١٩٩٤	٢٠١٥
شرق آسيا	١٤١٠	١٦٦٠
جنوب شرق آسيا	٤٧٦	٦٤٥
جنوب وسط آسيا	١٣٥٣	١٩٥٤
غرب آسيا	١٦٤	٢٥٧
المجموع	٣٤٠٣	٤٥١٦

ومن الواضح أن منطقة جنوب ووسط آسيا تعد اكبر مناطق العالم كثافة سكانية حيث يصل حجم السكان سنة ١٩٩٤ بها الى ١٣٥٣ مليون نسمة ويرتفع الى ١٩٥٤ مليون نسمة سنة ٢٠١٥ ٠

ويكفي أن نذكر أن حجم سكان هذه المنطقة وحدة سنة ٢٠١٥ يعد اكبر من مجموع سكان العالم حتى نهاية الحرب العالمية الاولى الامر الذي يلفت النظر لاهمية البحث عن مصادر جديدة للطاقة ووسائل متقدمة لاستغلال المصادر الزراعية والصناعية ٠

[٤] أوروبا :

بلغ حجم السكان في قارة اوروبا ٧٢٦ مليون نسمة سنة ١٩٩٤ ومن المتوقع أن يظل هذا الرقم ثابتا سنة ٢٠١٥ وهو ما يوضح الاتجاه الذي يسود هذه القارة الصناعية من حيث الاخذ باتجاهات تنظيم الاسرة وانخفاض معدل الخصوبة وتاخير سن الزواج الى حد يصل الى عزوف العديد من الشباب عن الزواج وتكوين اسرة بحجة الرغبة في الاستقلال والهروب من المسئوليات الاسرية ٠ وفيما يلي بيان الاقسام المختلفة :

جدول رقم (٥)

القسم	١٩٩٤	٢٠١٥
شرق اوروبا	٣٠٩	٣٠٣
شمال اوروبا	٩٣	٩٧
جنوب اوروبا	١٤٤	١٤٣
غرب اوروبا	١٨٠	١٨٣
المجموع	٧٢٦	٧٢٦

ومن الواضح انه باستثناء الزيادة الطفيفة في شمال وغرب اوروبا فـــان باقى الاقسام ستشهد نقصا في حجم السكان نتيجة لنسق القيم Value System المحبذ لنقص معدل الخصوبة والاقلال من الانجاب ٠

[٥] الاقيانوسيـــــــــــــه :

بلغ حجم السكان فيها ٢٨ مليون نسمة ١٩٩٤ ، وسيصل الى ٣٣ مليون نسمة ٢٠١٥ ومن الواضح ضألة حجم السكان في هذه القارة المتسعة الارجـــاء ، وان هذا الحجم لا يقارن بالاعداد الاخرى في مناطق العالم المختلفة وفيا يلى بيـان اقسام هذه القارة :

جـــدول رقم (٦)

القسم	١٩٩٤	٢٠١٥
استراليا	١٨	٢٢
نيوزيلندا	٣,٥	٤
غينيا الجديدة	٤,٢	٦,٥
المجموع	٢٥,٧	٣٢,٥

ومن الواضح كذلك أن الزيادة السكانية المتوقعة محـــدودة للغايـــة فـــي الاعوام القادمة رغم معدلات الهجرة المتجهة الى هذه القارة وبخاصـــة مـــن دول العالم الثالث التي تحفز الشباب فيها للهجرة الى هذه القارة مما يزيد من الاعـــداد التي تنزح اليها بصورة مستمرة وبخاصة من دول العالم الثالث ٠

رابعـا : الزيادة السكانية للدول المختلفة :

[١] من الواضح أن هناك اختلافات في الحجم والنمو السكاني داخـل كل قارة فاذا قارنا بين سنة ١٩٩٤ والمتوقع سنة ٢٠٥٠ على سبيل المثال فاننـا نجد الفروق واضحة بين البلدان المختلفة داخل كل قارة ٠

ففى أفريقيا سيزداد سكان ارتيريا من ٣,٤ مليون نسمة سنة ١٩٩٤ الـى ٩.٦ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠ بينما يرتفع سكان اثيوبيا من ٥٣ مليون نسـمة الى ١٩٤ مليون نسمة خلال هذه الحقبة ٠ ولنا أن نتصور حجم السـكان الـذي سيتضاعف بمعدل يصل الى ٣ مرات تقريبا خلال ٥٦ سنة فقط ٠

وفى الجزائر سيرتفع حجم السكان من ٢٧ مليون نسمة سنة ١٩٩٤ الـى ٥٦ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠م٠ بينما سيرتفع سكان السودان مـن ٢٧ مليـون نسمة سنة ١٩٩٤ الى ٨٥ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠ ، والفرق هنا يرجـع الـى ارتفاع الوعى والتعليم ومستوى المعيشة في الجزائر عنها في السودان مما يؤدى للتكالب على الانجاب بصرف النظر عن الاثار المتوقعه والاعتبـارات الاجتماعيـة والاقتصادية التي يمكن أن تحيط بالانسان نتيجة لذلك وهو ما يسـتلزم الاهتمـام بالتنمية المتواصلة وزيادة الموارد والامكانيات من جهـة فضـلا عـن الاهتمـام بالخصائص السكانية كالتعليم والدخل والمستوى الاجتماعى الاقتصادى والخدمـات. المقدمة للسكان في بلد كالسودان من جهة اخرى ٠

وفى المغرب الذي يبلغ عدد سكانه ٢٦ مليون نسمة سنة ١٩٩٤ سـيصل حجم السكان الى ٤٨ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠م ٠

اما في الصومال الدولة التي تعاني من ضعف اقتصادى وتنخخفض فيها معدلات التنمية الاقتصادية فمن المنتظر أن يرتفع حجم السكان فيها من ٩ مليون نسمة سنة ١٩٩٤ الى ٣٢ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠م ولنا أن نتصور المجاعة المنتظرة اذا لم يتم تنمية الإنسان نفسه اى مداركه ومعارفه ومهاراته من جهة والبيئة بمواردها الطبيعة والتقنيات الموجودة بها من جهة اخرى .

[٢] وفى امريكا فان سكان كوبا سيرتفع عددهم من ١١ الى ١٣ مليون نسمة خلال هذه الفترة ، بينما سيرتفع سكان شيلى من ١٤ الى ٢٢ مليون نسمة والبرازيل من ١٥٩ الى ٢٦٤ مليون نسمة خلال الحقبة من سنة ١٩٩٤ الى ٢٠٥٠ كما سبق أن ذكرنا .

وفى الوقت الذي سيقفز فيه عدد السكان في الولايات المتحدة من ٢٦١ مليون نسمة الى ٣٤٩ مليون نسمة خلال الحقبة من سنة ١٩٩٤ الى سنة ٢٠٥٠ . فان كندا سيرتفع حجم سكانها من ٢٩ الى ٤٠ مليون نسمة خلال هذه الحقبة . والزيادة هنا زياده قليله رغم وجود هجره منظمه لها خلال السنوات الاخيره .

وغنى عن القول أن الزيادة السكانية لا تنفصل بحال من الاحوال عن اتجاهات السكان المتعلقة بالانجاب ، وعمل المرأة ، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى السائد ، والبناء الطبقي ونسق القيم والمتغيرات الخاصة بالتعليم والبناء المهنى فضلا عن معدلات الهجرة الخارجية .

[٣] وتختلف بالمثل احجام السكان في آسيا ، فالصين بلغ حجم سكانها سنة ١٩٩٤ نحو ١٢٠٩ مليون نسمة وسيصل هذا الحجـــم ســنة ٢٠٥٠ الـــى ١٦٠٦ مليون نسمة ، بينما ستشهد اليابان انخفاضا ملحوظا في معدل الخصوبـــة اذ أن حجم السكان فيها سنة ١٩٩٤ / ١٢٥ مليون نسمة وســـيصل الـــى ١١٠ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠ اى أن نسق القيم الاجتماعية سيشهد تحـــولا ملحوظـــا تجاه انقاص معدلات الانجاب بصورة تؤثر في الحجم الكلى للسكان في المجتمـــع ، وهو ما يعنى أن الدولة تتبنى سياسة اجتماعية تحبذ انقاص معـــدلات الخصوبـــة وينبثق منها سياسة سكانية واعيه تراعى هذه الابعاد الثقافية في المدى البعيد Long Term Policy.

وفى أفغانستان يحدث العكس حيث سيرتفع حجم السكان خـــلال الحقبـــة المذكورة من ١٩ مليون نسمة الى ٦٠ مليون نسمة حيث يصل التضـــاعف الـــى ٢.٢ مره خلال الفترة من ١٩٩٤ الـــى ٢٠٥٠ ، والظـــاهرة نفســها يمكـــن أن نشاهدها في ايران التي يصل حجم سكانها الى ٦٦ مليـــون نســمة ســـنة ١٩٩٤ ترتفع خلال ٥٦ سنة الى ١٦٣ مليون نسمة ، وفى الوقت الذي يرتفع فيه حجـــم سكان اليمن من ١٤ مليون الى ٤٩ مليون نسمة فان حجم سكان لبنان ســـيرتفع من ٣ مليون نسمة الى ٥ مليون نسمة فقط ، كما يرتفع سكان اســـرائيل مـــن ٥ ملايين نسمة الى ٩ مليون نسمة خلال الحقبة المشار اليـــها ، وهكـــذا نجـــد أن البلدان المختلفة في قارة آسيا تختلف في معدل الزيادة السكانية بحســـب نوعيـــة الحياة وتوجهات الإنسان ووعيه وقيمه وتفضيلاته ، وبحسب السن الذي يـــتزوج فيه الذكور والاناث والأطر الثقافيه التي يعيش في ظلها والايديولوجيه التي تســود فيه .

[٤] أوروبا : الدارس للخريطة السكانية في قـــارة اوروبـــا يلاحـــظ انخفاض معدلات الزيادة السكانية خلال الحقبة من سنة ١٩٩٤ الى ســـنة ٢٠٥٠ ففى بلغاريا ينخفض حجم السكان من ٩ مليون نسمة الى ٧ مليون نسمة ٠

وفى رومانيا ينخفض حجم السكان من ٢٣ مليون نسمة الى ٢٠ مليـــون نسمة ٠

بينما يرتفع معدل السكان في المملكة المتحدة من ٥٨ مليون نسمة الــــى ٦٢ مليون نسمة ٠

وفى فرنسا يرتفع عدد السكان من ٥٨ مليون الى ٦٠ مليون نسمة خـلال الحقبه المذكورة ٠

اما في بلجيكا فان حجم السكان الذي يبلغ ١٠ مليون نســـمة فـــي ســـنة ١٩٩٤ سيستقر كذلك عند ١٠ مليون نسمة سنة ٢٠٥٠ ، وهو ما يعنـــى كذلـــك انخفاض معدل المواليد ونقص الخخصوبة نتيجة لنسق القيم الذي يسود في هـــذه البلدان ، ويشجع على استقلال والفرديه حيث يعزف الكثير من الشباب عن الزواج الرسمى وتكوين الاسرة أو يحرصون على الاكتفاء بالطفل الأول فقط مـــع اعـــلاء قيمة الاسره الصغيره من حيث الحجم والاهتمام بتنظيم الاسره ٠

خامسا : سكان العالم العربى :

يقدر حجم سكان العالم العربى في نهاية الالفيه الثانية بنحو ٣٠٠ مليـــون نسمة اى نحو ثمانيه اضعاف ما كان عليه الحال في مطلع القرن حين قدر بحوالى

٣٨ مليون نسمة ، وقد قدر البعض سكان الوطن العربى في الربـــع الاخـــير مـــن القرن التاسع عشر بـ ٢٢ مليون نسمه (٧) .

والملاحظ بالنسبة لسكان الوطن العربى الاختلاف بين بلدانه المختلفة فـــي حجم السكان والاختلاف كذلك في المساحة الجغرافية (كم٢) الـــي تحتلـــها هـــذه البلدان بل أن الزيادة الكبيره في حجم سكان البلدان العربيه تبـــدو فـــي اوضـــح صورها منذ سنه ١٩٦٠ حتى نهاية القرن الماضى .

والجدول التالى يوضح المساحة وتقدير السكان بمقارنه سنة ١٩٦٠ بـــ ١٩٩٠ في بعض البلدان العربية :

جـــدول رقم (٧)

البلد	المساحة بالالف كم٢	١٩٦٠	١٩٩٠
مصر	١٠٠١	٢٧,٨	٥٢,٤
ليبيا	١٧٥٧	١,٣	٤,٥
السودان	٢٥٠٧	١١.٢	٢٥,٢
البحرين	١	٠,٢	٠,٥
الاردن	٩٨	١,٧	٤,٠
لبنان	١٠	١,٩	٢,٧

المصدر : حليم بركات – المجتمع العربى في القرن العشرين – بـــيروت – ٢٠٠٠ ص ٤٥ – الجهاز المركـــزى للتعبئـــة والاحصـــاء – ٥٢ : ١٩٩٠ – القاهرة – ١٩٩١ – ص ٣٢٠ : ٣٢٦ .

والملف للنظر في الجدول السابق أن مصر والسودان وهى دول تحظى بمساحات جغرافية كبيرة قد قفز حجم السكان فيهما بصوره كبيره بينما لازالت بعض الاقطار مثل البحرين ولبنان تحتفظ بمساحات جغرافية ضئيلة واحجام سكان صغيره للغايه مقارنه بالدول العربيه الكبيره الحجم ٠

وتعطينا تقديرات سكان الوطن العربى سنة ٢٠٢٥ فكره واضحة عن الزياده الكبيره في السكان التي يتوقع أن يجتازها الوطن العربى في الربع الأول من الالفيه الثالثة ، ويجسد الجدول التالى هذه الحقيقه التي يتضح فيها اختلاف معدلات الزياده الطبيعية لكل ١٠٠٠ من السكان وارتفاع معدل الخصوبه الاجمالى في هذه الدول نتيجة لاتساق القيم التقليدية التي لازالت تربط بين الرجولة والانوثه والانجاب بينما تدفع الحاجة الماديه المزيد من الاسر للتركيز على انجاب الذكور باعتبار الاطفال وحده اقتصادية يمكن الاستناد اليها في الكبر ٠

والجدول التالى يوضح تقدير السكان في بعض البلدان ٢٠٢٥ :

جدول رقم (٨)

تقدير السكان في بعض البلدان العربية سنة ٢٠٢٥

البلد	حجم السكان بالمليون	البلد	حجم السكان بالمليون
مصر	٩٠,٠	العراق	٥٠,٠
المغرب	٤٦,٠	الكويت	٤
تونس	١٤,٠	عمان	٥
قطر	٠,٠٩	سوريا	٣٤,٠
السعودية	٤٥,٠	الجزائر	٥٢,٠

المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ١٩٥٢ – ١٩٩٠ – القاهرة – ١٩٩١ – ص ٣٣٠ : ص ٣٣٦ ٠

والملفت للنظر هنا انه بعد اقل من ربع قرن ستتصدر مصر كبلد الـــدول العربية مجتمعه في حجم سكانها كما أن الجزائر والعراق والمغـرب والســعوديه ستحتفظ بحجم كبيرة يتراوح بين ٤٥ : ٥٢ مليون نسمه بينما تحتفظ بعض الدول البتروليه الغنية كالكويت وعمان وقطر باحجام سكانية متواضعة تقل احيانا عـــن مليون نسمة ، ولا تتعدى على اقصى تقدير ٥ ملايين ، وتحظى تونس وســـوريا باحجام سكانيه متوسطة مقارنة بجاراتها .

وهو ما يوضح انه رغم ارتفاع اعداد السكان في الوطـــن العربـــي الا أن هناك اختلافات ملحوظة بين بلدانه تتفاعل بدورها مع مجمل الاوضـــاع الداخليـــه والخارجيه والبنيويه في هذه البلدان .

سادســــا : توقعات الحياة عنـــد الميــــلاد :

يعكس توقع الحياة عند الميلاد في كل قارة وفى البلدان المختلفة نوعيـــة المستوى الصحى السائد وطبيعة التكوين الاقتصادى ونوعية المستوى الاجتمـاعى الاقتصادى من حيث دخل الفرد وتعليمه ومهنته وظروفـــه الســكنية والامكانـــات المتاحة في المجتمع والخدمات الصحية والتعليمية والترفيهية المختلفة ، واشـــكال الحرية والعدالة الاجتماعية ومدى احساس الناس بها ، والوعى السائد ، والعادات والتقاليد والاعراف السائدة ، وطبيعة الثقافة المادية وغير الماديـــة والمشـــكلات القائمة في المجتمع وسبل التغلب عليها ، ومدى انتشار التصنيع والتحضر والاثار المترتبه عليهما ، والهجرة الداخلية والخارجية ، واشكال الجريمـــة والانحـــراف وكيفية التعامل معها ، والمناخ السياسى والايديولوجى السائد في المجتمع والاخـــذ بالتأمينات الاجتماعية ، وسبل الرعاية المقدمة للاطفال من حضانـــات ومـــدارس وحدائق ونوادى وملاجىء ... الخ . والمؤسسات التي تقوم بالاهتمام بالشـــباب

كالاندية والحدائق ودور السينما والمسرح والمكتبات فضلا عن المؤسسات التـــي ترعى كبار السن في المجتمع ومدى الاهتمام بالاناث والقوة العاملـــة والمعوقيـــن ومعدل الفقراء في المجتمع وغيرها ٠

وفى الفترة من ٩٠ : ١٩٩٥ قدر متوسط هذا السن في أفريقيا ٥٣ عامـا فاذا اخذنا شرق أفريقيا يتراوح بين ٥٤ ســـنة فـــي اوغنـــدا و ٧٠ عامـــا فـــي موريشيوس ٠

اما في وسط أفريقيا فيتراوح بين ٤٦ سنة في انجولا ، ٥٦ ســـنة فـــي الكاميرون ٠ وفى شمال أفريقيا يتراوح بين ٥٣ عاما في الســـودان و ٦٨ عامـــا في تونس وفى جنوب أفريقيا يتراوح بين ٥٩ سنه في ناميبيـــا ، ٦٥ ســـنة فـــي بوتسوانا ٠

وفى غرب أفريقيا يتراوح بين ٣٩ سنه في سيراليون ، ٥٦ ســـنة فـــي غانا ، اما في امريكا فان متوسط العمر فيتراوح بين ٦٨ سنه في امريكا اللاتينيـــه و ٧٦ سنه في امريكا الشماليه فاذا انتقلنا للمناطق المختلفة فان توقع الحياة عنـد الميلاد يتراوح في دول الكاريبى بين ٥٧ سنه في هايتى و ٧٥ سنة في كوبـــا ٠ وبورتوريكو ٠

وفى دول وسط امريكا يتراوح بين ٦٦ سنة في السلفادور ، ٧٦ ســـنه في كوستاريكا ٠

وفى دول أمريكا الجنوبية يتراوح بين ٥٩ سنة في بوليفيا ، ٧٤ سنه في شيلى ، وفى أمريكا الشمالية يتراوح بين ٧٦ سنه في الولايـات المتحـدة ، ٧٧ سنه في كندا ٠

وهكذا تبدو الفروق هنا واضحة ومعبرة عن التقـدم العلمـى والثقـافى والاقتصادى بين هذه البلدان ، وفى آسيا يصل متوسط العمر الى ٦٤ سنه حيـث يتراوح هذا العمر في شرق آسيا بين ٦٤ سنه في منغوليا ، ٧٦ سنه في اليابـان وهونج كونج ، اما في دول جنوب شرق آسيا فان هذا المتوسط يتراوح بيـن ٥١ سنه في لاوس و ٧٥ سنه في سنغافورة ، وفى دول جنوب آسيا يـتراوح بيـن ٤٣ سنه في افغانستان ، و ٧٠سنه في كازاخستان وطاجستان ٠

اما في دول غرب آسيا فيتراوح في الدول العربيه بين ٥٠ سنه في اليمن و ٧٥ سنه في الكويت ، وفى الدول غير العربية بين ٦٦ سنه في تركيـا و ٧٦ سنه في اسرائيل ٠

اما اوروبا فان متوسط العمر يبلغ ٧٣ سنه وهو في دول شرق اوروبـا يتراوح بين ٦٨ سنه في روسيا الاتحادية و ٧١ سنه في بولندا ٠ امـا فـي دول شمال اوروبا فيتراوح بين ٦٩ سنه في استونيا ، ٧٨ سنه في السويد ٠

وفى دول جنوب اوروبا يتراوح بين ٧١ سنه في كرواتيا وبين ٧٨ سـنة في اسبانيا واليونان ٠

اما عن دول غرب اوروبا فيتراوح بين ٧٦ سنه في النمسا ، و٧٨ سنه في سويسرا .

وفى الاقيانوسية يقدر متوسط العمر بـ ٧٣ سنه حيث يتراوح بين ٥٦ سنه في غينيا الجديدة ، و ٧٨ سنه في استراليا .

وما يهمنا في النهاية أن نؤكده أن متوسط العمر وتوقع الحياة عند الميلاد هو انعكاس مباشر لمدى التقدم العلمي والتكنولوجي – الاقتصادى – الاجتماعي – الثقافى – والسياسى الذي تتمتع به دولة من الدول كما انه يختلف في العالم من حقبة زمنية لاخرى ويختلف باختلاف المناطق المختلفة في العالم فاجمالى متوسط العمر في العالم في التسعينيات كان يبلغ ٦٤ عاما غير أن الدول المتقدمة يصل متوسطها الى ٧٤ عاما في مقابل الدول النامية ٦٢ عاما بل أن ارتفاع أو انخفاض متوسط العمر ينعكس بدوره على سن الزواج ومدته ومتوسط عدد الاطفال لدى الزوجين كما يعبر عن مدى تقدم هذا المجتمع وفلسفته في الحياة .

ويهمنا قبل أن نختتم هذا الفصل أن نقف عند مجموعة من الحقائق من اهمها :

[١] أن النمو السكاني السائد في دول العالم الثالث في الوقت الحاضر يختلف عن النمو الذي حدث في اوربا الغربية خلال القرن التاسع عشر وهو ما يتضح في زياده الكثافه السكانيه والسرعة التي يتسم بها في البلدان النامية .

[٢] أن الاختلال الملحوظ بين النمو السكاني المرتفع والتقدم الاقتصادى الاجتماعى المنخفض في هذه البلدان الناميه هو نتيجة لاستنزاف مواردها بواسطه الاستعمار ونشاط رؤوس الاموال الاجنبية ودور الشركات العملاقه التي تتحكم في دوران راس المال والسلع بين بلدان العالم الثالث والمحيط الرأسمالى مع غياب التخطيط العلمى والادارة الفعاله لمواجهة الازمه بين هذه البلدان الفقيره التي شغلت قوتها الانتاجيه بانتاج المواد الزراعيه والمنجميه الخام لارضاء المحيط الرأسمالى مما أدى الى تشويه واضح في الهياكل الانتاجيه لهذه البلدان والبحث عن حلول جزئيه لازماتها المتزايده .

[٣] استفاد العالم الثالث من التقدم الكبير في مجال الطب الوقائى والعلاجى بينما ظل المناخ الثقافى المشجع لارتفاع معدل المواليد دون أن يتأثر بصوره فعليه مما أدى للضغط السكاني على الموارد المحدودة المتاحة مع اطلاق اليد في الاستدانه من العالم الرأسمالى الخارجى الذي يفرض شروطه الجائرة مما يكبل الاقتصاد الوطنى في البلدان الفقيره بمزيد من القيود والتحديات بمرور الوقت فهى مهمومه بسد فوائد الدين بشكل مستمر .

[٤] أن الزيادة السكانيه الكبيره في العالم الثالث لا ينبغى أن تفسر في ضوء عدم التناسب بين معدل المواليد المرتفع ومعدل الوفيات المنخفض كما يذهب لذلك علماء الديموجرافيا ، ولا في ضوء عدم التكافوء بين النمو السكاني المرتفع والموارد الاقتصادية المحدوده كما يقول اصحاب الاتجاه المالتسى الجديد بل انها تجسد مشكلة التخلف الاقتصادى الاجتماعى في هذه الدول وتبرز الفجوه بين النمو السكاني المرتفع وتخلف التنظيم

الاجتماعى السائد في هذه البلدان فالفجوه هنا نتيجه للتخلف وليست ســـببا له (٨) ٠

///////////////////////////////////////

[[المصـــــادر]]

[١] الجهاز المركز للتعبئة العامة والاحصاء - الكتاب الإحصـــائي الســنوى يونيو ١٩٨٦ ، يونيو ١٩٩١ ، يونيو ١٩٩٥م .

[٢] رمزى زكى – المشكلة السكانية – عالم المعرفـــة – الكويــت ع ٠ ٨٤ – ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٧٤ .

[٣] الجهاز المركزى – الكتاب الإحصائي ١٩٩٠ ص ٣٢٨ : ص ٣٣٨ .

[٤] الجهاز امركزى – الكتاب الإحصائي ١٩٩٥ ص ٤١٢ .

[٥] رمزى زكى – المصدر السابق ص ٧٤ ، ص ٧٥ .

[٦] الجهاز المركزى – الكتاب الإحصائي ١٩٩٥ ص ٤٠٠ : ص ٤١٧ .

[٧] حليم بركات – المجتمع العربى في القرن العشـــرين – مركــز دراســات الوحده العربيه – بيروت ٢٠٠٠ – ص ٤٢ .

[٨] رمزى زكى - المشكله السكانيه – عالم المعرفه - الكويــت – ١٩٨٤ ص ٢٩١ : ص ٤٠٦ .

الفصل الثالث

الخصوبة والمجتمع

لم ينشغل علماء السكان بظاهرة سكانية اكثر من انشغالهم بقضية الخصوبة فقد رأى مالتس Malthus أن قوة السكان في التزايد اعظم من قوة الارض في الانتاج اذ أن الخصوبة تتم بحسب متواليه هندسية ×(١ ، ٢ ، ٤ ، ٨) بينما تتزايد الارض بحسب متوالية حسابية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) وبالتالى فان الطبيعة عليها أن تفرض قيودا على نمو السكان حتى يتم التعادل بينهما(١) ٠

وكان مالتس يرى انه من الضرورى تطبيق الموانع الوقائية كتأخير سن الزواج للحد من الزيادة السكانية اما المالتسية الجديدة فتركز على أن العالم سيواجه انفجارا سكانيا خطيراً بمرور الوقت ٠ الامر الذي يؤدى الى ابطاء النمو الاقتصادى في العالم الثالث ، وهكذا تدور البلدان الكثيفة السكان في حلقة مفرغه للفقر ٠ واذا كانت غالبية بلدان العالم الثالث تعانى صعوبة بالغة في تغذية نفسها مع انها بلدان زراعية الا أن استربوزريب قد اوضح أن الضغط السكاني الكبير في بعض البلدان كان عاملا محور بالنجاح الزراعة الكثيفة ٠

والامر الذي لا شك فيه أن النظرية السكانية ارتبطت بتيارات فكرية كانت سائده اذ أن روبرت مالتس كان يضع في حسبانه انه مهما ادت الشهوة الجنسية الى ارتفاع معدلات الخصوبة فعلى الإنسان أن يدرك أن الطبيعة ستتدخل في رفع معدلات الوفيات أو ما اسماه عوامل البؤس التي تؤدى الى نقص معدل المواليد ، وعلى الإنسان أن يبادر بانقاص معدل المواليد بعدم الانغماس في الرذيله والضبط الاخلاقى ٠

وقد اسهم مقال مالتس الأول [١٧٩٨] والثانى [١٨٠٣] في ازكـــاء الجدل بين المحافظين نحو بلوغ الكمال ولم يدر بخلد الاب تومــــاس مــالتس أن القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين سيشهد ثوره فعليـــه فـــي العالم الغربى من حيث استخدام وسائل تنظيم الاسرة وان معدلات السكان تعـــانى في بعض بلدانه من النقص الشديد في النمو السكاني بصورة لم تك متوقعه مـــن قبل ٠

وتتلخص وجهه نظر النظريات الطبيعية في علم السكان فـــي أن هنـــاك شيئا كامنا في طبيعة الاشياء أو الطبيعة أو العالم المحيط – يحدد نموه في اتجـاه خارج سيطره الإنسان الى حد كبير ، وهى النظريات التي قدمها سادلر ، وبـــيرل وريد ، ودبلداى وكاسترو واصحاب الرؤية التطورية امثال هربرت سبنسر وهكـذا ظلت النظريات الطبيعية تلهث في البحث عن قوانين طبيعية تحكم نمـــو الســكان اسوه بالعلوم الطبيعية على اعتبار أن الخصوبة ترجع لعوامل بيولوجيـــه لا قبـل للانسان للسيطرة عليها وكأن هذه النظريات جميعاً قد خلطــــت بيـــن الخصوبـــة الفعلية Fertility والقدرة الفيزيقية على التناســـل Fecundity حيـــث اعتقـد اصحابها أن نقص الخصوبة هو ذاته انخفاض فـــي القـــدرة البيولوجيـــه علـــى الانجـــــاب (٢) ٠

ويرى اصحاب الاتجاهات الثقافية أن احد أو وبعض العنـــاصر الثقافيـــة تتحكم في الخصوبة فقد اوضح ديمون أن الخصوبة تتناسب عكسيا مع الارتقـــاء الاجتماعى فيصبح الزوج والزوجه اقل اهتماما بموضوع الانجـــاب اذ ينشــغلان بالتقدم الشخصى لهما عن خلف الاولاد ٠

ويعتقد ستربنرج Sternbery ، وبرنشتين ، وسومبارت Sombart أن انخفاض معدل الخصوبة يرجع للعقلية الرأسمالية والروح الحضرية التي تسعى لتحسين المستوى الاجتماعى للاسرة اكثر منها بالخلف .

كما أن فرانك فيتر Fetter وهادلى يعتقدان أن الفقراء اقل اقداما على اقلال عدد اولادهم حيث يحرصون على تشغيل اولادهم والانتفاع باجورهم .

وبينما حاول البعض امثال برنتانو Brentano الربط بين التقدم العلمى والتكنولوجى في المجتمعات الصناعية وخفض معدل الخصوبة .

يربط البعض من امثال كونتر ويوليى بين انتشار الخرافات في الريف وبين الخصوبة المرتفعة بالنسبة للشرائح المختلفة بيما ربط كورادوجينى بين ثقافة الثراء والثقافة الحضرية ونقص الخصوبة .

كما أن النظريات الاجتماعية التي تبنت الاتجاه الاجتماعى تحاول الربط بين الخصوبة والنظم الاجتماعية الاخرى وخاصة الاسرة والطبقات الاجتماعية والبناء الاجتماعى بصفة عامة (٣) ففى النظرية الماركسية تؤدى الزيادة السكانية الى ازدياد الكفاية الانتاجية وزيادة اهمية تقسيم العمل ، والاقتصاد هو العامل المستقل الذي يتحكم في الخصوبة كما أن لكل اسلوب من أساليب الانتاج قوانينه المتعلقة بالخصوبة .

بينما يرى park وتايلور Taylor أن الخصوبة والعدد الامثل للسكان في المجتمع ترتكز على الامكانيات والموارد الطبيعية والبشرية في اى مجتمع

واوضاعه البيئية والثقافية ، ويعنى ذلك أن خصوبة السكان تتطور في الوسط الكلي وترتبط بالاوضاع الاجتماعية والاقتصادية اى السكان بصفاتهم السكانية المختلفة (٤)٠

فالوضع المهنى والتعليمى للزوج والزوجه ، واعمارهم ، ونمط التنشئة الاجتماعية الذى ناله ، والمستوى الاجتماعي والاقتصادى للاسرة ، ونمط المجتمع المحلى الذي يعيش فيه (حضرى / ريفى / بدوى) ، ونسق القيم الذي تستظل به ، رالفتره بين انجاب الاطفال ، ونوعيه الابناء المفضلين ، وايديولوجيه المجتمع الذي تعيش فيه الاسرة تعد من الامور الاساسية التي تتفاعل مع ظاهرة الخصوبة (٥) ٠

وتعتقد سونيا كوريا Sohia Correa وريبكار شمان Rebecca Reichmann في مؤلفها المعنون ، " Population and Reproductive Rights " انه حتى في المجتمعات الزراعية التقليدية عرف الناس كيف يلجأون لاجراءات بعينها للتحكم في معدلات الخصوبة وان هذا بعينه ما تقدمه الشواهد التاريخية في العديد من المجتمعات (٦) ٠

ويطلق مصطلح الخصوبة على المعدل الفعلى للمواليد ويشير الى معدل انجاب الاطفال في المجتمع حيث يتصل هذا بالعديد من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة المختلفة ٠

وإذا استعرضنا معدلات المواليد والوفيات في القارات المختلفة لاتضح لنا أن هناك اتجاه ملحوظا في السنوات الاخيرة لخفض معدل المواليد الى ٤٣ في

الالف بالنسبة لافريقيا ، والى ٢٧ في الالف بالنسبة لاسيا ، و ١٣ في الالف بالنسبة لاوروبا ، ومن الواضح كذلك أن اتساق القيم المتصلة بالسلوك الانجابى واستخدام وسائل تنظيم الاسرة يمكن أن يفسر لنا اختلاف هذه المعدلات بين نسبة الإناث المتزوجات في أفريقيا اللواتى يستخدمن وسائل منع الحمل ونسبتهن ٢٧% في أفريقيا بينما نسبتهن ٧٤% في امريكا الشمالية ٠

وتكشف لنا معدل الوفيات عن اهتمام القارات المختلفة باتباع اجراءات واساليب الطب الوقائى والعلاجى فقد انخفض معدل المواليد بصورة واضحة من ١٩ الى ١٣ في قارة أفريقيا (الحقبة من سنة ١٩٧٤ الى ١٩٩٤) ويصل هذا المؤشر من ١٣ الى ٨ في الالف في آسيا بينما بلغ معدل الوفيات في قارة اوروبا ١١ في الالف ، وادى هذا بالتبعية الى انخفاض معدل الزيادة الطبيعية التي لا تزيد عن ٢ في الالف ١٣ - ١١ = ٢ في الالف في بعض بلدان اوربا ٠

ويعد المواليد عنصرا أساسيا من عناصر حجم السكان في المجتمع ويعتمد حجم المواليد في الحقيقة على عدد الزيجات في المجتمع ، والسن عند الزواج ، ومدى استخدام وسائل منع الحمل فضلا عن العوامل الاجتماعية الاخرى كتعلم واشتغال النساء والوضع الاجتماعى الاقتصادى للاسرة ٠

ومن الاهمية بمكان الاشارة هنا الى مفهوم الخصوبة Fertility وهو المفهوم الذي يتناول السلوك الانجابى للزوج والزوجه والذى يترجم من خلاله عمليه انجاب الاطفال وعدد هؤلاء الاطفال وكذلك سبل التعامل مع الابناء ، ويجب الا نخلط بين معدل المواليد أو ما يطلق عليه معدل المواليد الخام (وهو عدد المواليد الاحياء لكل ١٠٠٠ من السكان في سنة معينة) وبين معدل النمو (وهو

المعدل الذي يشير الى ما يطرأ على حجم السكان من زيادة أو نقصان في ســـنة بعينها) بسبب الزيادة الطبيعية ،

وهناك عدة طرق لقياس معدل الخصوبة في المجتمع ومـــن بيـــن هـــذه الطرق : –

١] معدل المواليد الخام – الذي سبق ذكره – وتتلخص في المعادلة التالية :

$$\frac{\text{عدد المواليد}}{\text{إجمالي السكان}} \times ١٠٠٠ =$$

ففي قطر عام ١٩٩٣ كان

$$\frac{\text{عدد المواليد } ١١,٠٠٠ \times ١٠٠٠}{\text{إجمالي السكان } ٥٠٠,٠٠٠} = ٢٢$$

٢] معدل المواليد المعدله ويتضمن عدد المواليد الاحياء (صفر - ١) لكـــل ألف من النساء في سن الحمل (١٥ - ٥٠) ويعد هذا المعدل اكثر تنقيحا من معدل المواليد الخام لانه ينسب المواليد الى النساء في سن الحمـــل ، وهكذا يكون هذا المعدل اكثر دقة ودلالة اى أن المعدلة تتضمن :

$$\frac{\text{عدد المواليد } \times ١٠٠٠}{\text{عدد النساء في سن الحمل}}$$

وفى تونس كان

$$\frac{\text{عدد المواليد } ١٩٩٤٥٩ \times ١٠٠٠}{\text{عدد النساء } ١٥ - ٥٠ \text{ سنه } ١٨٩٤٣٦٣} = ١٠٥,٣$$

أى انه في تونس سنة ١٩٨٩ كان هنـــاك ١٠٥ مولـــودا لكـــل ١٠٠٠ امرة بينما بلغ هذا المعدل في اليمـــن ٢٤٠ مولـــودا حيـــا لكـــل ١٠٠٠ أمرأة سنة ١٩٩٠ (ويعد هذا المعدل من أعلى المعـــدلات فـــي

العالم) وقد سجلت اليابان معدلا منخفضاً جدا بلغ ٤٠ مولودا لكل ١٠٠٠ أمرأة في سن الحمل ٠

٣] معدل الخصوبة العمرية : ويتناول معدل مواليد النساء في حقبة عمرية معينة وفى الحقبة العمرية ٢٠ – ٢٤ سنة بالنسبة لمجموع النساء في المجتمع ٠

وتتضمن المعادلة :

$$\frac{\text{عدد المواليد للنساء (٢٠ – ٢٤ سنه) } \times \text{ ١٠٠٠}}{\text{مجموع النساء في فئة العمر ٢٠ – ٢٤ سنة}}$$

وفى تونس كان
$$\frac{\text{عدد المواليد سنة ١٩٨٩ = ٤٤٠٠٠ } \times \text{ ١٠٠٠}}{\text{عدد النساء في الفئة ٢٠ – ٢٤ سنة ٣٨٠,٠٠٠}} = \text{١١٥,٨}$$

اى أن هناك ١١٦ مولودا حيا لكل ١٠٠٠ أمرأة تتراوح اعمارهن بين ٢٠ – ٢٤ سنه في تونس ١٩٨٩م ٠

وفى بورندى بلغ عدد المواليد الاحياء ٢٧١ لكل ١٠٠٠ أمرأة في فئة العمر ٢٠ – ٢٤ سنه ١٩٨٧ ، بينما كان هذا المعدل ١٤٠ في شيلى وفى استراليا سنه ١٩٩٠ و ١٤٤ لكل الف امرأة في المرحلة العمرية ٢٠ – ٢٤ في المغرب ٠

❄ ❄ ❄ ❄ ❄

وهناك ما يعرف بمعدل الخصوبة المكتملة ويتضمن عدد الاطفال الذين تنجبهم المرأة خلال فترة انجابها وعندما يطبق هذا المقياس على مجموعة من

النساء اللاتى بلغن ٤٩ سنه فاكثر فان هذا يشير الى العدد الكلى للاطفال الذيـــن يمكن انجابهم خلال الفترة المحتملة للانجاب ٠

ومن الواضح أن المرأة الافريقيـــة تحتفـظ بـاعلى نسـبة للخصوبـة المكتملة ٠

وفى تونس اتضح أن هذا المعدل سنة ١٩٩١ قد بلغ ٣.٣ ٠

ويوجد كذلك ما يعرف بمعدل الخصوبة الصافية وهو متوسط عدد الإنـاث اللاتى يمكن أن تنجبهن المرأة طوال فترة حياتها وتكشف المقارنـــة هنـا عـن الاختلاف بين البلدان في معدل الخصوبة الصافية والاختلاف في المجتمع الواحـد من فترة لاخرى كما يتأثر هذا المعدل بمعدل وفيات الاطفال الرضع ٠

جدول رقم (٩)

يوضح معدل الخصوبة الصافية في مصر ١٩٩٠/٨٥

البلد	معدل الخصوبة الصافية ١٩٩٠/٨٥
مصر	١,٧
الاردن	٢,٨
اليمـــن	٢,٧

ارثر هويت وتوماس كين – دليل السكان الصادر عن مكتب السكان – واشـنطن – ١٩٩٤ ، ص ١٣ : ص ١٨ ٠

وهذا يعني أن عدد الإناث اللاتي يستخلفن امهاتهن فـــي الاردن واليمـــن اكثر منها في مصر مما يؤدى لزيادة ملحوظه في معدل الانجاب ٠

ويمكننا أن نتناول هنا معدل الخصوبة الكلي الذي يشير الى متوسط عـدد الاطفال الذين تنجبهم امرأة واحدة خلال حياتها لسنه ١٩٩٤ للاشارة الى الفروق بين البلدان المختلفة في هذا المعدل ٠٠

جدول رقم (١٠)

يوضح معدل الخصوبة الكلى على مستوى العالم والقارات المختلفة ومعدل المواليد لكل ١٠٠٠ شخص سنه ١٩٩٤

البلـــــد	معدل الخصوبة الكلى	معدل المواليد لكل ١٠٠٠ شخص
العالم	٣,٢	٢٥
الدول المتقدمة صناعيا	١,٧	١١
الدول النامية	٣,٦	٣٨
أفريقيا	٥,٩	٤٢
امريكا الشمالية	٢	١٦
امريكا الجنوبية	٣,١	٢٦
آسيا	٣,١	٢٥
اوروبا	١,٦	١٢
الاوقيانوسية (استراليا ونيوزيلانده)	٢,٦	٢٠

ويتضح من هذا الجدول ارتفاع معدل الخصوبة الكلـــي وارتفــاع معــدل المواليد على مستوى العالم ، ومن المعروف أن العالم يستقبل في الدقيقة الواحدة نحو ٢٧٠ مولودا جديدا ٠

يتضح الفرق الواضح بين الدول المتقدمه صناعيا وغيرها مـــن الـــدول النامية ففى الوقت الذي يبلغ فيه معدل الخصوبة ١,٧ ٠ومعدل المواليد الخـــاص ١١ في الدول المتقدمة يصل هذا المعدل الى ٣,٧ ومعدل المواليد الـــى ٢٨ فـــي الالف في الدول النامية الامر الذي يلفت النظر الى ابعاد الزيـــادة الســـكانية فـــي العالم الثالث وهو ما يؤدى للعديد من الآثار الاجتماعيه والاقتصاديـــة فـــي هـــذه الدول ٠

واذا قارنا بين القارات التي تضم معظم البلدان الناميـــة (فـــي أفريقيـــا وأمريكا الجنوبية وآسيا) لاتضحت لنا معالم الظاهرة التي يطلق عليها الانفجـــار السكاني اذ يصل معدل الخصوبة في أفريقيا الى ٥,٩ ومعدل المواليد الخام الـــى ٤٢ في الالف (وهو من اعلى المعدلات في العالم) ويصل في امريكا الجنوبيـــة واسيا الى معدلات متماثلة بينما يقل فـــي الاوقيانوســـية بعـــض الشـــئ (٢,٦ للخصوبة ، ٢٠ لمعدل المواليد الخاص) ٠

وتفصح المعدلات في امريكا الشمالية وأوروبا عن معـــدلات تقـــل عـــن سابقتها فهى في امريكا الشمالية ٣ لمعدل الخصوبة ، و ١٦ للمواليد الخـــاص ، وفى اوربا ١,٦ للخصوبة ، و ١٢ لمعدل المواليد الخاص وهو ما يوضح كذلـــك أبعاد المشكلة التي تواجه اوروبا من حيث الانخفاض الواضح في معدل المواليـــد في السنوات الاخيرة ٠

جدول رقم (١١)

المقارنة بين بعض البلدان بالنسبة لمعدل الخصوبة

ومعدل المواليد الخام سنة ١٩٩٤

البلد	معدل المواليد	معدل الخصوبة	البلد	معدل المواليد	معدل الخصوبة
الصومال	٥٠	٧	لبنان	٢٥	٢,٩
السودان	٤٤	٦,٤	اندونيسيا	٢٥	٣,٠
ليبيا	٤٢	٦,٤	الصين	١٨	٢,٠
بوليفيا	٣٧	٥	فنلندا	١٠	١,٨
الاردن	٣٨	٥,٩	اليونان	١٠	١,٤

يتضح من هذا الجدول أن معدل المواليد يتراوح في هذا الجدول بين ٥٠ في الصومال و ١٠ في الالف في فنلندا واليونان ٠

ومن الواضح أن الاختلاف في المعدلات هنا تعكس بدورها اختلاف الثقافات والعادات والتقاليد وبخاصة ما تعلق منها برؤى العالم بصفه عامة والسلوك الانجابى بصفة خاصة ٠

والواضح كذلك ارتفاع معدل المواليد في السودان وليبيا وبوليفيا والاردن وهى جميعا – باستثناء ليبيا – من البلدان الفقيرة التي ينخفض فيها دخل الفرد ٠

ونلاحظ أن معدل الخصوبة والمرتبط بالانجاب الفعلى يصل الى اقصاه (٧ ابناء) في الصومال ويقل قليلا حتى يصل الى ٦,٤ % في كلا من السودان وليبيا لسيادة انساق القيم التقليدية التى تساند كثرة الانجاب .

بينما يقل معدل الخصوبة في بوليفيا وفى الاردن ، وفى اندونيسيا ولبنان حيث يتقارب معدل الخصوبة ، ومن المعروف أن انخفاض الخصوبة في الصين هو نتيجة لالزام الدولة للاسرة بعدم انجاب اكثر من طفلين بينما يقل عن ذلك في فنلندا واليونان .

❄ ❄ ❄ ❄ ❄

وما من شك أن ثمه علاقه بين تعليم المرأة وانخفاض معدلات الخصوبة وازدياد الاقبال على ممارسه تنظيم الاسرة والاهتمام بالصحة الانجابية للاطفال(١٠) وهو ما اوضحته دراسات هوبكرافت Hobcraft عن تعليم المرأة (١٩٩٣) وكليلاند Cleland عن تعليم مالام وتحسين فرص بقاء الاطفال (١٩٩٠) ، ومارتن Martin عن تعليم المرأة والخصوبة (١٩٥٠) .

وقد افصحت الدراسات التي اجراها رشمان وغيره في المكسيك أن ارتفاع مستوى تعليم المرأة يصحبه انخفاض معدل الخصوبة وهو ما اكدته دراسات توان Toan وغيره من الخبراء في فيتنام ، ولا تختلف نتائج مسح الخصوبة العالى في كولومبيا عما سبق ذكره اذ اتضح أن اهم محددات تحسين صحة الطفل وتخفيض معدلات وفيات الاطفال الرضع يتمثل في تعليم الزوجه .

وقد اوضحت بعض الدراسات المصرية أن السيدات الاكثر تعليما يرتبطن عاده بازواج ذوى تعليم عالى وتملن الى العيش في المناطق الحضرية وذوات مستوى اقتصادى اعلى (يزيد بزيادة سنوات التعليم) ويملن للزواج في سن متأخر نسبيا عن اقرانهن غير المتعلمات وهن يرغبن في انجاب عدد اقل من الاطفال يقل عن ٣ اطفال عادة ويقبلن على الاستخدام الأفضل للخدمات الصحية مما ينعكس على بقاء الاطفال على قيد الحياة (٧) .

وتلعب العوامل الاجتماعية والثقافية دورا هاما في تحديد معدل الخصوبة . ففى مصر على سبيل المثال توجد فروق واضحة بين الريف والحضر حيث تفضل الاسرة كبيره العدد في المناطق الريفية وخاصة في ريف الوجه القبلى حيث اوضح المسح الديموجرافى الصحى لعام ١٩٩٥ زيادة معدلات الانجاب الكلية بين السيدات في ريف محافظات الوجه القبلى عن مثيلتها في ريف الوجه البحرى والمحافظات الحضرية حيث تصل هذه المعدلات الى ٥,٢ ، ٣,٢ ، ٢,٨ طفل في هذه المناطق على التوالى حيث تصل لادنى معدل لها في المناطق الحضرية وهى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والسويس .

ومن الدراسات الهامة كذلك في هذا المجال دراسة اجتماعية عرضت لعلاقة انماط الزواج في مصر بمستويات الخصوبة وقامت بها جيهان عزيز حيث استنتجت الباحثه[٦]أن متوسط عدد الاطفال المولودين على وجه العموم للازواج الاقارب هو ٤,٢ بالمقارنة بـ ٣,٦ في المتوسط للازواج الغير اقارب ، وان عدد الأطفال الاحياء حاليا لدى الازواج الاقارب اقل لدى الازواج الاقارب عنه لدى المتزوجات من غرباء حيث اتضح أن ٦٢% من الازواج الغير اقارب قد سبق لهن استخدام الوسائل مقارنة بـ ٤٩% فقط من الازواج الاقرباء . وقد فسرت

احدى الدراسات هذا بأن المتزوجه بقريبها تدعى انه قد يعترض منذ البداية علـى استخدام وسيله لمنع الحمل أو الاكتفاء بعدد محدود من الابناء بعكس المتزوجـه بغريب حيث تتمكن عادة من مناقشته والتعبـير عـن وجهـه نظرهـا واقناعـه بظروفها الصحية والنفسية والاوضاع التي يجتازانها معا فتقدم - كنتيجه لذلك - على استخدام وسيله لتنظيم الاسرة (٨) ٠

وتشير النتائج بصفه عامة الى انتشار زيجات الأقارب بين قاطنى الريـف في مصر وبخاصة ريف الوجه القبلى ، وكلما انخفض المسـتوى التعليمـى زاد احتمال الزواج من اقارب بل أن الزواج بين الاقارب يحدث في سن اصغـر مـن الزواج بين الغرباء (٩) ٠

ومما لاشك فيه - كما اوضحت الدراسات المختلفة - أن السـيدات فـي المناطق الحضرية في دول العالم الثالث ينلن رعايه صحية اثناء الحمل بنسـبة تفوق امثالهن في المناطق الريفية (١٠) ٠

وقد اوضحت احدى الدراسات الحديثة في المجتمع المصرى أن الـولاده تمارس بواسطة طبيب أو ممرضه في المناطق الحضرية اكثر منها في المنـاطق الريفية حيث تتم الولاده عادة في المنزل في ريف الوجـهين القبلـى والبحـرى وتتلقى السيدات في المناطق الحضرية وفى محافظات الوجـه البحـرى عمومـا رعاية صحية طوال فترة الحمل كما يتم تطعيم النساء ضد مرض التيتانوس٠

وقد ورد في تقرير التنمية البشرية في مصر لسـنه ١٩٩٦ أن متوسـط العمر عند الزواج يصل الى ٢٥ سنه في المتوسط (١١) ٠

وهكذا يعكس لنا مفهوم الخصوبة Fertility العديد من المعطيات الهامة المتعلقة بالانجاب والسلوك الانجابى ، وتساعدنا هذه المعطيات في الربط بين الانجاب والتعليم والعمل لاسيما تعليم واشتغال الانثى والمستوى الاجتماعى - الاقتصادى والمناخ الاجتماعى والثقافى السائد ونسق القيم في المجتمع الذي نقوم بدراسته كما تتضح لنا كذلك طبيعه الفروق الريفية - الحضرية وطبيعة الثقافات الفرعية في المجتمع التي يتمثل اثرها في تحديد السن الانسب للزواج والعدد المفضل للاطفال واستخدام أو عدم استخدام وسائل تنظيم الاسرة ٠

وقد ظهر في السنوات الاخيرة مفهوم الصحة الانجابية Reproductive Health للعناية بصحه الام والطفل اذ أن المرأة يمكن أن تلعب دورا في العناية بصحة جميع افراد الاسرة وبخاصة الاطفال ويتضمن ذلك الصحة البدنية للمرأة وتصور المرأة لظروفها الصحية وكرامتها الاجتماعية المترتبطة بالانجاب فضلا عن انواع الخدمات التي ينبغى أن يقدمها المجتمع للعناية بصحتها الانجابية في فترة الحمل والولاده (١٢) ٠





[١] ثروت اسحق – علم الاجتماع ودراسة السكان – دار المعرفة الجامعــة – الاسكندرية – ١٩٩٣ – ص ٤٧ ٠

[٢] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى – دراسات في علـــم الســكان – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٧ – ص ٦١ : ص ٧١ ٠

[٣] على عبد الرازق جلبى – علم اجتماع السكان – دار المعرفة الجامعيــة – الاسكندرية – ١٩٨٤ – ص ٢٤٨ : ص ٢٤٩ ٠

[٤] ثروت اسحق – المصدر السابق – ص ٧٥ : ٨٢ ٠

[٥] يستشهد جلبي بدراسات كيسر Kiser ولوريمر Lorimer واســبورن Osbern وهى الدراسات التي تربط بين نقص معدل الانجاب بين السكان الذين ينتمون للمهن العليا اذا قورن بالمهن الدنيا ٠

ودراسات نوتستاين Notestein وهاتشنسون Hutchinsen وهــاجود Hagood التي حاولت أن تربط بين الخصوبة والوضع الطبقــى حيــث يحظى اصحاب الوضع الطبقى البسيط باسر كبيرة الحجــم مقارنـــة مــع الاسر الثرية ٠

كما عرض للدراسات التي اجريت على النسق الاسرى للاســره في الهند وسيلان وتايوان وبورتوريكو والتى ابرزت أن تمركز الســلطة في يد الذكر وسيطرته قد ادى فــي هــذه البلــدان الــى زيــادة معــدل الخصوبة ٠ (المصدر السابق ذكره ص ٢٦٣ : ص ٢٨٤) ٠

[6] Sonia Correa in Collebration with Rebecca Reichmann, population and Reproductive Rights, Zed books Ltd London, New Jersey, 1994. P.10

[٧] خديجة دندش واماني رفعت – تعليم المرأة وعلاقته بالصحة الانجابية وصحة الطفل في التقرير النهائى للمسح الديموجرافى الصحى ١٩٩٥ – المجلس القومى للسكان – القاهرة – ١٩٩٨ – ص ٢ ، ص ٣ ، ص ٢١ ، ص ٢٢ ٠

[٨] جيهان عزيز فاضل – أنماط الزواج المصرى والسلوك المتعلق بالخصوبة – في المصدر السابق الاشارة اليه – ص ١٣٧ ٠

[٩] – أنماط الزواج المصري – في المصدر نفسه ص ٢٥٤ ٠

[١٠] الجمعية المصرية لرعاية الخصوبة – استخدام خدمات رعاية الامومة بين السيدات – في المصدر نفسه – ص ٢١٤ ٠

[١١] معهد التخطيط القومى – مصر – تقرير التنمية البشرية – ١٩٩٦ – القاهرة ١٩٩٨ – ص ١٤١ ، ص ١٤٧ ٠

[١٢] هند خطاب – المعاناة الصامته – اليونسيف عمان – ١٩٩٢ ٠



الفصل الرابـــــع

الخصائص الطبيعية والاجتماعية للسكان

سبـــق أن ذكرنا أن الدراسة العلمية للسـكان تـهتم بمجموعــه مــن المحاور هي :

١] حجم السكان : وتعني به مجموع السكان وتفسير ما يطـرأ علـى هـذا المجموع من زيادة أو نقصان سواء على مستوى العـالم أو القـارات أو بعض الدول (كالدول العربية أو دول الشـرق الأوسـط) أو مـن خـلال تصنيفها الى مجموعة الدول المتقدمة صناعيا ودول العالم الثالث أو علـى مستوى دول واحدة أو حتى بمقارنة الولايات والمحافظات التـي تضمـها هذه الدول ٠

٢] توزيع السكان : وما يطرأ على هذا التوزيع من تغيرات سـواء علـى مستوى القارات أو البلدان أو المجتمع نفسه ، ويدخل فيها توزيع السـكان بين ريف وحضر وباديه وهلمجرا ٠٠٠٠

٣] خصـائص السكان : سـواء كانت هذه الخصائص خصائص طبيعيـة (فيزيقية) كالسن والنوع أو خصـائص اجتماعيـة وثقافيـة (كـالتعليم والمهنة والحالة الزواجية ومستوى الدخل) ولا شك أن هذه الخصـائص بدورها ليست ثابتة إذ أن معدل الاطفال أو معدل الشباب أو الشـيوخ قـد يتغير بمرور الوقت وكذلك نسبة الذكور للإناث فضلا عن نسـب التعليـم والتركيب المهني والاجور والرعاية الصحية اذ يمكن أن تتحسن الاوضـاع أو تسوء بمرور الوقت كما تختلف هذه الخصائص من حقبه لاخـرى فـي المجتمع ٠

وسنعرض فيما يلي لبعض الخصائص الطبيعية والاجتماعيـــة لايضـــاح الابعاد المختلفة المتصلة بهذه المتغيرات وهذه الخصائص هى :

1] السن والنوع كمثال للخصائص الطبيعية .

2] الوضع الاقتصادى والحالة الزواجية كثال للخصائص الاجتماعية (*)

أولا : الخصائص الطبيعيـــــــة :

1] توزيع السكان بحسب فئات السن والنـــــــوع :

مقدمه :

هناك خصائص طبيعية للسكان لا يمكن اغفالـــــها اذ أن توزيـــع ســـكان المجتمع بحسب اعمارهم ونوعهم (ذكور / اناث) من الاســـس الهامـــة لفـــهم طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع المدروس ، ونقصـــــد بكونـــها خصائص طبيعية انها خصائص غير مكتسبة مثلها كمثل الخصائص الاجتماعيـــة والثقافية الاخرى كالتعليم والمهنة والوضع الطبقـــى ومحـــل الإقامـــة والانتمـــاء الحزبى وغيرها . ومع هذا فان هذا المتغيرات " الطبيعية " لا تعمل فـــي عزلـــة عن غيرها من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وهـــي تختلـــف مـــن مجتمع لاخر وفي المجتمع نفسه من حقبه لاخرى ولا يتســـنى دراســـتها الا فـــي اطار البناء الاجتماعى Social Structure ونسق القيم في المجتمع الذي نقـــوم بدراسته ويعنى هذا ببســـــاطه أن الســـكان يتأثرون بوجـــودهم في بيئة معينه

(*) آثرنا استخدام تعبير الوضع الاقتصادى للدلاله على بعض المؤشرات التي تـــرد فـــي مجلدات السكان والتى درج على اســـتخدامها الجـــهاز المركـــزي للتعبئـــة العامـــة والاحصاء بمصر كالحالة العملية التي تصور حالة العامل وعما اذا كان يعمـــل لـــدى الغير أو يباشر العمل بنفسه ، والموقف من قوة العمل كأن يعمل باجر أو بدون اجـــر أو لا يدخل في قوة العمل (كربات البيوت) ونوع العمل الذي تقوم به المؤسسه وهو ما يطلق عليه النشاط الاقتصادى الخ ... .

فيتفاعلون معها ايكولوجيا ويعملون في مناكبـها مـن خـلال علاقـات الانتـاج والاستهلاك ، ويعيشون في تجمعات قرابية ، ويتفقـون علـى وجـود ضوابـط سلوكيه فينشأ ما يعرف بنسق الضبط الاجتماعي ، ويلتزمون بمقاييس قيمية فـي شتى مجالات الحياة فيسود نسق القيم الذي يلتزم به السكان ٠

ومن هنا فان التعرض للخصـائص الطبيعيـة والفصـل بينـها وبيـن الخصائص الاجتماعية المكتسبة يتم هنا بصورة تعسفية بقصد الدراسة فحسـب فالظواهر السكانية تعمل في اطار البنية الاجتماعية والطبيعية والاوضاع البيئيـة والايكولوجيه التي تضمها ٠

<u>١]</u> <u>توزيع السكان بحسب فئات السن</u> :

من المستحيل أن نرى اى مجتمع انسانى يخلو من تمثيل الاطفـال والشباب والشيوخ ومن ثمه فان هذه التقسيمات الطبيعيـة توجـد فـي اى مجتمع دون استثناء وان اختلفت معدلاتها من مجتمع لاخر ٠

ومن المسلم به كذلك أن الشباب وهم القوة العاملة فـي المجتمـع وطاقته الانتاجيه وهم بدورهم يعولون صغار وكبار السـن فـي المجتمـع Dependents وهم الذين يعتمدون في اعالتهم على الفئة المنتجـه (الشـباب) التي ترعاهم والتى على عاتقها كذلك يقع عبء اعالتهم Independents ٠

وقد درج علماء السكان على تقسيم السكان الى فئات خمسية أو عشـرية (٥ سنوات أو ١٠ سنوات) لتسهيل عملية المقارنة بين الفئات المختلفة ففـى عام ١٩٦٨ كانت نسبة الاطفال (٥ سنوات فاقل) تصل الـى ٤% فـي امـاره

موناكو (٢% ذكور ، ٢% اناث) بينما كانت هذه النسب في مصر سـنه ١٩٧٠ ١٥% (٨% ذكور و ٧% اناث) ٠

وفي سنه ١٩٧٠ كانت نسبة السكان الذين تقـل اعمـارهم عـن ١٠ سنوات ١٦% في فرنساوالمانيا الغربية واليابان بينما كانت هذه النسـبة ٣٤% في غانا والسودان ٠

وهناك تصنيفات اخرى لتقسيم السكان الى قاعدة سكانية تضم الاطفـال الذين تقل اعمارهم عن ١٥ سنة ومرحلة الشباب (١٥ – ٤٥ سنه) ومرحلة ما قبل الشيخوخة (٤٥ – ٦٠ سنه) ثم مرحلة الشيخوخة (٦٠ سنه فاكثر) ٠

وفي امارة موناكو سنه ١٩٦٨ كانت هذه النسب على التوالى : ١٣% ، ٣٦% ، ٢١% ، ٣٠% اما في جزيرة كريسمس سنه ١٩٧١ فكانت هذه النسـب على النحو التالى : ٣١% ، ٥٦% ، ١١% ، ٢% اما عن مصـر سـنه ١٩٧٦ فكانت هذه النسب كما يلى : ٤٠% ، ٤٣% ١١% ، ٦% ومع تجـاوز اختـلاف سنوات التعداد فان مصر استحوذت على اكبر قاعدة سكانية اقل من ١٥ سـنه ، واستحوذت كريسمس على نسبة كبيرة من الشباب ، وحظيت امارة موناكو علـى نسبة كبيرة لمرحلة ما قبل الشيخوخه ٠ غير أن جميع هذه البلدان قد اتفقت فـي ضآلة نسبة المسنين مما يعكس انخفاض متوسط العمر فيها ٠

ويطرح بعض علماء الديموجرافيا تقسيما آخر يقسم سكان المجتمع الـى اقل من ١٥ سنه ثم ١٥ – ٥٠ سنه (القوة المنتجة) و ٥٠ فأكثر لكبار السـن ومن في حكمهم ٠ ويطلق على هذه المعادلة الاخيرة معادلة التوازن السكاني ٠

وقد اوضحت الدراسات السكانية في ذلك انه في البلدان المتقدمة صناعيا ترتفع الاعمار الوسطى (الشباب) وكذلك كبار السن بينما تنخفض نسبة الاعمار المبكرة (اقل من ١٥ سنه) نظراً لانشغال الزوجه الى جانب الزوج بالعمل خارج المنزل ، وارتفاع المستوى الاقتصادى للاسرة ، والتطرف في اســتعمال وســائل تنظيم الاسرة والاجهاض ، وتقدم الطب الوقائى والعلاجى ، وارتفـــاع المســتوى التعليمى والوعى الاجتماعى ، وسيادة نسق القيم الذي يعلى من شـــأن الاســرة الصغيرة .

وعلى العكس من هذا ففى البلدان المتخلفة صناعيا ترتفع عادة معــدلات الخصوبة بينما يقل متوسط توقع الحياة عند الميلاد ويقل معدل كبار السن نتيجــة لنقص الرعاية الطبية وفى هذه البلدان ترتفع نسبة الامية وتزداد اعداد الفقـــراء وينتشر الزواج المبكر ، وتميل الاسر الفقيره لتشغيل اولادهم في ســـن صغـــيره وبذلك يصبح الطفل وحده اقتصادية معينة لاسرتها رغم ضآله ما يحصل عليه من دخل وما يلاقية من صاحب العمل من عنت واذلال .

وهناك نمط ثالث من المجتمعات التي توصف بانها لم تدخل بعد في عداد البلدان المتقدمة صناعيا بعد فهى تجاهد للخروج من دائرة التبعيـــة الاجتماعيـــة والاقتصادية واللحاق بركاب التقدم ويظهر ذلك في الارتفاع النسبى فـــي النمـــو الاقتصادى كما يزداد حرصها على أن تتوازن معدلات التصدير والاستيراد وهـــى تجاهد للتغلب على مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية بدفع عجلـــة التنميـــة مـــع الاقلال من الاعتماد على القروض ، وهناك امثله عديدة لهذه الدول حيث يتمكـــن أن نجد شواهدها في بعض دول آسيا وافريقيا ، وفى هذه الدول ينخفض نســـبيا معدل الخصوبة الاجمالى فلا يتعدى ٢% ويرتفع متوسط عمر الفرد فيـــها ، واذا

عدنا للتصنيف الاخير لتقسيم المجتمعات الى قاعدة سكانية تقل فيها الاعمار عن ١٥سنة وفئة وسطى من ١٥ - ٥٠ سنه ثم فئة تزيد الاعمار فيها عن ٥٠ سنه (أى معادلة التوازن) فان علماء السكان قد قاموا بوضع التصور التالى للنسب الخاصة بكل فئة :

نوع الدوله	القاعدة	الشباب	كبار السن	المجموع
دوله نامية	%٤٠	%٥٠	%١٠	١٠٠
دول في طريقها للتقدم	%٣٣	%٥٠	%١٧	١٠٠
دوله متقدمة صناعيا	%٢٠	%٥٠	%٣٠	١٠٠

ومعنى هذا ببساطه أن ٤٠% من حجم السكان في الدول النامية هم من الاطفال وهو ما يعبر عنه بول آر وإرليك بقولهما " أن جماهير الصغار في الدول النامية هم بارود الانفجار السكاني " ومع اننا نرى في هذه النغمه صوره المالتسية الجديدة كما يذكر رمزى زكى الاقتصادى الشهير الا أن العبارة ليست خاطئة تماما ،

وتقل نسبة الاطفال الى اجمالى حجم السكان في الدول المتقدمه صناعيا الى ٢٠% ويرجع ذلك الى نسق القيم في هذه البلدان الذي يعلى من شأن الاسرة الصغيرة ولعل هذا ما اتضحت معالمه في المناقشات التي دارت في مؤتمرات السكان في عام ١٩٧٤ ، ١٩٨٤ ، واخيرا في مؤتمر السكان والتنمية المنعقده في القاهرة عام ١٩٩٤ والتى اوضحت اختلاف وجهة نظر الدول النامية عنها بالنسبة للدول الغنية فيما يتعلق بقضية الخصوبة والسلوك الانجابى في الشرق والغرب حيث يتهم الغرب دول العالم الثالث بانها سبب الانفجار السكاني بينما تتهم الدول النامية الدول المتقدمة بانها السبب الرئيسى في الآثار المدمره التي

لحقت البيئة ، وهناك العديد من الدول الذي وضع نصب عينيـــة تحقيـــق النمـــو الاقتصادى ودفع عجله التنمية مع العمل على خفض معـــدلات النمـــو السـنوى للسكان في الوقت نفسه وهى الدول التي لا يتجاوز فيها معدل صغار السن عـادة ثلث الحجم الكلى للسكان (٢٨% : ٣٣%)

وفى الوقت نفسه فان من تصل أعمارهـــــم الـــى ٥٠ سـنه فـاكثر تتراوح نسبهم بين ١٠% (وهى نسبة منخفضة للغاية) في العديد من الـــدول الفقيرة والمتخلفة و ١٧% في الدول التي تهتم بدفع عجلة التنميـــة فـــي شـتى المجالات ويزداد فيها الاهتمام بالطيب الوقائى والعاجى ، واخيراً ٣٠% بالنسـبة للدول المتقدمة صناعيا ويزداد فيها أساليب الرعاية والاهتمام بكبار الســن فــي المجتمع .

والجدول التالي (٩)

يقارن بين التوزيع العمرى في الدول المتقدمة والنامية سنه ١٩٨٠

نوع الدول	التوزيـــــــع		
	أقل من ١٥	١٥ – ٦٥	٦٥ فأكثر
جميع الدول المتقدمة	٢٣	٦٦	١١
الولايات المتحدة (كمثال)	٢٣	٦٦	١١
جميع الدول النامية	٣٩	٥٧	٤
كينيا (كمثال)	٥١	٤٦	٣

المصدر: البنك الدولي – تقرير نمو العالم ١٩٨٤ – اكسفورد – ص ٦٧ .

والملاحظ في هذا الدول ضآله نسبة السكان الذين تقل اعمارهم عن ١٥ سنه في الدول المتقدمة اذ يقل حجم الاطفال عن ربع المجموع الكلى سواء في الدول المتقدمة صناعيا بصفة عامة أو في الولايات المتحدة الامريكية (كمثال) .

اما بالنسبة للدول النامية فأن القاعدة السكانية تصل الى ٣٩% والقـوى المنتجة ٥٧% ويقل حجم فئة كبار السن في المجتمع بينما يزيد حجم الاطفال فـي كينيا ليصل الى اكثر من نصف مجموع السكان وتقل نسبة القوى المنتجة فتصـل الى ٤٦% بينما تتدنى نسبة كبار السن الذين تبلغ اعمارهم ٦٥ سنه فاكثر اذ لا تتعدى ٣% من المجموع الكلى للسكان .

وفيما يلى تصنيف سكان المجتمع المصرى على امتداد سنوات مختلفـة منذ ١٩٦٠ حتى ١٩٨٦ بحسب فئات معادلة التوازن السكاني .

جدول (١٠)

توزيع السكان في مصر من ١٩٦٠ : ١٩٨٦

السنة	صفر – ١٥	١٥ – ٥٠	٥٠ فأكثر	المجمـــوع
١٩٦٠	٤٣	٤٥	١٢	١٠٠
١٩٧٠	٤١	٤٦	١٣	١٠٠
١٩٧٦	٤٠	٤٧	١٣	١٠٠
١٩٨٦	٤٠	٤٨	١٢	١٠٠

يتضح لنا من الجدول السابق أن نسبة القاعدة السكانية اقل من ١٥ سنه بدأت في التناقص من ٤٣% الى ٤٠% وان شريحه الشباب قـد ارتفعـت مـن ٤٥% الى ٤٨% غير أن القاسم المشترك خلال الفترة الممتدة من ١٩٦٠ الـى

١٩٨٦ هو ضخامة القاعدة بما يعكس ارتفاع معدل الخصوبة وانخفاض نسبة السكان الذين تزيد أعمارهم عن ٥٠ سنه مما يوضح انخفاض متوسط عمر الإنسان ويدل على انخفاض الاهتمام بكبار السن في المجتمع مع انخفاض الاهتمام بالرعاية الصحية في الريف والمناطق الصحراوية بصفة عامة ٠

ومع أن احصاء سنه ١٩٩٦ قد اوضح أن القاعدة السكانية تصل الى ٣٥% غير أن الامر يحتاج الى المزيد من التقصى والدراسة المتمعنه ٠

والمجتمع المصرى يحتاج للاهتمام بالطفولة التي ترتفع معدلاتها الى توفير المدارس والمستشفيات ودور الحضانة فضلا عن الاهتمام بمرحلة الشباب من حيث توفير فرص العمل والمساكن والمسارح ودور السينما والمكتبات والمعاهد والجامعات كما أن الاهتمام بانشاء المصانع والمؤسسات الانتاجية من شأنه أن يشبع احتياجات هذه الفئة ، ومن الواضح أن الشباب هم القوة العاملة في المجتمع وطاقته الانتاجية وهم بدورهم يتولون اعالة صغار وكبار السن الذين يعتمدون في اعالتهم على فئة الشباب التي ترعاهم ٠

وقد اوضحت الدراسات الديموجرافية أن البلدان المتقدمة صناعيا تتميز بانتشار الاعمار الوسطى أو الشباب وترتفع فيها بالمثل نسبة كبار السن بينما تنخفض نسبة الاعمار المبكرة الاقل من ١٥ سنه (أو معدل المواليد) في هذه البلدان مع انتشار التصنيع والحضرية والتقدم الاقتصادى المصاحب للتقدم الطبى وزيادة الاهتمام بالخدمات لاسيما الخدمات الصحية والتعليمية ووسائل النقل والمواصلات والاسكان ، وقد ازداد معدل الاطفال في البلدان المتخلفة صناعيا حيث يقل معدل كبار السن لنقص الرعاية الصحية وينخفض كذلك معدل الفئة التي

نطلق عليها ما قبل الشيخوخه (٤٥ – ٦٠ سنه) ، وغنى عن القول أن انتشار الزواج المبكر يؤدى الى تضخم معدل المواليد في مثل هذه المجتمعات وعادة ما نلاحظ انخفاض مستوى المعيشة وهذه البلدان ويطلق على هذه المجتمعات الشابة Youth حيث يتركز الثقل السكاني في القاعدة ومرحلة الشباب المبكر .

والأمر الملفت للنظر في مصر انخفاض نسبة كبار السن في التعدادات المختلفة والجدول التالى يوضح نسب السكان في مصر حسب احصاء عام ١٩٩٦ حيث يتضح لنا انخفاض معدل الاطفال (اقل من ١٥ سنه) وزيادة حجم السكان في فئة السن من ١٥ – ٦٠ سنه ، وانخفاض الفئة ٦٠ سنه فأكثر .

جدول (١١)

توزيع السكان حسب فئات الأعمار سنه ١٩٩٦ في المجتمع المصري

الفئة	%
اقل من ١٥ سنه	٣٥
١٥ – ٦٠ سنه	٦٠
٦٠ سنه .. فاكثر	٥
المجموع	١٠٠

ومن الواضح أن الشريحة التي تقع في سن الانتاج ١٥ – ٦٠ تتميز بالكبر في المجتمع المصرى غير أن توقع الحياة عند الميلاد بالسنوات قد بلغ ٦٦ سنه (١٩٩٣) وهذا المتوسط يقل عن مثيله في دول غرب اوربا والامريكتين وعن مثيله في استراليا وفى بعض بلدان آسيا كذلك (١) .

ونخلص من هذا أن توزيع السكان بحسب اعمارهم يعكس المستوى الاجتماعي – الاقتصادي ويجسد الثقافة السائدة ، والخصوبة ، والسلوك الانجابي ، والفروق الريفية – الحضرية والوضع الصحي والتعليمي ، والوعي الاجتماعي السائد ، وانماط الزواج والامن الاجتماعي ونمط الشخصية في المجتمع موضوع الدراسة .

٢] توزيع السكان بحسب النوع :

تختلف نسبة الذكور الى الإناث من مجتمع لاخر وفي المجتمع نفسه من حقبة زمنية لاخرى حيث يرجع ذلك العديد من العوامل منها :

أ] الهجرة الى المجتمع من خارجة وحيث تكون نسبة كبيرة من المهاجرين عادة من الذكور وكان هذا واضحا في الولايات المتحدة حينما استقبلت اعدادا كبيرة من المهاجرين اليها .

وهو الامر الذي نلاحظه الان في بعض دول الخليج – وهى الدول الصغيرة من حيث حجم السكان والتى ازد د عدد المهاجرين فيها – والامثلة هنا كثيرة ففى الكويت والامارات وقطر والبحرين تزداد اعداد القوة العاملة النازحة الى هذه البلدان الى جملة سكانها مما يشجع هذه البلدان في الوقت الحاضر على الاستغناء تدريجيا عن الاعداد الكبيرة المتجهة للعمل فيها على أن يحل محلها ابناء القطر نفسه .

والجدول التالى يوضح هذه الظاهرة في الكويت حتى عام ١٩٨٠ :

جدول رقم (١٢)

الأعداد الإجمالية لسكان الكويت والقوة العاملة النازحة حسب النوع

السنة	إجمالي السكان		السكان غير الكويتيين	
	ع٠ الذكو	ع٠ الإناث	ع٠ الذكو	ع٠ الإنك
١٩٥٧	١٣٢٠٥٨	٧٤٤١٥	٧٢٩٠٤	١٩٩٢٧
١٩٦١	٢٠٠٧٠٧	١٢٠٩١٤	١١٦٢٤٦	٤٣٤٦٦
١٩٦٥	٢٨٦٣١٢	١٨١٠٢٧	١٧٣٧٤٣	٧٣٥٣٧
١٩٧٠	٤١٩٨٨١	٣١٨٧٨١	٢٤٤٣٦٨	١٤٦٨٩٨
١٩٧٥	٥٤٣٧٦٨	٤٥١٠٦٩	٣٣٠٣٣١	٢٢٣١٦٠
١٩٨٠	٧٧٦٥٤٣	٥٨٠٤٨٠	٤٩٦١٢١	٢٩٦٢٦٦

المصدر : ابراهيم سعد الدين ومحمود عبد الفضيـــل - انتقـــال العمالـــة العربية ص ١٣٧ ٠

ونلاحظ في هذا الجدول ازدياد تدفق المهاجرين للكويت نتيجة لاكتشـــاف البترول وتحسين مستوى المعيشة نتيجة لارتفاع ثمن برميـــل البـــترول بمـــرور الوقت وبخاصة بعد حرب ١٩٧٣ مما أدى الى تنمية اجتماعية وعمرانية شـــاملة في هذا القطر الشقيق وهو ما شجع على الاستعانة بقوه عاملة مدربه من البلدان العربية المجاورة التي تفيض قوتها العاملة عن حاجة تلك المجتمعات مع وجـــود اغراءات مادية تدفعها الى النزوح للخارج لتحسين احوالـــها الماديـــة والوفـــاء بالتزاماتها المجتمعية في بلدان الارسال ٠

ب] الهجرة من المجتمع الى خارجه حيث يطلق على هذا المهاجر للخارج Emigrant ولا شك أن هذه الظاهرة تؤدى بدورها للخلل في نسبة الذكور الى الإناث في المجتمع .

والجدول التالى يوضح اعداد المهاجرين للخارج من بعض الدول العربية الى بعض الدول العربية البترونية سنه ١٩٨٠

جدول (١٣)

الدولة	ع. المهاجرين	دولة	ع. المهاجرين	المجموع
مصر	١,٠٠٥٦٥٠٠	السودان	٨٤٤٧٠	--
اليمن (الشمالى والجنوبى)	٥٩٠٢٧٠	المغرب	٧٧٠٠٠	--
الاردن وفلسطين	٢٦١٥٠٠	عمان	٣٣١٥٠	--
سوريا	٧٢٦٠٠	العراق	٢١٥٠٠	--
لبنان	٦١٨٥٠	الصومال وغيرها	٢٣٩٠٠	--
المجموع	٢٠٤٢٧٢٠		٢٤٠٠٢٠	٢٢٨٢٧٤٠

المصدر : ابراهيم سعد الدين ومحمود عبد الفضيل – انتقال العمالة العربية ص ٧٠ .

ومن الواضح أن معظم افراد القوة العاملة المتجهة للعمل بالدول البترولية من الذكور مما يغير من معدلات الذكور الى الإناث في المجتمع وبخاصة في سن الانتاج (١٥ : ٦٠ سنه) بل ومن المعروف أن النسبة الغالبة من المهاجرين تتراوح اعمارهم بين ٢٠ : ٤٠ سنه (١٨) .

كما انه مما لا شك فيه أن المجتمعات التي شهدت هجره باعداد كبيرة منها كمصر واليمن ستتأثر باكثر من مثيلاتها كسوريا ولبنان وغيرها التي تقل فيها الاعداد المهاجرة لدول النفط نتيجة لتمتعها باعداد سكانية متواضعة الحجم .

جـ] الحروب ، ولهذا العامل اثره لانه يؤدى في العادة الى زيادة نسبة الإناث عن نسبة الذكور ، ولا يزال اثر هذا العامل واضحا في بعض البلاد الاجنبيه نتيجة الحرب الثانية فاذا قارنا عدد الإناث لكل ١٠٠٠ ذكر سنه ١٩٧١ في مجموعة من البلدان لاتضحت بجلاء هذه الظاهرة ففى مصر كان عدد الإناث ٩٨٢ بينما بلغ في دولة كاليابان في السنة نفسها ١٠٣٦ ، وفى المانيا الشرقية ١١٦٦ وفى المانيا الاتحادية ١٠٩٤ وفى الاتحاد السوفيتى – الذي ضحى بـ ٢٥ مليون نسمه خلال الحرب الثانية وحدها – ١١٦٦ .

وفى النمسا بلغت نسبة الإناث سنه ١٩٥٩ ٥٣% في مقابل ٤٧% للذكور وفى امارة موناكو سنه ١٩٦٨ ٥٥% للإناث في مقابل ٤٥% للذكور اما في جزيرة كريسمس فكانت ٣٦% للإناث مقابل ٦٤% للذكور سنه ١٩٧١ .

ولا شك أن هذا يوضح دور الحروب في الخلل الذي يحدث بين الذكور والإناث في المجتمع .

د] انتشار ممارسه وسائل وضبط النسل اذ قد يؤدى ذلك الى زياده نسبة الذكور على الإناث وذلك حينما تكتفى الكثير من الأسر بالمولود الأول واحتمال كون هذا المولود ذكرا اكبر من احتمال كونه انثى ذلك لانه من الواضح أن نسبة الذكور الى الإناث اكبر بين المواليد عموما (٢) .

وتهمنا معرفة نسبة الذكور الى الإناث في المجتمع لان الظروف الاجتماعية والاقتصادية تتأثر بهذه الفروق فاذا كانت نسبة الذكور اكبر من نسبة الإناث وخاصة بين الفئات المؤهلة للزواج فان النتيجة المنتظره هى انخفاض نسبة المتزوجين من الذكور بالنسبة لمجتمع اخر تكون فيه نسبة الإناث أعلى ٠ وقد وجد في الولايات المتحدة عامة أن نسبه المتزوجين من الذكور (اقل في المناطق الريفية عنها في المناطق الحضرية) بينما في مصر على سبيل المثال تبلغ نسبة الذكور المتزوجين سنه ١٩٦٠ ٧٢% للذكور انخفضت الى ٦٧% سنه ١٩٧٦ اما الإناث فان النسبة قد انخفضت من ٦٨% الى ٦٥% (٣) ٠

ويرى الكثير من علماء السكان أن الاختلال الواضح في نسبة الذكور للإناث يؤدى بصوره غير مباشرة لانحراف النوع الذي تزيد معدلاته عن معدلات النوع الاخر في المجتمع مما يخلق فجوه ملحوظة ، ويفصح احصاء السكان في مصر عام ١٩٨٦ على أن نسبة الذكور الى مجموع السكان بلغت ٥١% مقابل ٤٩% للإناث حيث يتفوق الذكور في المرحلة العمرية اقل من ١٥ سنه ٢٠,٧% ذكور ، ١٩.٣% اناث ، وفى المرحلة العمرية ١٥ -٦٠ سنه ٢٧,٢% ذكور / ٢٦,٦% أناث بينما تساوت نسبة الذكور مع نسبة الإناث في مرحلة الشيخوخه (٦٠ سنه فاكثر) ٣,١% للإناث وهذا يعنى أن نسبة الذكور للإناث تختلف في الفئات العمرية (الاطفال والشباب وكبار السن) وفى سنه ١٩٧٠ كانت النسبة في مرحلة السن ١٥ - ٦٠ سنة في مصر ٢٦% للذكور ومثلها للإناث (٢٦%) بينما هذه النسبة في كريسمس ٤٨% للذكور و ١٩% للإناث اى أن معدل الذكور في القوى العاملة بجزيره كريسمس يزيد عن ضعف معدل الإناث ٠

وغنى عن القول انه حين يختل التوازن بين نسبة الذكور ونسبة الانـــاث في المجتمع يؤدى هذا للعديد من الاثار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتسـمى المعادلة المستخدمة في الحصول على نسبة الذكور للاناث أو نسبة الاناث للذكور بنسبة الذكوره وتأتى من قسمه عدد الذكور ÷ عدد الاناث في المجتمع مع ضـوب حاصل القسمه × ١٠٠٠ .

وفي سنه ١٩٧٦ كان عدد سكان مصر ٣٨١٩٨٢٠٤ وكان عدد الذكـور ١٨٦٤٧٢٨٩ وعدد الاناث ١٧٩٧٨٩١٥ ويمكن تطبيق المعادلة كالاتى :

$$\text{نسبة الذكوره} = \frac{\text{ذ} - ١٨٦٤٧٢٨٩}{\text{أ} - ١٧٩٧٨٩١٥} \times ١٠٠٠ = ١٠٣٦$$

ويعنى هذا انه لكل ١٠٠٠ أنثى ١٠٣٦ من الذكور .

كما أن نسبة الأنوثة على العكس من هذا حيث نحصل عليها من قســمه مجموع الاناث ÷ مجموع الذكور مضروبا في ١٠٠٠

$$\text{نسبة الأنوثة} = \frac{\text{أ} - ١٧٩٧٨٩١٥}{\text{ذ} - ١٨٦٤٧٢٨٩} \times ١٠٠٠ = ٩٦٤ \text{ انثى}$$

ويعنى هذا أن لكل ١٠٠٠ من الذكور ٩٦٤ انثى . (٤)

وتختلف نسبة الأنوثة في مصر من تعداد لاخر ففى سنه ١٩٨٢ كــــانت النسبة ١٠٠٦ بينما كانت في سنه ١٩٦٠ (٩٨٨) انثى لكل ١٠٠٠ ذكر .

وغنى عن القول أن نسبة الذكوره تتأثر بـ ٣ عوامل ديمرجرافية هـــي الهجرة ، نسبة الذكوره بين المواليد ، ونسبة الذكوره بين الوفيات وتأثير عـــامل الهجرة واضح تماما بينما ترتفع النسبة العامة كذلك اذا انخفضت نسبة الذكـوره بين الوفيات حيث يتضح لنا ارتفاع نسبة الذكوره بين المواليد لشدة الحرص على انجاب الذكور وانخفاض نسبة الذكوره بين الوفيات نظرا للاهمية التـــي يحتلـــها الذكر في الاسرة وارتفاع مكانته داخل المجتمع .

ومن المعروف أن ازدياد نسبة الذكور يعنى عادة ارتفاع مكانته واقدامـــه على الزواج المبكر والحرية النسبية في اتخاذ قرارات الانجاب ، وضخامة معـــدل المواليد على حيث قد يعنى زيادة نسبة الاناث ارتفاع مكانه المرأة والاقدام علـــى تعليم الفتاه والحاقها بسوق العمل ، وتأخر سن الزواج ، والاخذ بوسائل تنظيـــم الاسرة بصوره جاده ، ومشاركه المرأة بفاعلية في الهيئات الاهلية وفى العمـــل التطوعى مع زياده مشاركتها الاجتماعية والسياسية في المجتمع . (٥)

وقد افصح حصر سكان العالم سنه ١٩٩٤ عن أن نسبة تقدر بـ ٣٣% يشغلون قاعدة الهرم السكاني الذين تقل اعمار السكان فيه عن ١٥ سنه وبينمـــا يتراوح هذا المعدل بين ٢٠% في الدول المتقدمة صناعيا و ٣٦% أو اكثر فـــي الدول النامية كما أن هذه " القاعدة " تصل في المتوسط الى ٤٥% فـــي أفريقيـــا وتبلغ ٣٣% في قارة آسيا ، ٢٢% في امريكا الشـــمالية ، ٣٦% فـــي امريكـــا اللاتينية ، ٣٥% في امريكا الجنوبية بينما يصل الى ٢٠% في اوربـــا و ٢٦% في الاوقيانوسية واستراليا ومعنى هذا ارتفاع معدل الخصوبة في أفريقيـــا بينمـــا تحتل امريكا اللاتينية والجنوبية مكانة متوسطة ، وتتضاءل هذه القاعدة السكانية في اورباواستراليا وامريكا الشمالية اذ أن نسق القيم في هذه المجموعة الاخـــيرة

من البلدان لا يشجع بدوره على تكوين اسرة كبيرة الحجم على اعتبار أن انجاب الاطفال بمثابة مسئولية كبيرة ويزكى ذلك تعليم وخروج المرأة للعمل ، وتتراوح قاعدة الهرم السكاني كذلك بين ٣٥% الى ٥٠% في مصر والمغرب وغينيا والجزائر والعراق وسوريا والضفة الغربية واليمن بينما تتراوح بين ١٥% الى ١٩% في اليابان والدانمرك والمملكة المتحدة والنرويج والنمسا وهولندا والمجر واسبانيا .

اما عن معدل كبار السن الذين تزيد اعمارهم عن ٦٥ سنه فان نسبتهم تصل الى ١٢ في كندا وارجواى واستراليا واوكرانيا و ١٥% في المانيا وبلجيكا وسويسرا وفرنسا و١٨% في السويد بينما تصل الى ٤% في مصر والجزائر والمغرب وموريتانيا وغينيا الاستوائية وبيرو وكولومبيا ، ولا تتعدى هذه النسبة ٢% في السودان وجيبوتى وزامبيا وكينيا .

وهكذا تتضح لنا من خلال الخريطة السكانية للأعمار أن ثمه علاقة وطيده بين تركز السكان في قاعدة وقمه الهرم السكاني (وهو الشكل المعبر عن تصنيف السكان حسب السن والنوع) والمستوى الاجتماعي والاقتصادي والصحي كذلك في المجتمع المدروس .

وهناك تقاربا ملحوظا بين نسبة الذكور ونسبة الاناث في المجتمع المصرى ويظهر هذا في الاحصاءات المختلفة منذ عام ١٩٨٢ حتى ١٩٩٦ .

جدول رقم (١٤)

توزيع أعداد الذكور والإناث في مصر ونسبة الذكور

في الإحصاءات (١٨٨٢ : ١٩٩٦)

سنة التعداد	الذكور بالمليق	الإناث بالمليون	المجموع	نسبة الذكورة
١٨٨٢	٣.٣	٣,٤	٦,٧	٩٩,٣
١٨٩٧	٤,٩	٤,٨	٩,٧	١٠٣,٣
١٩٠٧	٥,٦	٥,٦	١١,٢	١٠٠,٨
١٩١٧	٦,٤	٦,٣	١٢,٧	١٠٠,٢
١٩٢٧	٧,٠٠	٧,١	١٤,١	٩٩,١
١٩٣٧	٨.٠٠	٨,٠٠	١٦,٠٠	١٠٠,٠٠
١٩٤٧	٩,٤	٩,٦	١٩,٠٠	٩٨,١
١٩٦٠	١٣,٠٠	١٣,١	٢٦,١	١٠١,٢
١٩٦٦	١٥,٢	١٤,٩	٣٠,١	١٠١,٢
١٩٧٦	١٨,٧	١٨,٠٠	٣٦,٧	١٠٣,٧
١٩٨٦	٢٤,٧	٢٣,٦	٤٨,٣	١٠٤,٩
١٩٩٦	٣٠,٨	٢٩,٨	٦٠,٦	١٠٣,٠٠

المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصار – كتاب الجيب الإحصائي اكتوبر ١٩٩٢ – ص ٣١ ، ص ٣٢ كما احتسبت سنه ١٩٩٦ من واقع بيانات تعداد السكان لعام ١٩٩٦ الصادر عن الجهاز المركز للتعبئة العامة والاحصاء.

وتفصح نسبة الذكورة عن نقص النسبة لكل ١٠٠ انثى سنه ١٨٨٢ ومن الواضح أن التعداد خلال هذا العام لا يمكن أن نتثبت من صحة ارقامه فهو

التعداد الأول في مصر وقد تزامن مع دخول الاستعمار الانجليزى الى مصر والنكبه التي حدثت للجيش المصرى وتردى الاوضاع الاقتصادية بصفه عامة مما سهل لانجلترا دخول مصر واحتلالها ٠

وكادت نسبة الذكور تتساوى مع نسبة الإناث في سنوات ١٩١٧ ، ١٩٢٩ ، ١٩٦٠ ٠ اما خلال سنوات التعداد الاخرى فان نسبة الذكورة ترتفع بشكل نسبى عن نسبة الإناث في المجتمع ٠

ومن المعروف أن تقارب نسبة الذكور الى الإناث يؤدى الى الانسجام في معدل الزواج والى المساهمة معا في قوة العمل ٠ كما انه داخل المجتمع نفسه تختلف نسبة الذكور والإناث من محافظة لاخرى ٠

والجدول التالى يوضح نسبة النوع (الذكور) في احصاء ١٩٨٦ في بعض المحافظات حيث يتضح أن هذه النسبة تصل الى ذروتها في محافظة جنوب سيناء حيث تصل الى ١٥٦ ذكر لكل ١٠٠ انثى نظرا لاضطراد هجرة الذكور من قوة العمل اليها من محافظات الصعيد للعمل بها بينما تصل الى اقل معدلاتها في قنا وأسوان نتيجة لنزوح قوة العمل منها للعمل في شمال الوادي ٠

جدول رقم (١٥)

نسبة الذكور في بعض المحافظات في مصر سنه ١٩٨٦

المحافظة	النوع	المحافظة	النوع
القاهرة	١٠٥	القليوبية	١٠٨
الإسكندرية	١٠٥	الغربية	١٠٣
بور سعيد	١٠٧	المنوفية	١٠٦
السويس	١٠٨	الإسماعيلية	١٠١
البحيرة	١٠٧	أسيوط	١٠٧
الفيوم	١٠٤	قنا	١٠٢
المنيا	١٠١	جنوب سيناء	١٥٦
أسوان	١٠٥	البحر الأحمر	١٢١
الدقهلية	١٠٨	--	--

ونخلص من هذا أن نسبة الذكورة والانوثة في المجتمع يمكن أن تجسد احد المحاور الهامة الذي يعبر عن الخصائص الطبيعية للسكان في ضوء ارتباطه بالخصائص الاجتماعية كالأخرى كالتعليم والعمل والزواج في المجتمع المدروس ٠

<u>توزيع السكان حسب الحالة الزواجية</u> :

يلعب سن الزواج وعدد الزوجات الذين يحق للشخص الاقتران بهن ونوع الأطفال المرغوب فيهم دورا اساسيا في هذا المجال اذ يختلف حجم السكان في المجتمع بحسب نمط الاسرة السائد فاذا كان النمط السائد هو الاسرة النووية

Nuclear المكونة من الزوج والزوجه والاولاد فحسب ازداد ميل الاسرة لتحديد عدد الاولاد وبخاصة في حالة تعليم الزوجه واشتغالها خارج المنزل ٠

اما في المجتمعات التي ينتشر فيها نمط الاسرة الممتدة Extended أو المركبة complex فان العزوه تصبح الغاية في هذه الحالة وبالتالي يصبح للاولاد قيمة اقتصادية واضحة ٠ ورغم عدم وجود علاقة سببية بين الاسرة النووية والحياة الحضرية الا أن الاسرة النووية تسود عادة في المجتمعات الحضرية ومناطق الصناعة بينما توجد العائلة المركبة والممتدة في المناطق الصحراوية والعزب والنجوع والقرى التوابع وتنتشر كذلك في العديد من القرى التي تسود فيها القيم التقليدية التي تعلى من اهمية العصبية والعزوه والعلاقات القرابية ٠

وفي دراسة لنمط الاسرة الهندية من واقع احصاء سنه ١٩٥١ اتضح أن نمط العائلة الممتدة والمركبة والاسر الكبيرة الحجم يزداد في القرى عنها في المدن ٠

اما عن نمط الزواج فان معظم المجتمعات تعرف الزواج الاحادى أو المونوجامى Monogamy اذ انه من المعروف ديموجرافيا أن نسبة النوعين في العالم تكاد تتساوى في العديد من المجتمعات ولا يستطيع الانسان أن يمتلك زوجتين على ما يذكر جونسون Johnson – الا اذا حرم انسانا اخر من امتلاك زوجه ، ويرجع سبب انتشار تعدد الزوجات على ما يذكر بوتومور الى وجود فائض من النساء حيث ينتفع الاقوياء والاغنياء من هذا النظام ويمكن أن نضيف الى هذا نسق القيم السائد في بعض المجتمعات الذي يعطى الرجل هذا الحق بينما

يخضع الطلاق للعديد من القيود في المجتمعات التي تسمح به حيث يتدخل الدين والقانون ليحد من حرية الرجال في استخام هذا الحق ٠

ويرى بوتومور كذلك أن الاعتقاد بوجود علاقة بين الاسرة النووية والتصنيع ليس حقيقيا بالصورة التي افترضها اوجبرن ogburn ونمكوف Nimkoff ومع هذا ففى الهند ارتبط التحول الى نمط الاسرة النووية تحولات هامة في النظام الاقتصادى كما انتشرت الاراء التي تنادى بحرية المرأة وازداد الاهتمام بالتنمية الاقتصادية بينما اصبح نمط العائلة الكبيرة اكثر تعارضا مع استقلال الفرد وجهدة الخاص بل كان من شأنه اضعاف الاحساس بالولاء للوطن حيث تهدف الاسرة من وراء تشجيع الانجاب الى تدعيم مكانتها ، ويتمشى هذا مع نمط الافكار الدينية المحافظة والتى تشكل بدورها عائقا اساسيا في وجه تخفيض معدل المواليد ، ولقد ذهب بانكلار paniklar الى أن الطائفة والعائلة المركبة كان لها ما يدعمها في الديانة الهندوكية الامر الذي يعطل الالتزام بالمسئولية الاجتماعية للدوله والمجتمع ويزيد من الاعتبارات النفعية بين اعضاء العائلة نفسها وهى اعتبارات تقوم على علاقات الدم والعصبية ٠

ومن مظاهر اهتمام العائلة الكبيرة بالاطفال هذا المثل الذي قدمه برنابا Barnabas في مقاله عن النمو السكاني والتغير على لسان احد القرويات في الهند حيث يذكر :

" When People Come to our house " " they do not ask about our property but about the number of children "

وقد بلغ متوسط حجم الاسرة المعيشية في مصر سـنه ١٩٧٦ حوالـى ٥,٢ شخص بزيادة بسيطة عن تعداد سنه ١٩٦٠ حيث كان المتوسـط سـنه ١٩٦٠ نحو ٥ أشخاص فقط ،

والواقع أن الحالة الزواجية تتضمن تقسيم المجتمـع الـى متزوجين ومطلقين وعزاب وارامل /

وغنى عن القول أن ازدياد نسبة المتزوجين يتبعها ازدياد معدل المواليـد في المجتمع غير أن هذا يتوقف بدوره على نسبة الإناث المتزوجـات فـي سـن الحمل (١٥ – ٥٠ سنه) وكلما انتشر الزواج المبكر ازداد احتمال ارتفاع عـدد المواليد داخل الاسرة بينما يقل احتمال الزواج المبكر كلما اهتم المجتمع بتعليـم واشتغال الانثى واذ ذاك لا تصبح مهمه المرأة الزواج والانجاب فحسب بل يتسـع مدى اسهامها في تنمية نفسها ومجتمعها في الوقت نفسه ،

ومن الملاحظ أن نسق القيم في المناطق الحضرية يسـاند عـادة تعـدد المهام التي تقوم بها المرأة بينما يختلف الحال عن ذلك في المجتمعات الريفيـة البسيطه التكوين حيث يصبح الذكر محور الحياة الاجتماعية في هذا الشكل مـن اشكال المجتمعات ،

وتكشف دراسة للاحصاءات الحيوية في مصر أن نسبة من لم يسبق لـهم الزواج من الذكور تتراوح بين ٣٣% سنه ١٩٢٧ و ٣٠% سنه ١٩٧٦ الامـر الذي يعنى الاتجاه لتأخير سن الزواج بمرور الوقت اما بالنسـبة للانـاث فـأن اللاتى بلغت اعمارهن السادسه عشر ولم يتزوجن تراوحت بين ٩% سـنه ١٩٢٧

و ٢١% سنه ١٩٧٦ وهو ما يعنى ارتفاع سن الزواج بالنسبة للانثى نتيجة للتحولات الاجتماعية والثقافية التي تأثر بها المجتمع وادت الى تحولات تدريجية في نسق القيم .

وقد انخفضت نسبة الذكور المتزوجين في سنه ١٩٦٠ من نحو ٧٢% الى ٦٧% سنه ١٩٧٦ اما الإناث فأن النسبة قد انخفضت من ٦٨% الى ٦٥% .

ومن الملاحظ أن نسبة الإناث المطلقات والارامل قد انخفضت من نحو ٢٠% سنه ١٩٦٠ الى نحو ١٦% سنه ١٩٧٦ وبالنسبة للذكور انخفضت هذه النسبة من ٤% الى ٢% على التوالى وهو ما يوضح أن المجتمع قد اصبح اشد وعيا بالاثار المدمره للطلاق وبخاصة على الأطفال الصغار الذين تزداد ظروفهم الاجتماعية والنفسية سوءا كنتيجة لذلك .

وتنخفض نسبه المتزوجين الى جملة السكان نتيجة لمجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية من بينها ضغط الحياة الاقتصادية وارتفاع تكاليف الزواج وازمه الاسكان وغير ها من العوامل المؤثرة ، وغني عن القول أن ارتفاع نسبة الارامل والمطلقات الى مجموعهن ترتفع مقارنة بنسبة الذكور لان العرف السائد يجعل المرأة الارمل أو المطلقة عنصرا سلبيا في المبادأة بالاختيار للزواج فضلا عن حرج موقفها نتيجة للخبرة الزواجية السابقة بينما يتمتع الرجل بمزيد من الحرية والقدرة على اعادة التجربة مرة اخرى ولا جدال أن سن الزواج يختلف اختلافا واضحا بين البلدان الامر الذي يعود للعادات والتقاليد السائدة في المجتمع . وعلى سبيل المثال ففى سنه ١٩٧٠ كان ٥٠% من الإناث قد تزوجن

في مرحلة السن اقل من ٢٠ سنه وهو الامر الملاحظ في الكويت (٥٣%) امـــا في الدول المتقدمة صناعيا كاليابان والدانمرك فكانت النسبة ٤% ، ١٧% علـــى التوالى في العام نفسه (٦) ٠

وقد انخفضت ظاهرة تعدد الزوجات في مصر فبينما كـــانت ٥ % ســنه ١٩٢٧ انخفضت الى ٤% سنه ١٩٦٠ ثم ٢% منذ الثمانينات ٠

وهكذا يبدو أن اضافة زوجه جديده لم يعد يعنى اكـثر مــن مزيــد مــن المسئوليات الاقتصادية والاجتماعية والمشكلات المترتبه على رغبة كل زوجه في أن تحظى بالقدر الاكبر من اهتمام زوجها ورعايته ٠

والجدول التالى يوضح

أعداد عقود الزواج فيمصر من ١٩٥٢ وحتى ١٩٩٤

جدول رقم (١٦)

السنة	عدد العقود (بالألف)	معدل %
١٩٥٢	٢٣٢	١٠,٨
١٩٨٠	٣٨٥	٩,١
١٩٨٥	٤١٤	٨,٥
١٩٩٢	٤٦٣	٨,٣
١٩٩٤	٥٣١	٩,١

ونلاحظ في هذا الجدول ارتفاع عدد عقود الزواج من ٢٣٢ الـــى ٥٣١ الف عقد خلال المدة من ١٩٥٢ الى ١٩٩٤ وهو ما يتمشـــى وارتفــاع اعــداد الشباب في المجتمع بينما يلاحظ انخفاض معدل الزواج بمرور الوقت نظرا لانفاع

تكاليف الزواج ونفقات اعداد مسكن الزوجيه وازمـــة ا،سكان وغيرهـا مـن المشكلات التي تواجه الشباب في مصر في الوقت الحاضر ٠

كما أن الجدول التالى يوضح

اشهادات الطلاق بمصر في السنوات من ١٩٥٢ حتى ١٩٩٤

جدول رقم (١٧)

السنة	اشهادات الطلاق (بالألف)	معدل %
١٩٥٢	٧٠	٣.٣
١٩٨٢	٧٠	١,٦
١٩٨٨	٦٨	١,٤
١٩٩٢	٧٨	١,٤
١٩٩٤	٩٠	١,٥

والملاحظ في هذا الجدول أن معدلات الطلاق في مصر قد انخفضت مـن ٣.٣ سنه ١٩٥٢ الى ١,٥% في سنه ١٩٩٤ وهو ما يوضح كما ذكرنـا ٠دور التعليم وانتشار الوعى في توعيه الاسر بخطوره الطـلاق ودوره فـي التفكـك الاسرى ونصح الاسرة بالتريث في اتخاذ القرار مع اعطاء فرصه لتدخل الاصدقاء لابرام الصلح بين الزوجين قبل حدوث الطلاق حيث يتأثر الابنـاء بـهذا القـرار بصوره كبيره ٠

ويمكن استخراج معدل الزواج والطلاق بالمعادلات الاتية :

$$\text{الزواج} = \frac{\text{ع – عقود الزواج}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠٠$$

$$\text{الطلاق} = \frac{\text{ع – عقود الطلاق}}{\text{عدد السكان}} \times ١٠٠٠$$

توزيع السكان حسب الوضع الاقتصادى :

يعنى الوضع الاقتصادى الاطار المادى الذي يعيش في ظله الإنسان ، ولا يتمثل هذا في دخل الفرد فقط اذ أن مستواه التعليمى ، وطبيعة المهنة التي يمارسها وظروف العمل والرعاية الصحية التي يتمتع بها ونوع السكن واسعار السلع والخدمات وحالته الزواجيه وغيرها من الامور المؤثره بدورها في الوضع الاقتصادى للشخص واسرته وهى بدورها انعكاس لظروف العمل والوضع الاقتصادى والاوضاع السائدة في المجتمع .

وكلما ازدادت حدة التفاوت الطبقى ازدادت حده الفقر والبطالة وسوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية وهو الامر الذي يتجسد في العديد من دول العالم الثالث التي تزداد فيها هذه المشكلات .

كما أن الفروق الريفية – الحضرية تزداد في هذه الدول مما يزيد من تيارات الهجرة الداخلية العشوائية لفئات سكانية تعانى من البطالة في الريف والمناطق الصحراوية فتتحول بدورها الى شرائح تفيض عن الحاجة في المناطق الحضرية التي تتجه اليها حيث تعيش في احياء متخلفة تفتقر بدورها الى الخدمات الضرورية وتعمل في القطاع الذي يطلق عليه " القطاع غير الرسمي " ولا تحظى بأجور معقولة .

وقد استنتج بعض الاقتصاديين أن النمو السكاني يعد عاملا اساسيا ومؤثرا في النظام الاقتصادى ولذلك نجد هكس يؤكد أن الثوره التاعية في القرنين السابقين كانت تتمشى وحجم السكان في ذلك الوقت ، ومن المعروف أن نمو السكان يؤدى بدوره التغيرات اجتماعية اقتصادية هائلة فيما يتعلق بالسبعين

دوله التي قامت الامم المتحدة بعمل تقديرات عن دخلها القومي سنه ١٩٤٩ كانت هناك علاقة واضحة بين الدخل القومي للفرد والتغذية والتحول بعيداً عن طابع الاقتصاد الزراعي وكان المستوى الاقتصادى المناسب والغذاء الجيد يقترنان بالتصنيع والتحضر والتقدم الاجتماعي والاقتصادى عموماً .

ومن بين المؤشرات الاقتصادية التي تتفاعل مع الظاهرة السكانية قضية الدخل ، وفي سنه ١٩٦٩ كان متوسط دخل الفرد في الولايات المتحدة ٣٧٠٠ دولارا كما وكان متوسط دخل سكان الدول المتقدمة وهم بليون واحد ٢٣٠٠ دولار في حين بلغ الدخل بالنسبة لـ ٢,٥ بليون هم سكان الدول النامية ١٨٠ دولارا اما لو وجدنا المتوسط للجميع لوصل الى ٧٩٠ دولاراً في المتوسط ، وهو لا يعنى بطبيعة الحال الفقر المدقع غير انه لا يعدو كذلك أن يكون فقراً بصوره أو بأخرى .

وقد قارن سيمون كوزنتس في حديثه عن الاتجاهات الاقتصادية العالمية في المدة من ١٩٣٨ : ١٩٤٩ بين مجموعات دولية متفاوته في دخولها فأوربا الغربية تمثل نحو ٧ % من سكان العالم وتحظى بنحو ثلث دخل العالم بينما تستحوذ آسيا وافريقيا على ٦٠% من سكان العالم وتحظيان معاً بنحو ١٤% فقط من الدخل العالى (٧) ولا شك أن ذلك يرتبط بالفوارق في القدرة على الانتاج والاستهلاك غير أن النتيجة الواضحة أن المستهلكين في الدول النامية ينفقون الجزء الاكبر من دخولهم على المواد الضرورية ولكنهم ينفقون في الدول الغنية جزءا اقل على الغذاء بينما تحظى الاهتمامات الترفيهية والثقافية على قدر كبير من دخولهم ، ويذكر كوزنتس انه اذا اخذنا كل دوله على حدة فان الفروق في الانتاج والاستهلاك تصبح اكثر حده اذ أن الفروق الممكنه في عدم المساواه في

توزيع الدخل وفرص الاستهلاك بين السكان تجسد الازمات المرتبطة بالتفاوت الطبقى حيث تتضح الفروق الهائلة في توزيع الدخل .

وقد قدر افرت هاجن أن الدخل الفردى في الصين والهند مع معظم آسيا وافريقيا يعتبر منخفضا جدا أو ما يقرب من $\frac{١}{٣٠}$ من الدخل الفردى في الولايات المتحدة . (٨)

واذا كان الدخل يرتبط بالقوة الشرائية التي تكفل للانسان البقاء فان الامر الهام هنا على ما يذكر Moore ليس حجم السكان في المجتمع وانما القوة الشرائية لدى الغالبية وهى اكثر ارتفاعا في اقتصاد قومى لسكان ثابتى الحجم .

ويذكر فيشر ويوتران أن المشكلة تتمثل كذلك في السعرات الحرارية للفرد في عالم اليوم التي يحظى بها الشخص الواحد في جنوب آسيا وجنوبها الشرقى اذ يحظى بنحو ٢٢٢٠ سعراً حرارياً في اليوم بينما يحصل زميله في شمال امريكا على اكثر من ٣٢٤٠ سعراً .

كما أن هناك فارقا بين انماط الغذاء ففى الدول الفقيرة يكتفى الناس بالخبز والارز والبطاطس اما في البلدان الغنية فتتوفر النشويات والاطعمة الواقية – التي تمنع من الاصابة بالعديد من الامراض – كالالبان والزبد والبيض والخضروات والفاكهة الطازجه وغيرها (٩) .

ومن الامور الملفته للنظر في معظم بلدان العالم الثالث اختلاف متوسط الدخل بين الريف والحضر فقد بلغ متوسط الدخل في الريف المصرى سنه

١٩٥٣ (٢٦ جنيها) مقابل ٥٧ جنيه للحضر وفى مطلع السبعينيات كان الدخل ١٥٤ جنيها للحضر مقابل ٩٠ جنيها للريف (مع الوضع في الاعتبار القيمة الشرائية للجنيه في ذلك الوقت) ويعنى هذا ببساطه أن دخل المواطن الريفى كان اقل من مثيله الذي يعيش في الحضر ولعل هذا العامل كان بدوره احد العوامل الاساسية الطاردة من القرية والجاذبه لسكنى الحضر نتيجة لارتفاع الدخول في مناطق النزوح ٠

ومن الواضح في مصر ارتفاع عدد السعرات الحرارية للفرد يوميا نتيجة لتحسن الاوضاع المعيشية وزياده دخل الفرد وزيادة الوعى الصحى فقد بلغ عدد السعرات الحرارية ١٩٧٦ ٣٣٤٠ سعراً وارتفع الى ٣٧٠٠ عام ١٩٩١ (١٠) ٠

وبلغ نصيب الفرد من الدخل بالجنيه ٣٤٦١ جنيها عام ١٩٩٥/٩٤ حيث بلغ المتوسط في الحضر ٤٥٦٥ بالمقارنة بـ ٢٦١٨ للريف ، وهو ما يعكس الفجوة بين الريف والحضر بل أن المحافظات الحضرية قد وصل متوسط نصيب الفرد فيها الى ٥٢٦٦ مقارنة بـ ٣٠٦٤ للوجه البحرى بصفة عامة و ٤٢٤٧ لمحافظات الحدود (حيث يحصل الموظف على بدل اغتراب) مقابل ٢٩٥٢ جنيهاً فقط في الوجه القبلى مما يعكس سوء الاوضاع في هذه المناطق التي تزداد فيها البطاله وسوء الاوضاع وتتباطئ معدلات التنمية الى حد ملحوظ ٠

واذا قارنا في المجتمع المصرى في اطار المؤشرات المقدمة بين متوسط نصيب الفرد من الدخل الشهرى في بور سعيد – من واقع تقرير التنمية البشرية – حيث كانت لوجد المنطقة الحرة قبل صدور قرارات الحكومة اخيراً

بشأنها فانه بلغ ٦٩٤٦ خلاف عامى ١٩٩٥/٩٤ بالمقارنة بدخل المواطـــن فـــي ريف الوجه القبلى حيث بلغ ٢٣٥٣ فاننا نكون إزاء فجوه حقيقيــة فـــي توزيـــع الدخل في المناطق المختلفة (١١) ٠

ومن المعروف أن الزراعة كانت تستقطب النسبة الاكبره من قوة العمـــل في مصر حتى مطلع الستينات حيث أو عز المستعمر في سياساته بأن مصر دوله زراعية ، ولا يخفى أن الهدف من ذلك كان أن تتحول مصر الـــى دولــه تصـــدر القطن الى بريطانيا العظمى " ، وفى سنه ١٩٦٢ كان ٥٧% مـــن جملـــة القـــوة العاملة تعمل بالزراعة في مقابل ١١% بالصناعة و ٣٠% بالتجارة والخدمـــات و ٢% بالمهن الاخرى (غير الواضحة) ٠

وفى سنه ١٩٧٩ زادت نسبة عمال الصناعة الـــى نحـــو ١٩% مقـــابل انخفاض عمال الزراعة الى ٣٩% بينما تضخم قطاع التجاره والخدمات نتيجـــة للسياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تفتقد للتخطيـــط عـــلاوه علـــى الزيـــادة السكانية الكبيرة الى ٤١% مما انعكس بدوره على زيادة نسبه الاعالة اذ اصبـــح على كل شخص أن يعول ٣ اشخاص اخرين ٠ (١٢)

وفى تصنيف الانشطة الاقتصادية في احصاء ١٩٨٦ بلغت نسبة قطـــاع الزراعة والصيد ٣٨% والصناعة والبنـــاء ١٩% والتجـــارة والخدمـــات ٣٦% والانشطة غير الواضحة ٧% ٠

والجدول التالى يوضح أقسام المهن الرئيسية في عدادات ٦٠ ، ٨٦

جدول رقم (١٨)

المهنة	% احصاء ١٩٦٠	% احصاء ١٩٨٦
المهن الفنية والادارية	٤,٢	١٢,٦
الاعمال الكتابية	٣,٦	٧.٧
البيع والخدمات	١٧,٥	١١,٣
الزراعة والصيد	٥٣	٣٢,٢
عمال الانتاج	١٩,٦	٢١,٥
مهن غير مصنفة	٢,١	١٥
المجموع	١٠٠	١٠٠

المصدر : اخذت بتصرف بعد حساب النسب من الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – كتاب الجيب الإحصائي ٨٩ – ١٩٩١ – العدد الأول – ١٩٩٢ – ص ٤٦ ، ص ٤٧ ٠

والملفت للنظر في المقارنة بين تعداد سنه ١٩٦٠ ، ١٩٨٦ تضاعف المهن الفنية والادارية وهى المهن العليا بمقدار ضعفين بما يعكس زيادة معدل التعليم في المجتمع فضلا عن الاعمال الكتابية التي تضاعفت بدورها وانخفضت نسبة العاملين بالزراعة والصيد من ٥٣% الى ٣٢,٢% كما ارتفع معدل عمال الانتاج من ١٩,٦ الى ٢١,٥% بينما يمكن ضم نسبة من يعملون بالبيع والخدمات الى من يعملون بالمهن غير المصنفه اذ أن معظم هؤلاء يعملون في اطار القطاع غير الرسمى بما يرفع النسبة الاجمالية في هذه المهن الى اكثر من ٢٦% في احصاء سنه ١٩٨٦ ٠

كما أن الجدول التالى

يوضح تقديرات السكان وقوه العمل وعبء الاعالة سنه ١٩٩١ ، ٢٠٠١

جدول رقم (١٩) ٠

التقديرات	١٩٩١	٢٠٠١
تقديرات السكان بالمليون	٥٤ م	٦٨ م
قوة العمل بالمليون	١٥ م	٢٠ م
خارج قوة العمل بالمليق	٣٩ م	٤٨ م
عبء الاعالة	٢٦٩	٢٣٧

المصدر : الجهاز المركزى للتعبئة - كتـــاب الجيـــب الإحصـــائي ٨٩ : ١٩٩١ - ١٩٩٢ - ص ٥٠ ٠

والملاحظ هنا انه بينما زاد حجم السكان من ٥٤ الى ٦٨ مليون نســـمه خلال ١٠ سنوات (يقل العدد الفعلي عن ذلك قليلا) فان قوة العمل قد ارتفعـــت من ١٥ الى ٢٠ مليون نسمه بينما ارتفع العدد خارج قوة العمل من ٣٩ إلى ٤٨ مليون ٠ وانخفض (نسبياً) عبء الإعالة من ٢٦٩ الى ٢٣٧ ٠

ومن المعروف أن معدل البطالة في مصر سنه ١٩٩٥ قد بلغ ١١% وان هذا المعدل يتصاعد خلال السنوات الاخيرة بينما بلغت نسبة الإناث في قوة العمـــل في مصر سنه ١٩٩٥ ٢٢,٥ حيث ترتفع هذه النسبة بـــاطراد نتيجـــة للتغـــيرات الاجتماعية والثقافية التي عملت في نسق القيم الذي بدأ اكـــثر اقتناعـــا باهميـــة الدور الذي يمكن أن تلعبه المرأة في المجتمع /

وهكذا يتضح لنا أن الاوضاع الاقتصادية للسكان بما تشـــمل مـــن بنـــود متنوعه تتعلق بالدخل والانفاق والانتاج والاستهلاك والتبادل والتوزيع يمكـــن أن تساعدنا على تحديد خصائص السكان وبخاصـــة فيمـــا يتعلـــق بـــانواع المـــهن ومستويات الدخول ٠

المصـــــادر

[١] معهد التخطيط القومى – المصر السابق ذكره – ص ١٤١ .

[٢] عبد الحمـيد لطفى وحسن الساعـــاتى – دراســات في علــم الســكان دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٧ – ص ٨٣ .

[٣] ثروت اسحق – علم الاجتماع ودراسة السكان – دار المعرفة الجماعيـــة الاسكندرية – ١٩٩٣ – ص ٢٢٥ ، ص ٢٢٦ .

[٤] المصدر نفسه ص ٨٦ : ص ٩٧ .

[٥] المصدر نفسه ص ٨٣ ، ص ٨٤ .

[٦] ثروت اسحق – المصدر نفسه – ص ١٤٥ .

[٧] سيمون كوزنتس – الاتجاهات الاقتصادية الاقليمية ومستويات المعيشـــة (في) فيليب هاوسر – السكان والسياسات الدولية – ترجمة خليل حســن مراجعة سعيد النجار مكتبه الانجلو – القاهرة – ١٩٦٣ – ص ٩٠ .

[٨] افرت هاجن – الاتجاهات الاقتصادية الدولية في مســتويات المعيشـــــة (في) فيليب هاوسر – المصر نفسه – ص ١٣٥ .

[٩] فرانك نوتشين – التوزيع الاقليمى للسكان في هاوسر – المصدر نفسه .

[١٠] ثــروت اســحق – علم الاجتماع ودراسه السكان – دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية ١٩٩٣ – ص ١٣٣ : ص ١٣٥ .

[١١] معهد التخطيط القـــومى – مصر – تقرير التنمية البشــرية – ١٩٩٦ – ص ١٣٦ ، ص ١٣٩ .

[١٢] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى – دار المعارف القـــاهرة – ١٩٧٧ – الفصل السادس .

الفصل الخامس

الملامح الاجتماعية والديموجرافية للعالم العربي

مقدمه :

ليس من السهل على هذا المؤلف أن يتناول البنية الاجتماعية الاقتصادية في تفاعلها مع الظاهرة السكانية في العالم العربي تفصيلا إذ يحتاج ذلك منا إلى دراسة مستقلة ومفصلة غير انه ليس من المتصور أن نتناول الظواهر السكانية بالدراسة والتحليل دون الإشارة إلى الخصائص الاجتماعية والديموجرافية في العالم العربي عامة ومصر بصفة خاصة ولا يخفى على القارئ أن القصد من هذا العرض الموجز يتمثل في مناقشة هذه الخصائص والملامح في تفاعلها الدينامى الذي لا يتسنى تفسيره إلا من خلال الخصوصية التاريخية للعالم العربى من جهة ومن خلال فهم البناء الاجتماعي والاقتصادي لبلدانه - كل على حدة - من جهة أخري .

أولا : الموقع :

[١] العالم العربي يحتل منطقة جغرافية متسعة تمتد من المحيط الأطلنطي غربا حتى الخليج العربي شرقا ومن البحر المتوسط شمالا حتى المحيط الهندي والصحراء الكبرى جنوبا ، وهو يضم حوالي نصف الأراضي الصحراوية في العالم إذ تقدر الأراضي الزراعية بنحو ٣,٥ % من جملة المساحة الكلية ، كما تقدر المراعي بحوالي ١٨,٦ % ويلاحظ أن معظم المساحة الزراعية تتركز في كل من السودان والمغرب ، والجزائر وسوريا

والعراق وتونس في حين تتركز مساحات المراعي الدائمة في كل من موريتانيا والسودان والصومال والجزائر ٠

[٢] تضم المنطقة العربية دولا صغيرة كالبحرين وقطر والكويت ودولا كبيرة لها تاريخها العريق كمصر والعراق والأردن والمغرب وتتراوح المساحة الكلية لبعض دولة بين اكثر من مليون كم٢ في كلا من ليبيا ومصر وبين اقل من ١٠٠ الف كم ٢ في كلا من الأردن ، ولبنان ، الكويت ، والبحرين ، والامارات ، وقطر ، وجيبوتى ٠

[٣] تزايد انتاج الغذاء في العالم العربي خلال العقود الاخيرة إلا أن هذه الزيادة لا تكاد تلاحق الزيادة السكانية الكبيرة فبينما زاد انتاج الغذاء بنسبة ٣٥% زاد معدل السكان بنسبة ٣٧% في الوطن العربي خلال الحقبة من ١٩٦٣ ـ ١٩٧٤ وفى تلك الحقبة يمكن أن نقسم البلاد العربية إلى مجموعتين : مجموعة زاد انتاج الغذاء فيها على الزيادة السكانية وتمثلها السعودية والسودان والصومال والعراق ولبنان وليبيا ومصر والمغرب اما الاخرى فقد انخفض فيها انتاج الغذاء عن الزيادة السكانية وتمثلها الأردن والجزائر وسوريا واليمن ، وتونس وموريتانيا في تلك الحقبة (١) ٠

[٤] وفى سنه ١٩٧٠ كان سكان البلدان النفطية يمثلون ٩% من مجموع سكان العالم العربي بينما حصلوا على ٢٧% من الناتج الاجمالى الذي ارتفع إلى ٥٠% سنه ١٩٧٥ ثم ٥٧% سنه ١٩٨٠ ٠

اما البلدان التي يتوفر بها النفط بشكل اقل أو لا يتوفر بها النفط ويشكل اجمالى عدد سكانها نحو ٩٠% فكان ما حصلت عليه من الناتج الإجمالي ٧٣% سنه ١٩٧٠ و ٥٠% سنه ١٩٧٥ و ٤٣% سنه ١٩٨٠ وهكذا انخفض نصيبها من الناتج الإجمالي رغم كثره سكانها ٠

ومصداق ذلك انه سنة ١٩٨٠ كان سكان المملكة السعودية يشكلون ٥% من مجموع سكان العالم العربي يحصلون على ٣١% من الناتج الاجمالى وسكان مصر يشكلون نحو ربع سكان الوطن العربي يحصلون على نحو ٨% من اجمالى الناتج في الوطن العربي ٠

ثانيا : الخصائص الديموجرافية :

[١] يتزايد السكان في العالم العربي بمعدلات كبيرة ففى سنة ١٩٧٧ تراوح معدل المواليد (الخام) بين ٤٨ : ٥٠ (في الالف) في السودان والعراق وعمان وجيبوتي والصومال والسعودية وهذه النسب مرتفعة للغاية إذ قورنت بمثيلتها في أوربا والاتحاد السوفيتي إذ كان هذا المعدل ١٢ في الألف في النمسا وبلجيكا وألمانيا الديموقراطية والسويد والمملكة المتحدة وسويسرا ٠

ولا يمكن تفسير ذلك إلا في ضوء نسق القيم الذي يشجع على الخلف (العزوة) واتجاه السلوك الإنجابي إلى زيادة إنجاب الأولاد وبخاصة الذكور ومعارضة برامج تنظيم الأسرة في بعض هذه البلدان من خلال انساق القيم التقليدية السائدة ٠

[٢] إذا حاولنا تتبع معدل الزيادة الطبيعية باستقطاع معدل الوفيات من معدل المواليد في الثمانينيات لاتضح لنا أن المعدل السنوي للزيادة الطبيعية ـ بلغ ٣,٥ فاكثر سنويا في كل من ليبيا والكويت ويتراوح بين ٣% : ٣,٥% في كل من الجزائر والأردن وعمان وسوريا والعراق ومصر وقطر والسعودية بينما يقل كثيرا عن ذلك في غرب اوربا فهو اقل من ١% في بلغاريا وفنلندا ونيوزيلاندا والاتحاد السوفيتي على سبيل المثال (٢) ٠

[٣] بلغ الحجم الاجمالى للسكان في العالم العربي ١٠٤ مليون نســـمه ســـنة ١٩٦٣ ، ١٤٣ مليون سنة ١٩٧٤ بينما يزيد عددهم في الوقت الحـــاضر عن ١٦٧ مليون نسمه (تقديرات سنة ١٩٨١) وتتفاوت البلدان العربيـة في حجم السكان فيها ففى سنة ١٩٨١ كان عدد السكان في مصـــر نحـــو ٤٣,٥ مليون نسمه ، وفى المغرب ٢١,٨ مليون وفـــى الجزائـــر ١٩,٣ مليون بينما كان حجـــم السكان * في اليمـــن الجنوبيـــة وموريتانيـــا وعمان والكويت والبحريين والإمارات وقطر يقل عن ٣ مليون نسمه فـــي كل منها • وإذا افترضنا أن الوطن العربي يمثل منطقة واحدة فان أعلـــى نسبة من سكانه تعيش في مصر ٢٦% والسودان ١١,٧% ، ثم المغـــرب ١٣% ، والجزائر ١١,٥% وتستحوذ هذه المجتمعات جميعا على النســـبة الأكبر من جملة سكان الوطن العربي •

[٤] ويوضح الجدول التالى رقم (٢٠) تقدير السكان في الوطن العربـــي ســـنه ٢٠٠٠ بالمليون :

جدول رقم [٢٣]

تقدير السكان في الوطن العربي سنه ٢٠٠٠

البلد	السكان	البلد	السكان	البلد	السكان
الأردن	٦,٤	السودان	٢٩,٨	الكويت	٢,٠٠
الامارات	٢,٤	سوريا	١٦,١	لبنان	٣.٣
البحرين	٠,٦	السومال	١٠,٨	ليبيا	٦,٤
تونس	٩,٨	العراق	٢٣,١	مصر	٦٨,١ *
الجزائر	٣١,٦	عمان	٢,٧	المغرب	٢٩,٠٠
جيبوتى	٠,٦	فلسطين	–	موريتانيا	٢.٦
السعودية	٢١,٧	قطر	٠,٦	اليمن	١٨,١

المصدر : حليم بركات ـ المجتمع العربي في القرن العشرين ـ ص ٤٥ ٠

[*] لم تتعدى التقديرات الفعلية لسنه ٢٠٠٠ في مصر ٦٥ مليون نسمه٠

ونحن نلاحظ هنا أن بعض بلدان الوطن العربي تتسم بالكبر النسبي إذ أن مصر قدر حجم سكانها بـ ٦٨.١ (انخفض هذا الرقم عن هذا التقدير بنحو ٣ ملايين نتيجة لانخفاض معدل النمو السنوي وكذلك انخفاض معدل الخصوبة) وهذا لا ينفى انها من اكبر البلدان العربية من حيث حجم سكانها ويليها الجزائر ٣١,٦ م٠ ثم السودان ٢٩,٨ م٠ وتشكل هذه البلدان نحو ٤٦% من مجموع سكان العالم العربي سنه ٢٠٠٠ بينما لا تستحوذ بعض البلدان كالامارات والبحرين وعمان وقطر والكويت وليبيا على اكثر من ٤% من مجموع سكان العالم العربي وهى البلدان النفطية الغنية التي يرتفع نصيبها من الناتج الإجمالي نتيجة لتصدير النفط وزيادة نصيب الفرد من الدخل السنوي مقارنة بغيرها من البلدان العربية التي يرتفع فيها معدل الاعالة وينخفض في الوقت نفسه الناتج الاجمالى ٠

ومن الواضح في الوقت الراهن أن حجم سكان الوطن العربي يكاد يصل إلى ٣٠٠ مليون نسمه وان الزيادة تتركز في بعض البلدان بصفة خاصة كمصر والمغرب والجزائر والسودان ٠

[٥] نظرا لاعتبارات الثقافة Culture المشتركة ووشائج اللغة والدين وقوة السلطة المركزية ظل العالم العربي يشكل لعدة قرون منطقة واحدة تنتقل فيه الجماعات والأفراد للتجارة أو سعيا وراء الرزق ، ومع أن الاستعمار الغربي حرص منذ بداية القرن التاسع عشر على تجزئة هذه

البلدان إلا أن غروب المستعمر مكنها من إمكانية استغلال الطاقة البترولية وقد زاد من حراك العمالة العربية من الدول العربية الفقيرة والكثيفة السكان إلى تلك المصدرة للنفط والتي تحتاج إلى قوة عاملة مدربة للاشتغال بمعامل تكرير البترول ، ومصداق ذلك أن السعودية والكويت والامارات والبحرين وليبيا وعمان وقطر والعراق كانت تجذب وحدها من ٢: ٣ مليون مهاجر من قوة العمل في البلدان العربية في نهاية السبعينيات أما البلدان المرسلة للعمالة فكانت تضم مصر والسودان واليمن وسوريا والأردن ٠

وخلال الحقبة السبعينية كانت قوة العمل في البلدان النفطية لا تزيد عن ٢ مليون في مقابل ٢٠ مليون نسمة في البلدان المرسلة للعمالة كما أن القوة العاملة المهاجرة للعمل في الدول البترولية كانت ولازالت تلعب دورا اساسيا في العمليات الاقتصادية بها إذ أن معدلها يفوق معدل القوة الوطنية في الكثير من الاحيان ويؤدى هذا إلى العديد من الاثار التي تلحق التركيب السكاني في هذه البلدان غير انه من الضروري أن نشير كذلك إلى أن البلدان البترولية في العالم العربي أصبحت في الوقت الحاضر تجذب الكثير من الفئات التي تفد اليها عادة من البلاد الآسيوية المجاورة كالهند وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا والفلبين بصفة خاصة ٠

[٦] من الملاحظ على الهرم السكاني في الوطن العربي سنه ١٩٧٠ أن ٤٧% من جملة السكان في العالم العربي كانوا يندرجون في فئة السن اقل من ١٥ سنة ، و ٤٩% في فئة السن ١٥ _ ٦٥ سنة ، بينما لا تتعدى فئة كبار السن ٤% فاذاوضعنا في الاعتبار أن الإناث لا يشاركن في العملية

الانتاجية في البلدان البترولية نتيجة للقيود الثقافية التي تفرضـــها هــذه المجتمعات (٣) فضلا عن ضعف معدل مشاركتها في العديد من البلــدان الاخرى كمصــــر والأردن لا تضح لنا أن هناك ارتفاعا في نسبة الاعالــة ويكفى أن نعلم أن نحو ٢٧% فقط من جملة السكان في المتوســط ســنة ١٩٧٠ يشاركون في النشاط الاقتصادي وعليهم بدورهـــم إعالــة بــاقي السكان في الوطن العربي أما عن الاقتصاد في العالم العربــي فانــه مــن العبث أن نفترض انه يسير بصورة متماثلة في أقطاره المختلفــة فالعــالم العربي يضم تلك البلدان البترولية التي تحقق فائضا ضخمـــا كالســعودية والكويت وقطر٠٠ الخ. وتلك البلدان التي تلتهم الزيادة السكانية فيها كـل زيادة في الإنتاج أولا بأول كمصر والسودان ٠

[٧] والشعب العربي بصفه عامة يتميز بالشباب Youth نتيجة لارتفاع نســبة من هم دون الخامسة عشرة من العمر ومن ١٥ : ٤٥ سنه وكثــيراً مــا ترتفع هذه النسبة الخاصة بالقاعدة اقل من ١٥ ســـنه إلــى ٤٥% مــن مجموع السكان مما يبين اتساع قاعدة المواليد في الوطن العربي ٠

وفى حقبة الثمانينات كان معدل المواليد يتراوح بيـــن ٣٠: ٥٠ في الالف في البلدان العربية المختلفـــة وصبــح يــتراوح فــي مطلــع التسعينيات بين ٢١ و ٤٩ في الالف (٢١ في قطر و ٢٣ في الامــارات و ٢٤ في الكويت و ٢٥ في تونس و ٢٧ في لبنـــان وكذلــك ٤١ فــي سوريا و ٤٢ في ليبيا و ٤٤ في عمان و ٤٩ في اليمن) ٠

بينما انخفضت معدلات الوفيات بالالف بين الســكان فــاصبحت تتراوح في مطلع التسعينيات ببين حوالي ٤ في البحرين و٥ بالســعودية

و ٦ في عمان وتونس و ٧ في لبنان و ٨ في مصر والمغرب و ١٥ في السودان واليمن ٠

[٨] اما ما يتصل بالتعليم فقد كانت نسبة الامية في الرابع الثالث من القرن العشرين حوالي ٦٠% للذكور و ٨٥% للاناث غير أن هذه النسبة قد قلت منذ ذلك الحين ففي سنه ١٩٧٥ ازداد عدد طلاب المرحلة الابتدائية في البلدان العربية إلى ٥١% ثم ارتفعت النسبة إلى ٦٠% سنه ١٩٧٧ ٠

ويذكر حليم بركات أن النسبة قد ازدات في سوريا إلى ٨٠% سنه ١٩٧٠ وارتفعت بدورها إلى ٩٩% سنه ١٩٨٠ ، وفي عمان ارتفعت النسبة من ٣% سنه ١٩٧٠ إلى ٦٩% سنه ١٩٨٠ ، وفي الجزائر كانت هذه النسبة ٣٦% سنه ١٩٦٠ ثم ارتفعت إلى ٨١% سنه ١٩٨٠ (٤) ٠

اما في مصر فان نسبة التغير بين عامى ١٩٨٦/٨٥ ، ١٩٩٠/٨٩ وصلت إلى ١١,٦ في عدد المدارس الابتدائية و ٤% في عدد الفصول ، ٢,٥ في جملة طلاب المرحلة الابتدائية (التعليم العام) و ٠,٢ في عدد الذكور بينما ظهرت طفره اكبر في عدد الإناث بلغت ٥,٦ ٠

وفى التعليم الاعدادى (العام) بلغت نسبة التغيير بين عامى ٨٦/٨٥ ، ١٩٩٠/٨٩ ٦٤,٨ في عدد المدارس ، ٥٣,١ في عدد الفصول كما بلغت ٥٩,٩ في جملة طلاب المرحلة الإعدادية نسبة ٥٠,٥ للذكور و ٧٣,٧ للإناث (٥) ٠

والواقع انه في سنه ١٩٩٢ اوضحت الإحصاءات الخاصة بها أن نسبة معرفة القراءة والكتابة في البلدان العربية قد ارتفعت في البلدان العربية بما يعكس ازدياد الوعي باهمية القراءة والكتابة غير أن المعدلات قد تفاوتت بين ٣٦ في موريتانيا و ٤١ في المغرب و ٤٣ في السودان و ٤٩ في مصر و ٥٧ في الجزائر و ٦١ في السعودية و ٦٣ في تونس و ٦٨ في سوريا و ٧٢ في ليبيا و ٧٧ في الكويت و ٧٨ في الامارات وقطر و٨٤ في البحرين والأردن و٩١% في لبنان وفي سنه ١٩٩٧ ارتفعت هذه المعدلات إلى ٣٨ في موريتانيا و٤٣ في اليمن و ٤٦ في المغرب و ٤٨ في جيبوتي و٥٣% في مصر والسودان وبين ٦٠ : ٦٧ في ليبيا والامارات وسوريا والسعودية بينما احتلت القمة في هذه المعدلات لبنان وقطر والكويت والأردن والبحرين ٠

وغني عن القول أن ازدياد الاهتمام بالتعليم في العالم العربي ينعكس على ارتفاع قاعدة التعليم الابتدائي التي بلغت نسبتها ٦٢% في المرحلة الابتدائية و ٣٣% للمرحلة الثانوية و ٥% للتعليم العالم سنه ١٩٩٠ ، ومن المعروف أن عدد الطلاب في التعليم العالي لكل مائه الف بلغ ١٦٩٨ في مصر و ١١٤٦ للجزائر و٩٥٨ للمغرب و ١٠٨٩ للسعودية ، وتحتل مصر مكانه متميزه بين جاراتها في الوطن العربي غير أن مقارنة هذا الرقم ببعض الدول الاخرى يعكس الانخفاض النسبي لهذا الرقم الذي يصل إلى ٥٢١٥ في كندا و ٢٦٥٦ في اسرائيل٠

وهكذا تجسد الإحصاءات والمقارنات المتعلقة بالتعليم الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في البلدان العربية والوعى المجتمعى الذي ينمو بمرور الوقت فضلا عن بعض الفروق الثقافية بين الذكور والإناث وبخاصة في مرحلة التعليم الجامعي (٦) ·

[٩] اما ما يتصل بمعدل التحضر في العلم العربي (نسبه سكان المدن) فان النسبة قد ارتفعت من ١٠% في بداية القرن العشرين إلى نحو ٤٠% في السبعينيات كما ازداد عدد المدن المليونية (كالقاهرة والإسكندرية والخرطوم) في الوطن العربي نتيجة للهجرة الداخلية ·

وفى سنه ١٩٩٧ بلغ معدل التحضر اكثر من ٨٠% في بلدان الخليج فهى ٩٧% في الكويت و ٩٢% في قطر و ٩١% في البحرين و ٨٥% في الإمارات و ٨٤% في السعودية و ٨٠ % في عمان و٨٩% في لبنان و ٨٦% في ليبيا و٧٣% في الأردن و ٦٣% في تونس و٧٥% في الجزائر و ٥٣% في سوريا و٤٤ في مصر ·

ولعل ازدياد تيارات الهجرة الداخلية إلى المدن العربية هو السبب في سيادة الظاهرة المعروفة باسم التحضر الزائد Over Urbaniwation ·

وقد ازداد معدل الهجرة الخارجية من الدول المعروف بزياده حجم سكانها كمصر والسودان إلى الدول النفطية كالسعودية وقطر وعمان

غير أن حقبة التسعينيات قد شهدت تراجع معدلات الهجرة العربيـــة إلـــى بلدان النفط وزيادة معدلات الهجرة من البلدان الاسيوية ٠

والمقارنة بين معدل التحضر في العالم العربي يوصلنا إلى نتيجـة مؤداها ارتفاع معدل التحضر بمرور الوقت فقد ارتفع معدل من يســـكنون المدن في مصر من ١٠% سنه ١٨٢١ إلى ٤٤% سنه ١٩٨٦ ٠

وقد حظيت القاهرة بنحو ٧ ملايين في نهاية القرن المنصرم امـا الرياض سنه ١٨٦٢ فقد بلغ عدد السكان فيها ٧٠٠٠ نسمة وارتفع إلـى ٢٠,٠٠٠ في عام ١٩٤٠ و ٣٦٦ ألفا في السبعينيات ويزيد الان عـن ٣ مليون نسمة وكانت نسبة سكان المدن قد تضاعفت حوالي ٤ أضعاف فـي السعودية وقطر والإمارات خلال الربع الثالث من القرن المـاضي (١٩٥٠ – ١٩٧٤) ٠

اما عن سكان بغداد فوصل إلى ١٥٠ الفا سنه ١٩٠٨ ثـم ٧٩٣ الفا سنه ١٩٥٧ وقفز إلى نحو ٣ ملايين في الثمانينيات ٠

كما أن سكان دمشق قد قدر بحوالي نصف مليون في الخمسنيات ويرجح الان انه بلغ نحو حوالي ٣ مليون نسمه ٠

اما بيروت فكان عدد سكانها حوالـــي ١١٨ الفـا سـنه ١٩٢٥ واصبح يزيد على نصف مليون في الخمسينيات ويصل إلى نحو ٢ مليون في الوقت الحاضر وفى مطلع القرن الماضى كان هناك ٢٧ مدينـــة فـي

المغرب بلغ عدد سكانها اقل من نصف مليون ، ارتفع إلـــى ٩٢ مدينـــة يسكنها حوالي ٢,٥ مليون في الخمسينيات ثم إلـــى ١٩٥ مدينـــة يصـــل سكانها إلى نحو ٦,٥ مليون في السبعينيات بنسبة تصل إلى ٣٨% مـــن اجمالى سكان المغرب ،

ويرى حليـــم بركـــــات أن سبب تزايد ســكان المـــدن العربيـــة يرجع إلى :

١] الهجرة الريفية الحضرية لاسيما من فئات الاعمار الشـــابة التـــي تنزح للمدن طلبا للتعليم العالى والعمل ،

٢] تركز الخدمات في المدن وازدهار الاوضاع الاجتماعية والثقافيـــة والسياسية بها ،

٣] الازدواجية الحضرية التي توجد بالمدن ففيها الاحياء القديمة التـــي تتميز بالطابع التقليدي وتجذب الشرائح المـــهاجرة إليـــها للعمـــل بالقطاعات التقليدية فضلا عن الاحياء الحديثة التي توجـــد بـــها البنايات الحديثة والمصانع والمتاجر التي تعمـــل بـــها الشـــرائح المهاجرة في الأعمال البسيطة حيث يعمل المهاجر كبواب أو فـــي مجال تحميل السلع والبضائع وغيرها من الاعمال ،

٤] أن اطراف المدن تجذب الفقراء للسكن والعمل بالمهن الهامشـــية والقطاع غير الرسمى وتفتقر هذه المناطق للخدمـــات الضروريـــة كالماء والكهرباء والخدمات المختلفة غـــير أن رخـــص المســـاكن تشجع الشرائح الفقيره للعيش بها ، مع وجود الورش والمصـــانع الصغيرة التي تجذبهم للعمل بها ،

٥] أن المدينة بصفة عامة تشتهر بتوفير الخدمات المختلفة مما يشكل اهم عوامل الجذب بينمـــا تعـد العديـد مــن القـرى والمنــاطق الصحراوية مناطق طاردة للسكان ،

ثالثا : الأوضـــاع الاقتصـــادية :

١} تراوحت نسبة السكان الذين يعملون بالزراعة سنة ١٩٧٠ بين ما يزيـــد عن ٨٠% في الصومال ، وموريتانيا ، وبيـــن ٤٠ : ٥٠% فـــي تونـس وسوريا ولبنان ومصر والعراق ، وبين اقل من ذلك فـــي الأردن (٣٨%) كما أن ٥٨% من القوة العاملة في العالم العربي (في المتوسط) تشـتغل بالزراعة كحرفة اساسية وهى نسبة كبيرة دون شك تفيض عـــن حاجـة الارض الزراعية المحدودة ،

٢} لم يتبوا التصنيع بعد دوره الحقيقى والفعال في العالم العربي فانه نسـبة من يعملون بالصناعة تتراوح بين ١٠% فأقل في الســودان والصومـال وموريتانيا و ٢٠% أو يزيد عن ذلك قليلا في مصر وســوريا وتونـس ، والكويت (سنه ١٩٨٠) ،

وتشير دراسة في الثمانينيات عن التصنيع والتحول الاجتمـــاعي في العالم العربي أن الصناعة التحويلية لا تسهم إلا بقدر محدود مما يعنى ضعف التصنيع بصورة عامة إذ أن مجموع الإنتاج الصناعى العربـــي لا يتجاوز ٣% من مجموع الإنتاج العالمى وتميز الدراسة بين اربعة فئـــات من الدول العربية كانت توجهاتها الاقتصادية محدده المعـــالم فـي ذلـك الوقت وهى :

الاولى هى دول الاقتصاد الموجه وتضم الجزائر وسوريا والعراق ومصر ، والثانية هى دول الاقتصاد الحر والمختلط وتضم الأردن وتونس ولبنان والمغرب اما الفئة الثالثة فتضم الدول البترولية كالبحرين والسعودية وعمان والكويت وليبيا وقطر واخيرا الفئة الرابعة والتي تضم دولا تشهد تغيرات هيكلية ضئيلة كالسودان واليمن ... الخ ، ودول المجموعة الاولى تسودها الزراعة كنشاط انتاجى رئيسى في حين انها تتميز بأن الاهمية النسبية للقطاع الصناعى تفوق بقية المجموعات ويمثل هذا الإنتاج ما يقرب من ٦٢% من مجموع الإنتاج الصناعى للدول العربية ، اما الفئة الثانية فيسودها الاهتمام بقطاع الخدمات كنشاط رئيسى بما يزيد عن ٥٥% (من اجمالى الناتج المحلى) . ويعد قطاع البترول بمثابة القطاع السائد في المجموعة الثالثة إذ يسهم بما يزيد عن ٥٠% من الناتج المحلى الاجمالى (هذا مع ازدياد الاهتمام بالصناعة المحلية في الاونة الاخيرة) اما المجموعة الاخيرة التي تبدو فيها خصائص التخلف واضحة فيزداد فيها الاهتمام بالزراعة مع ازدياد الاهتمام بتوفير الخدمات ومحدودية القطاع الصناعى مما يشير إلى ضآلة التغيرات الهيكلية بها .

٣) وتختلف الخصائص الاجتماعية الاقتصادية اختلافا واضحا في الوطن العربي ويكفى هنا أن نستعرض الدخل ، والتعليم في بعض مجتمعات العالم العربي :

ففى سنه ١٩٧٤م كان متوسط دخل الفرد (بالدولار) ١٢٠٦ في العراق ، ومعدل الامية ٧٤% من جملة السكان لمن هن في سن

التعليم بينما كان دخل الفرد في الأردن ٣٣٢ ومعدل الامية ٤١% وفـــى السودان كان دخل الفرد ١٤١[دولار] ، ومعدل الاميـــة ٨٥% ، وفـــى جمهورية اليمن ٩٠ دولارا في مقابل ٩٠% للامية .

هذا بينما كان يبلغ متوسط دخل الفرد سنويا في الكويــت علـــى سبيل المثال ١٣٦٦٧ دولار سنة ١٩٧٤ بينما بلغ معدل الامية بها نحـــو ٤٥% في الوقت نفسة .

ويقدر نصيب الفرد من إجمـــالي النـــاتج القومـــي (بـــالدولار الامريكى) عام ١٩٨١ بـــ ٤٦٠ دولا فـــي مصـــر ، ٣٧٠ دولار فـــي السودان ، ٣٢٠ في موريتانيا بينما وصل إلى ١٦٦٠٠ فـــي قطـــر ، و ١٥,٦٠٠ في الإمارات العربية .

وهكذا تزداد الشقة بين البلدان العربية الغنية وجارتها الفقـــيرة غير اننا انصافا للحق نذكر أن الخصائص الاجتماعية والاقتصادية تصـــل إلى ادنى صورها في البلدان البترولية بالمقارنة بمصر وجارتها الثريـــة بخصائصها السكانية والاجتماعية .

٤) وقد بلغ معدل الدخل المحلى الاجمالى للفرد سنويا سنه ١٩٩٩ بـــالدولار ٨١٠ في اليمن ، واقل من ٢٠٠٠ في مصر وسوريا وحوالى ٣ الاف فـــي العراق والمغرب وحوالي ٥ آلاف في لبنان وتونس والجزائر وبيـــن ٦ و ١٠ الاف في ليبيا وعمان والسعودية ، وبين ١٥ و ٢١ ألف دولار فـــي قطر والإمارات والبحرين و ٢٥ ألف دولار في الكويت .

وهكذا يتفاوت معدل الدخل بين البلدان المختلفة بين ٨٠٠ دولار في المجتمع اليمني و ٢٥ ألف دولار في المجتمع الكويتي ويجسد هذا الفجوة المتسعة بين الأغنياء والفقراء .

والمشكلة الحقيقية إلى جانب ذلك تتمثل في ذوبان الطبقة الوسطى في العديد من البلدان العربية الفقيرة مما يزيد من وطأة التفاوت الطبقي بها (٧) .

نخلص من هذا الفصل بمجموعه من المعطيات يمكن تلخيصها فيما يلي :

١] يحتل الوطن العربي موقعا فريدا كما يضم دولا صغيره كالبحرين ودولا كبيرة كليبيا ومصر .

٢] تزداد الفجوة بين الدول الغنية (البترولية) التي لا تزيد نسبة سكانها عن $\frac{١}{١٠}$ إجمالي سكان الوطن العربي ويزيد نصيبها من الناتج الإجمالي إلى اكثر من ٥٠% .

٣] تعد مصر والسودان والمغرب والجزائر اكبر بلدان العالم العربي من حيث حجم السكان .

٤] تزداد القاعدة السكانية في الوطن العربي وفئة الشباب .

٥] ارتفعت معدلات التعليم والرعاية الصحية والتحضر في الأقطار والمختلفة .

٦] لم يحتل التصنيع دوره في العالم العربي كما أن مستوى الدخول يختلف بين الأقطار المختلفة .

المصادر

{١} محمود عيسى ــ السكان والغذاء في الوطن العربــي ــ (فــي) الســكان بحوث ودراسات ــ الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ١٩٧٧ ٠

{٢} الجهاز المركزي للتعبئة العامــة والاحصــاء ــ ٥٢ ــ ١٩٨٩ والكتــاب الإحصائي السنوي ١٩٨٢ ٠

{٣} محمود عيسى ــ المصدر السابق ذكره ٠

{٤} حليم بركات ــ المجتمع العربي في القرن العشــرين ــ مركــز دراســات الوحدة العربية ــ بيروت ــ ٢٠٠٠ ــ ص ٤٢ : ص ٤٨ ٠

{٥} الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء ــ الكتاب الإحصائي الســنوي ــ ٥٢ ــ ١٩٩٠ القاهرة ــ يونيو ١٩٩١ ــ ص ١٨٦ : ص ١٨٨ ٠

{٦} حليم بركات المصدر والموضع نفسه ٠

{٧} المصدر نفسه ــ الموضع نفسه ، ص ٢٩ ٠

الفصل السادس

المؤشرات الديموجرافية
والمؤتمر الدولي للسكان في مصر

مقدمه :

آثرنا في هذا الفصل أن نوضح الملامح الديموجرافية للمجتمع المصري وان نشير كذلك للمؤتمر الدولي للسكان الذي عقد في مدينة القاهرة سنه ١٩٩٤ .

وقد عقد هذا المؤتمر في أعقاب أنشطة دولية ومؤتمرات سابقة ففي سنه ١٩٧٤ تم عقد مؤتمر السكان في بوخارست سنه ١٩٧٤ .

وبعد ١٠ أعوام تم عقد المؤتمر الثاني في مدينة مكسيكوسيتى بالمكسيك سنه ١٩٨٤ .

وجاء المؤتمر الدولي الثالث سنه ١٩٩٤ الذي عقد بمدينه القاهرة لوضع الاستراتيجية المناسبة للسكان قبل الدخول فى الألفية الثالثة بينما اختيرت مدينة القاهرة باعتبارها اكبر المدن في منطقة الشرق الاوسط وكعبه التحضر في العالم العربي وقد سبق مؤتمر القاهرة المؤتمر العالمى من اجل الطفل سنه ١٩٩٠ الذي عقد في نيويورك ومؤتمر الامم المتحدة المعنى بالبيئة والتنمية بالبرازيل والمؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في مدينة فيينا سنه ١٩٩٣ كما اعتبر عام ١٩٩٤ العام الدولي للأسرة .

ويستهدف برنامج عمل المؤتمر والوثيقة التي تم التوصل اليـــها ــ بعد جهد جهيد ــ تشخيص الظواهر السكانية في عالم اليوم وايضاح التقــدم العلمي الذي أدى إلى خفض معدل وفيات الأطفال الرضع وارتفــاع متوســط عمر الإنسان فضلا عن النص على الاجراءات التي تم الاتفاق عليها لخفـض معدلات وفيات الامهات والاطفال وتوفـــير الرعايـــة الصحيـــة والتعليميـــة والثقافية للاجيال الجديدة ٠

اما عن المؤشرات الخاصة بالمجتمع المصري فقد تعرضنــــا فيــها للسكان ولمؤشرات التعليم ، والاوضاع الاقتصادية ، والاسكان ، والرعايـــة الصحية ، والمرأة ٠

<u>أولا : المؤشرات الديموجرافية في مصر :</u>

١] السكـــــــان :

بلغ حجم السكان في مصر ١٩٩٦ نحو ٥٩,٢٧٢ مليون نسمه ، فـــاذا كان حجم السكان سنه ١٨٩٧ قد بلغ ٩,٦٧٠ مليون نسمة فـــان هـــذا يعنـــى أن سكان مصر قد تضاعفوا في اقل من قرن من الزمان بمقدار ٦ مــــرات والجــدول التالى رقم (٢١) – يوضح حجم السكان في مصر في الإحصاءات المختلفة ٠

جدول رقم (٢٤)

الحجم الكلى للسكان في مصر في التعدادات المختلفة

منذ ١٨٨٢ حتى ١٩٩٦

التعداد	الحجم بالآلاف
١٨٨٢	٦,٧١٢
١٨٩٧	٩,٦٦٩
١٩٠٧	١١,١٩٠
١٩١٧	١٢,٧١٨
١٩٢٧	١٤,١٧٨
١٩٣٧	١٥,٩٢١
١٩٤٧	١٨,٩٦٧
١٩٦٠	٢٦,٠٨٥
١٩٦٦	٣٠,٠٧٦
١٩٧٦	٣٦,٦٢٧
١٩٨٦	٤٨,٢٥٤
١٩٩٦	٥٩,٢٧٢

المصدر : الجهاز المركز للتعبئة ـ الكتاب الإحصائي السـنوي ـ ٥٢ ـ ١٩٩٠ ـ القاهرة ـ ١٩٩١ ـ ص ١٤

والتعداد العام للسكان والاسكان عام ١٩٩٦ ٠

ويلاحظ في هذا الجدول أن سكان مصر قد تضاعفوا مره واحدة من سـنه ١٨٨٢ إلى سنه ١٩١٧ واستغرق ذلك نحو ٣٥ سنه ثم اضطرد حجم السكان فـي

السنوات التالية نتيجة لتحسن الاحوال الصحية والاجتماعيــة وارتفــاع الوعــى التعليمى بصورة واضحة رغم أن المساحة الزراعية لم تتضاعف خلال هذه المــدة بل أن السكان ما لبثوا يتركزون في مساحة تقل عن ٥% مــن المســاحة الكليــة لمصر ٠

كما أن هناك زيادة تقدر بنحو ١ $\frac{١}{٤}$ مليون نسمه سنويا كما يتضـــح من النظر للاعداد التالية (بالآلاف)

جدول رقم (٢٥)

التاريخ	ذكور	إناث	المجموع
١٩٩٢/١/١	٢٨,٢٣٢	٢٧,٠٢٧	٥٥,٢٥٩
١٩٩٣/١/١	٢٨,٨٢٤	٢٧,٦١٠	٥٦,٤٣٤
١٩٩٤/١/١	٢٩,٤٣٦	٢٨,٢٣٧	٥٧,٦٧٣
احصاء ١٩٩٦	٣٠,٣٣٠	٢٨,٩٤١	٥٩,٢٧٢

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة ــ السكان والتنمية ــ ١٩٩٤ ــ ص ٣١ ٠

ومن الواضح هنا كذلك أن هذا البيانات لا تشمل من هم خارج الجمهورية (ليلة التعداد) مما يجعلنا نؤكد أن النمو السكاني مع انه ليس شراً في حد ذاتــه لكنه يستلزم البحث الدؤوب عن مصادر متجددة للمعيشه ٠ ٠

وكما يذكر عبد المجيد فراج (١) الخبير المعـــروف أن العـبرة حيــن نتحدث عن ضغط السكان والانفجار السكاني ليست بــاعداد الســكان المطلقــة أو معدلات نموهم في حد ذاتها بل بالعلاقة بين هذا وحجم الموارد ومعدلات نموهــا إذ لابد أن نضع هنا قضايا كفاءه الإنتــاج والاســتثمارات والتخصيــص والتوطيــن

الجغرافى والمشروعات الزراعية والصناعية جنباً إلى جنب حتى نضمن الاستثمار الامثل للثروة البشرية ٠

والجدول التالى يوضح معدلات المواليد

والوفيات والزيادة الطبيعية في مصر

من ١٩٥٢ حتى ١٩٩٢ ٠

جدول (٢٦)

السنه	المواليد	الوفيات	الزيادة الطبيعية
١٩٥٢	٤٥,٢	١٧,٨	٢٧,٤
١٩٦٠	٤٢,٩	١٦,٩	٢٦,٠٠
١٩٦٦	٤٠,٩	١٥,٨	٢٥,١
١٩٧٦	٣٦,٦	١١,٨	٢٤,٨
١٩٨٦	٣٨,٧	٩,٢	٢٩,٥
١٩٩٠	٣٢,٢	٧,٥	٢٤,٧
١٩٩٢	٢٨,٨	٧,٣	٢١,٥

المصدر : الجهاز المركزي للتعبئة ـ الكتاب السنوي ـ ٥٢ ـ ١٩٩٠ ـ القاهرة ١٩٩١ ـ ص ١٦ ٠

والملامح الديموجرافية للسكان ـ القاهرة ـ ١٩٩٤ ـ ص ١٤ ٠

والملاحظ في هذا الجدول انخفاض معدل المواليـد (١٩٥٢ - ١٩٩٢) من ٤٥,٢ في الالف إلى ٢٨,٨ في الألف ويرجع هذا إلى الوعي التعليمي وإدراك انه ما لم تضع الأسرة في حسبانها كيفية تنشئة أولادها فان إضافة مولود جديـد

يعنى المزيد من المسئوليات كما أن التحسن النسبى في ظروف المعيشة لا يجعل الاسرة تحسب أن اضافة المولود يعنى اضافة وحده اقتصادية تعمل منذ نعومه اظافرها إذ أن هذا يعد جريمه في حق الجيل الجديد ٠

ويرى عبد المجيد فراج (٢) أن تأمين الناس الفقراء ضد العجز والشيخوخه وبخاصة في مجال الزراعة والتوعية المستنيره يمكن أن تؤتى ثمارها في زيادة خفض معدلات الخصوبة لدى هذه الفئات التي تخشى من هول المستقبل فتزيد من خصوبتها السكانية لتوازن بين الابناء والأعباء المطروحه ٠

كما أن الانخفاض في معدل الوفيات يعد ظاهرة ملحوظة نتيجة للتقدم في الطب العلاجى والوقائى فقد انخفض المعدل ممن ١٧,٨ خلال سنه ١٩٥٢ إلى ٧,٣ خلال سنه ١٩٩٢ فاصبح الناس يدركون أن الامراض الفتاكة التي كانت سببا في القضاء على الأطفال في مهدهم قد قل تأثيرها نتيجة للجهود التي تبذل في رعاية الأطفال في سنوات حياتهم الاولى ولذا فان المحصلة الفعلية تتمثل في الانخفاض النسبى في الزيادة الطبيعية من ٢٧,٤ إلى ٢١,٥ ومن المعروف أن عدد المواليد (احياء) ينخفض بين نساء الحضر بصفة عامة ونساء المحافظات الحضرية بصفة خاصة عن نظيره بين نساء الريف وقد بلغ هذا المتوسط اعلى مستوى له سنه ١٩٩٢ بين نساء الوجه القبلي ٠

ومن الملاحظ كذلك بالنسبة للخصوبة في مصر أن معدلات الخصوبة النوعية ومعدل الخصوبة الكلى قد انخفض من ٥,٣ طفلا لكل امرأة خلال فترة حياتها الانجابية سنه ١٩٧٩ / ١٩٨٠ إلى ٣,٩ خلال الفترة من ٩٠/١٩٩٢ ولا نستطيع هنا أن ننكر الدور الذي تقوم به الدولة والمنظمات الاهلية في سعيها

الدائم لتوعية الأسرة بالظـروف التي ينبغي أن تراعيـها لتنظيـم اسـرتها فـي المجتمع (٣) ٠

ومن الواضح الآن أن نسبة المستخدمات لوسائل تنظيم الاسرة قد ارتفـع من ٢٤,٢% من مجموع النسوة المتزوجات إلى ٣٠,٣% في سنه ١٩٨٤ ثـم إلى ٣٧,٨% في سنه ١٩٨٨ وقفز قفزة ملحوظة سنه ١٩٩١ إذ بلغـت النسـبة ٤٧,٦ % ٠

ويتضح من متابعة عقود الزواج واشهادات الطلاق في المجتمع المصـري ارتفاع عدد عقود الزواج والانخفاض النسبي في عدد اشهادات الطلاق وهو مـا يوضح زيادة الوعي بالآثار المدمرة للطلاق في مجتمعنا فضلا عن القيود التي قيد بها المشرع السلطة الممنوحه للرجل لضمان الاستقرار الاسرى والنمـو الرشـيد للابناء كما يتضح في الجدول التالى :

جدول (٢٧)

عقود الزواج واشهادات الطلاق في مصر

خلال السنوات ٨٩ : ١٩٩٣

السنة	ع٠ عقود الزواج	اشهادات الطلاق
١٩٨٩	٤٦٣	٧٩
١٩٩١	٤٥٦	٨١
١٩٩٣	٤٧٩	٧٨

والملاحظ هنا الارتفاع النسبي لعقود الزواج مـن ١٩٨٩ حتـى ١٩٩٣ والانخفاض النسبي لاشهادات الطلاق من ٧٩ إلى ٧٨ ألف طلاق ٠

اما عن صافي الهجرة الداخلية في مصر فقد انخفضت معدلاته من ١٩٦٦ حتى ١٩٨٦ في بعض المحافظات مع زيادته في البعض الاخر ٠

كما يتضح في الجدول التالي وهو ما يوضح الدور الجاذب لبعض المحافظات بمقارنة سنه ١٩٦٦ و سنه ١٩٨٦ ٠

جدول (٢٨)

المحافظة	عام ١٩٦٦	عام ١٩٨٦
القاهرة	١٦,٢	٩,٠
الاسكندرية	١٦,٩	١٠,٣
بور سعيد	٧,٦	٦٥,٦
السويس	٢٨	٥٦,٩
دمياط	- ٦	- ١٢,٢
المنوفية	- ١٥,٢	- ١٢,٨
الجيزة	١٣,٢	١٥,١
اسيوط	- ٨,١	- ٧,٩
سوهاج	- ١١	- ١٠,١
اسوان	- ٢	- ١
الحدود	٠,٨	٢٥,٥

ومن الواضح أن صافى الهجرة هنا بالسالب بالنسبة لبعض المحافظات الطاردة مثل دمياط ، المنوفية ، اسيوط ، سوهاج واسوان بينما يعد صافى الهجرة موجبا في محافظات أخري كالمحافظات الحضرية والجيزة ومحافظات الحدود التي تقصدها الشرائح الشابه للبحث عن فرص العمل فيها (٤) ٠

وهكذا توضح لنا المؤشرات السالفة الوضع السكاني في مصر خلال العقود الاخيرة ومع أن ثمه انخفاض ملحوظ في الوقت الحاضر في معدل نمو السكان إلا أن التركز السكاني في مساحة ضيقه يزيد من حرج الموقف في المجتمع المصري ٠

٢] التعليم :

يعد التعليم من الانشطة الاجتماعية الهامة في المجتمع وفى سنة ١٩٦٠ كان عدد تلاميذ الابتدائى ٢,٧ مليون تلميذ ٠ وقد زاد عددهم إلى ما يقرب من ٧ مليون تلميذ سنه ١٩٩٠، بينما ارتفع عدد المسجلين في التعليم الاعدادى من ٣٠٠ ألف سنه ١٩٦٠ إلى ٣,٨ مليون تلميذ سنه ١٩٩٠ ، وبالمثل زادت اعداد المقيدين في المرحلة الثانوية من ٢٥٠ ألف سنه ١٩٦٠ إلى ١,٨ مليون سنه ١٩٩٠ ، وهذا يعنى أن عدد المقيدين في كافة مراحل التعليم ما قبل الجامعي زاد بمعدل اربعة امثال خلال الفترة من ١٩٦٠ – ١٩٩٠ حيث ارتفع هذا العدد من ٣,٢ مليون إلى ١٢,٥ مليون بينما ارتفع عدد المقيدين في الجامعات والمعاهد العليا من ١٣٤ ألف سنة ١٩٦٠ إلى ٧٣١ ألف سنة ١٩٩٠ ٠

وقد ارتفعت مشاركة الإناث في العملية التعليمية بين سنه ١٩٦٠ ، سنة ١٩٩٠ بنسبة ٦% للابتدائي ، ١٦% في الإعدادي ، ١٨% للثانوى (٥) ٠

ورغم أن الدستور المصري ينص صراحة على حق المواطنين في الذكور والإناث في التعليم فان الاحصائيات تدل على وجود فروق واضحة بين الذكور والإناث في هذا المجال تزداد وضوحا إذا ربطنا التعليم بالمتغيرات الاخرى فنسبة

الإناث للذكـور في المرحلة الابتدائية تبلغ ٤٤,٢% (رغـم التسـاوي النسـبى بينهما) منخفض في المرحلة الإعدادية إلـى ٤١.٦% ثـم إلـى ٣٨,٥% فـي المرحلة الثانوية ، وتصل إلى ٣٣,٨% في المرحلة الجامعية ، وينعكس ذلك فـي ارتفاع نسبة الامية بين الإناث عنها بين الذكور حيث بلـغ معـدل الاميـة سـنة ١٩٨٦ (٦٢,٢%) للإناث و (٣٧,٨) للذكور (٦) ٠

ومن المعروف أن التعليم يؤثر على طبيعة العلاقة بين الجنسـين ، فمـن المعروف أن نسبة النساء المتعلمات اللواتى يمارسن تنظيم الاسرة اكبر من نسـبة اللواتى لم ينلن حظهن من التعليم ، ففى تونس على سبيل المثال فان معدل انتشار وسائل منع الحمل بين النساء الحاصلات على قدر من التعليم الثانوى اكبر بمـره ونصف من معدل انتشاره بين النساء غير المتعلمات كما أن المتعلمات يـتزوجن عادة في مرحلة عمرية متأخرة مما يقلل من حجم اسرهن فضلا مـن أن الـزوج يصبح هنا اكثر ميلا لمشاركة المرأة في القرارات المحورية الخاصة بالانجاب وفى كل القرارات المصيرية للاسره (مقارنة بغير المتعلمة) ٠

وفى تركيا يزيد الفرق في متوسط العمر عند الزواج الأول بيـن النسـاء الاميات وبين المتعلمات تعليما اعلى من المرحلة الابتدائية على ثلاث سنوات ٠

كما يميل عدد اكبر من النساء المتعلمات للاقلال مـن الانجـاب بسـبب استخدامهن موانع الحمل بمعدلات اكبر (٧) ٠

ومع الاعتراف بتأثير التغيرات الديموجرافية في اتجـاه احـلال جمـوع الشباب الاكثر تعليما محل الفئات الاكبر سنا والاقل تعليما فان سوق العمل يعجـز

عن استيعابهم في اعمال انتاجية فبيانات تعداد سنة ١٩٨٦ تظهر أن المعدل العام للبطالة (١٠ سنوات فاكبر) ارتفع من ٢.٢ سنه ١٩٦٠ إلى ٥.٦ سنه ١٩٧٦ إلى ١٠,٧ سنه ١٩٨٦ ، والظاهرة اللافتة للنظر أن البطالة بين المتعلمين لها وزنها واثرها الكبير على تشجيع التعليم ففى سنة ١٩٨٦ كانت نسبة البطالة بين خريجي التعليم الثانوي وما في مستواه ٢٧,٨% وبين خريجي التعليم الجامعي ٢٦,٨% في حين كانت ٣,١% فقط بين ذوى المستويات التعليمية الأقل والاميين .

وتتفاوت نسبة القيد المدرسى بين المحافظات فنجدها تصل إلى ٩٢,١% في المحافظات الحضرية وتنخفض إلى ٨٣,٩% في محافظات الوجه البحرى ثم تنخفض إلى ٧٣,١% في محافظات الوجه القبلى حيث تسود العادات التي تحول دون تعليم الإناث .

وترتفع نسبة الحاصلين على مؤهل متوسط أو عالى في المحافظات الحضرية لوجود الجامعات وتقل عن ذلك في الوجه البحرى ثم القبلى (٢٠,٨% , ١٤,٧ ، ١٢,٩ على التوالى) اما في الريف بصفه عامة فتبلغ ٨,٥%.

وقد بلغت نسبة الامية في احصاء سنه ١٩٨٦ لمن تبلغ اعمارهم ١٥ سنه فاكثر ، ٥٥,٥% ، وتتفاوت نسبة الامية من محافظة لاخرى حيث تقل الامية في المحافظات الحضرية الاربع ، ومحافظة الاسماعيلية ، والبحر الاحمر ، والوادى الجديد ، بينما تزداد معدلات الامية في بعض المحافظات كالشرقية ، وكفر الشيخ ، والفيوم ، وقنا .

وتسهم الهجرة الداخلية في زيادة اعداد الاميين في العاصمـــة وغالبيـة هؤلاء من العاطلين الفقراء والإناث الاميات حيث تزخر بهم الاطـراف والمنـاطق المتخلفة حيث تزداد معدلات الخصوبة وتتدنى الخصائص السكانية ٠

وهكذا فان ارتفاع نسبة الإناث الملمات بالقراءة والكتابـة فـي شـريحة العمر ١٥ : ٢٤ سنه ، إلى ٧٦,٢% في المحافظات الحضريـة ، ٤٩,٣% فـي محافظات الوجه البحرى ، ٣٧,٦ في محافظات الصعيد سنه ١٩٨٦ كانت له آثـار إيجابية على الخصائص السكانية فارتفع متوسط سن الزواج (الأول) للمرأة إلـى ٢٣,٨ سنه في المحافظات الحضرية ، ٢١,٧ سنه في الوجـه البحـرى ، ٢٠,٩ سنه في الوجه القبلى سنه ١٩٨٧ وارتفعت نسبة المتزوجات اللاتـي يسـتخدمن وسائل منع الحمل سنة ١٩٨٨ إلـى ٥٦% فـي المحافظـات الحضريـة مقـابل ٤١,٢% ٢٢,١% في الوجه البحرى والقبلى على الترتيب (٨) ٠

٣] الاوضاع الاقتصاديـــة :

تفصح البيانات المستقاه من احصاء سنه ١٩٨٦ عن أن ابرز القطاعـات الاقتصادية في مصر جذبا للقوة العاملة قطاع الزراعة والصيديليه قطاع الخدمـات فقطاع الصناعات التحويليه يليه قطاع التجارة فالتشييد والبناء ثم المواصلات ٠

والواقع أن مهنة الزراعة والصيد تعد من المهن التي استقطبت نحو ٤,١ مليون من القوة العاملة للعمل فيها ويلى ذلك المهن الخاصة بالانتـاج والتشـغيل ووسائل النقل ثم المهن التي يتعذر تصنيفها يليها المهن الفنية والعملية والتى زاد عدد من يعملون بها عن مليون ونصف يليها المهن الكتابية ثم مـهن الخدمـات والتجارة والبيع ٠٠٠ الخ ٠

وقد بلغت تقديرات قوة العمل سنه ١٩٩١ (٩) ١٤,٦ مليون نسمه منهم ١٢,٧ مليون من الذكور ، ١,٩ مليون من الإناث كما بلغ عبء الاعالة ٢٦٩ لكل ١٠٠ في قوة العمل ٠

والواقع أن متوسط الدخل القومي في مصر سنه ١٩٩٢ (بالدولار الامريكى) يفصح عن انخفاض هذا الدخل بالمقارنه بالدول العربية الاخرى فهو في مصر ٦٣٠ دولار وفى المغرب ١٠٤٠ ، وفى الجزائر ١٨٣٠ ، وفى تونس ١٧٤٠ وفى البحرين ١٧٥٠ وفى السعودية ٧٩٤٠ (١٠) ٠

ومع ذلك ينبغى الإشارة إلى أن الدخول في المناطق الريفية دائما أقل منها في المناطق الحضرية ومن حسن الحظ أن هذه الفجوة آخذه في التناقص ففى السبعينيات كان متوسط نصيب الفرد من الدخل في الريف ٦٢% فقط عن المتوسط في المناطق الحضرية ٠ وخلال الثمانينيات اصبح متوسط نصيب الفرد من الدخل في المناطق الحضرية اعلى من الريف بنسبة ٥٠% ٠ وتراجعت هذه النسبة الاخيرة إلى ٤٠% في السنوات الاولى من التسعينيات ، واللافت للنظر أن نمط توزيع الدخل في الريف يعد اكثر عدالة مقارنة بالمدينة أذ لا تتجاوز نسبة دخل اغنى خمس من السكان إلى دخل افقر خمس منهم ٤,٢ في المناطق الريفية بينما في المناطق الحضرية تبلغ هذه النسبة ٦.٦ ولا يؤدى هذا بنا إلى استنتاج أن ارتفاع الدخل يؤدى لسوء التوزيع فقد انعكس النمو الاقتصادى البطئ على الشرائح الفقيرة في المجتمع المصري اثناء فترات الانكماش الاقتصادى ٠

وتشير نتائج مسح الانفاق لعام ١٩٧٥/٧٤ في مصر إلى انخفاض نصيب الفقراء النسبى من الدخل في نهاية هذه الحقبة التي تأثرت بسياسة الانفتاح

الاقتصادى حيث اتسمت بتباطؤ النمو الاقتصادى ، وتنطبق نفس النتيجة على فترة الثمانينيات التي تعد الامتداد الفعلى للفترة السابقة وقد أدى هذا إلى تدهور طفيف في توزيع الدخل فبينما نصيب أفقر ٢٠% من السكان في الدخل ظل ثابتا في الريف نجدة انخفض في الحضر إلى ١٢% سنه ١٩٩١/١٩٩٠ وهكذا أدت سياسة الإنتاج الاقتصادى إلى اشاعة الخلل في العدالة الاجتماعية رغم التحسن النسبى في الدخل في المناطق الريفية والحضرية ، وقد مثلت تحويلات العاملين في الخارج مصدرا هاما للدخل بالنسبة للكثير من الاسر المصرية ، وزاد متوسط نصيب الفرد من الدخل الشهرى ومع هذا فان الفقراء لاسيما فقراء الحضر هم أول من عانى من السياسات الاقتصادية في حقبه الثمانينيات ٠

كما برزت تفاوتات كبيرة بين المحافظات في متوسط نصيب الفرد السنوي في الدخل حيث يصل لاقصى قيمة له في محافظة بور سعيد يليها دمياط والقاهرة والى ادنى مستوى له في محافظتى أسيوط و المنيا (١١) ٠

وقد ادت هذه الظروف إلى ارتفاع مستوى البطاله في مصر حيث قدر البعض معدلها بنحو ٢٠% لسنه ١٩٩٣ نظرا لانخفاض معدل الاستثمار في السنوات الاخيرة وتواضع معدلات الاداء الاقتصادى وتراجع معدل النمو الاقتصادى وبخاصة خلال السنوات ١٩٩٣/٩٢ ، ١٩٩٤/٩٣ (١٢) ٠

٤] الإسكان :

بلغ عدد المساكن في مصر سنه ١٩٨٦ ٥,٩ مليون مسكن في حضر المحافظات منها ٢,٧ مليون في المحافظات الحضرية وحدها (القاهرة – الإسكندرية – بور سعيد والسويس) فضلا عن ١,٦ م بحضر محافظات الوجه البحري ، ١,٥ م في حضر محافظات الوجه القبلي ، ٠,١ م في حضر محافظات الحدود ،

أما ريف المحافظات فقد بلغ فيه جملة المساكن ٥.٥ مليون مسكن منها ٣ مليون مسكن في محافظات الوجه البحري ، ٢,٤ م في محافظات الوجه القبلي ، ٠,١ في ريف محافظات الحدود ،

وهكذا بلغ اجمالى عدد المساكن ١١,٤ مليون مسكن منها ٢,٧ م في المحافظات الحضرية ، ٤,٦ مليون للوجه البحري و ٣,٩ مليون للوجه القبلي و ٠,٢ لمحافظات الحدود ،

ومعنى هذا أن الوجه البحري يستأثر كذلك بـ ٣٦,٨% من مجموع الوحدات السكنية في مصر يليه الوجه القبلي ٢٨% ثم المحافظات الحضرية ١٨,٨% ،

وقد بلغ متوسط حجم الاسرة على مستوى الجمهورية ٤,٩ فرد ، ويبلغ هذا المتوسط في الحضر ٤,٦ ، وفى الريف ٥,٣ فرد ، ويلاحظ زيادة هذا المتوسط بالنسبة لمحافظات الوادى الجديد ، وكفر الشيخ ، والبحيرة ، حيث بلغت هذه المتوسطات ٦,٣ ، ٥,٨ ، ٥.٥ ، ٥.٥ فرد على التوالى كما بلغ متوسط عدد

الأفراد بالغرفة ١,٥ فرد على مستوى الجمهورية ، ويزيد هذا المتوسط إلــى ٢.٢ فرد في محافظات السويس والبحيرة وسوهاج وفقا ٠

وهناك ٧٣,١% من اجمالى عدد المساكن بالجمهوريـــة تصلـــها الميـــاه النقية بواسطة الشبكات الحكومية حيث يتراوح المعدل بين ٩٥,٤ بالنسبة للحضــر نتيجة لاهتمام الدولة بالمدينة ، ٥٥,٩ لاجمالى الريف ٠

كما تبلغ نسبة المســـاكن إلـــى ٩٦,٦% فـــي المحافظـــات الحضريـــة ، ٧٣,٣% للوجه البحري ، وفى محافظات الوجه القبلـــي ٥٨,١% ، وتـــأتى فـــي النهاية محافظات الحدود ٦٦,٢% ، وتشير نتائج تعداد سكان سنة ١٩٨٦ إلى أن نسبة المساكن التي تتمتع بالانارة من خلال الشبكة العامة للكـــهرباء إلـــى ٨٧% وهى تتراوح بين ٩٦% على مستوى الحضر ، ٧٩% على مستوى الريف ، ومن الواضح أن اهتمام الحكومة بالريف قد جاء في أعقاب قيام الثورة ســنه ١٩٥٢ إذ انه قبل قيام الثورة كان هذا الاهتمام في ادنى مستوى له (١٣) ٠

٥] الرعاية الصحيـــــة :

تعد الرعاية الصحية في الركائز الأساسية التـــي تتعـــامل مـــع الظواهـــر السكانية إذ أن الاهتمام بالطفولة والأمومة ينعكس بدوره على الإقلال من معـــدلات الوفاة بصفة عامة ووفاة الأطفال الرضع بصفة خاصة كما أن الاهتمام بالشــــباب ينعكس على زيادة متوسط العمر وتوقعات الحياة في المجتمع ٠

وتظهر الرعاية الصحية في بعض المؤشرات مثـــل عـــدد الأطبـــاء فـــي المجتمع لكل ١٠٠٠٠ شخص ، وعدد المستشفيات وعدد الاسرة لكل ١٠٠٠ نسـمه

، وتوفر الأمصال والأدوية والإمكانات الصحية والتوعية الصحية التـــي تقدمـــها الدولة في الريف والحضر .

وفى توفر سبل مقاومـــة التلـــوث وحمايـــة السـكان فـــي الامـــراض والاوبئة .

واذا استعرضنا على سبيل المثال متوسط العمر (العمر المتوقـــع) فانـــه يبلغ سنه ١٩٩٤ في مصر ٦٢ سنه ، وفي تونس ٦٨ سنه ، وفـــي الســـودان ٥٢ سنه ، بينما يصل في كندا إلى ٧٧ سنه ، وفي قبرص إلى ٧٦ سنه ، وفـــي اليابان ٧٩ سنه ، وفي النرويج ٧٧ سنه ، وفي السويد ٧٨ سنه ، وفي اليونـــان ٧٧ سنه ، وفي نيوزيلانده ٧٥ سنه ، ويعكس هذا مدى وعى الناس ومدى وفـــرة الامكانات المقدمة فضلا عن الإفادة من الإمكانات المتاحة في المجتمع .

وتقدر نسبة الحوامل اللاتي يتلقين رعاية صحية في مصـــر بـــ ٥٠% ومنهن ١٤% فقد يلقين رعاية صحية بصورة دورية بينما يقدر معدل الأطفـــال اقل من خمس سنوات الذين يتلقون خدمة صحية بـــ ٥٥% ، وغـير خـاف أن انخفاض هذه المعدلات يرجع بدوره لنقص التوعية الصحيـــة وســـوء الأوضـــاع الاجتماعية والاقتصادية ، وحرمان المنـــاطق الريفيـــة فـــي الجـــهات الحكوميـــة والعيادات الخاصة .

وتعد معدلات الوفيات ومعدلات المرض من المؤشرات الدالة على الحالـــة الصحية العامة للسكان ، وقد تناقصت معدلات وفيات الأطفال الرضع مـــن ١١٦ – ٩٨ في الآلف إلى ٥٣ ــ ٤٥ في الآلف ، كذلك في الوقت الحاضر في مصـــر

وطبقا لمسح معدل وفيات الأطفال الرضع للفترة ٨٦ – ١٩٨٩ ، قدر المعدل بـ ٥٦ في الألف ، ومن الواضح أن ٥٨% من وفيات الأطفال ترجع بدورها الى أمراض الإسهال واصابات الجهاز التنفسي بينما يعتقد أن التيتانوس والإصابات الأخرى أثناء الولادة مسئولة عن ٢٠% من وفيات الأطفال الرضع في مصر .

وتستخدم معدلات وفيات الامومه كمؤشرات للمستوى الصحي ومن المعروف أن معدلات وفيات الامومه قد انخفضت من ١٢٤ حالة سنة ١٩٨٠ إلى ٥٨ حالة سنة ١٩٩٠ ولكن مسحا بيانيا حديثا (٩٢/١٩٩٣) عن معدلات وفيات الامومه اوضح أن سنه ١٩٩٢ قد شهدت ١٨٤ حالة لكل مائة آلف حالة .

ولا يمكن ادراك العلاقة بين السكان والنظام الصحى في المجتمع دون الاخذ في الاعتبار الصحه البيئية والعادات المتصلة بالصحة والاسكان والعادات الغذائية السائدة في الريف والحضر ، وقد زاد انتاج مياه الشرب النقيه من حوالي ٦ مليون م٣ سنه ١٩٨١ / ١٩٨٢ إلى حوالي ١١ مليون م٣ سنه ١٩٩١/١٩٩٢ ، وثلثا هذه الكمية مخصص للاستعمالات المنزلية والتجارية ، وتستفيد ٧٣% من المساكن من الشبكة العامة في الحصول على المياه (٩٠% من سكان الحضر) وحوالى ٢٠% تحصل على مياه جوفيه بواسطة مضخات .

اما عن نظام الصرف الصحى فيغطى المدن الكبرى حيث تغطى خدمة الصرف الصحى ٦٠% من عواصم المحافظات ، ٣% في عواصم المراكز ، ١٠% فقط في المدن الأخرى ، وطبقا لتعداد سنة ١٩٨٦ بلغ معدل تغطية خدمات شبكة الصرف الصحي للمباني السكنية ٤١,٢% وتبلغ ٥٠% في المناطق الحضرية ، ولا تتعدى ٣% في المناطق الريفية ويؤدى غياب مرافق الصرف

الصحي إلى تدهور البنية الأساسية كما أن قدم شركة الصرف الصحي يعكس تدهور البنية الأساسية وزيادة نسبة التلوث وارتفاع معدل الإصابة بالمرض وبالتالي زيادة معدل الوفيات .

وطبقا لبيانات سنة ١٩٨٦ فإن متوسط نصيب الفرد من السعرات الحرارية في مصر تبلغ ٣٥٠١ يوميا وهى كمية تفوق متوسط حاجة الجسم من السعرات الحرارية بنسبة ٣٨% ومع هذا فإن نوعية الطعام منخفضة القيمة في الحقيقة ، وبخاصة فيما يتصل بالبروتين الحيواني فرغم كبر الكمية إلا أن النوعية منخفضة إذ أن ٦٢% من متوسط نصيب الفرد من السعرات الحرارية تأتى من الحبوب والنشويات (١٤) .

٦] المرأة :

قدرت الوثائق المقدمة لمؤتمر السكان والتنمية المنعقد في القاهرة (١٩٩٤) عدد الأميين في العالم بـ ٩٦٠ مليون أمى ثلثاهم من النساء فضلا عن ١٣٠ مليون طفل لا تتوفر لهم فرصة التعليم الأساسي و ٧٠% منهم من الإناث .

وفى مصر خلال سنة ١٩٨٦ كانت نسبة الإناث إلى الذكور في المرحلة الابتدائية تبلغ ٤٤,٢ % انخفضت في المرحلة الإعدادية إلى ٤١,٦% ثم في المرحلة الثانوية إلى ٣٨,٥% وفى المرحلة الجامعية وصلت إلى ٣٣,٨% .

وفى الوقت الذي بلغت فيه نسبة الإناث في التعليم الابتدائى في الحضر ٩٥% انخفضت إلى ٧٨% في قرى الوجه البحري والى ٦٥% في قرى الوجه القبلي ثم ٥٧% في غرب الوجه القبلي .

ويترتب على ذلك انخفاض معدل التحاق الفتيات بالمدارس بالاضافة إلـى تسربهن من التعليم إذ وصلت نسبة الامية سـنه ١٩٨٦ إلـى ٦٢,٢ للاناث ، ٣٧,٨ للذكور ويعود ارتفاع نسبة الامية للاناث إلى العادات والتقاليد التي تضـع العراقيل والقيود امام تعليم الفتاة واستغلالها ٠

وفى الوقت الذي لا تتعدى نسبة مساهمة النساء في قوة العمل ١٠% من مجموعهن تكشف البيانات المتاحة عن ضعف مشاركة المرأة في مجالات الانشطة الرياضية والترويحية فعضويتها في الاندية تصل إلى ٢٤,٦% ، ومشاركتها فـي الانشطة الرياضية بهذه الاندية تتراوح بين ٤,٨% ، ٨% ٠

تختلف مشاركة النساء في مراكز الشباب في المناطق الحضرية عنها فـي المناطق الريفية فهى تصل إلى ١٢,٦% في المدن مقابل ٧,٢% في الريف ٠

أما نسب الاستفادة من الأنشطة التي تقدمها هذه الأندية فلا تزيد عـن ٦ في المجالات الرياضية و ٢١% في الأنشطة الاجتماعية ٠٠

وتراوحت نسبة تسجيل ومساهمة المرأة في الجداول الانتخابية بيـن ٧% ، ٢٠% ، بينما لا تتعدى نسبة المشاركة في الانتخابات بين المسجلات منهن عـن ٧% ، ولا يزيد تمثيل المرأة في البرلمان عن ٢% سنه ١٩٩٠ ، وهو ما يكشـف عن ضعف مشاركتها في الحياة السياسية ويقلل من فاعلية دورها فـي التنظيـم مالسياسى في المجتمع ويفصح عن نقص وعيها بأهمية الإسهام في توجيه دفـة الحياة في المجتمع المدني (١٥) ٠

ثانيا : برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية

ويتضمن المشروع البرنامج الذي وافقت عليه اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدولي الثالث للسكان والتنمية في دورتها الثالثة التي عقدت في نيويورك من ٢٠ إلى ٢٢ نيسان إبريل ١٩٩٤ ويقع في إحدى وعشرين ومائة صفحة من القطع الكبير ، ويتألف من ستة عشر فصلا ومقدمه .

أولا : من حيث الشكل :

١) تقع الديباجة اى المقدمة في ست صفحات ويضمها الفصل الأول بينما يضم الفصل الثاني المبادئ الأساسية للمؤتمر ويقع في اربع صفحات ، ويقع الفصل الثالث بعنوان اوجه الترابط بين السكان والنمو الاقتصادي المطرد في سبع صفحات .

أما الفصل الرابع فموضوعه المساواة بين الجنسين ويقع في سبع صفحات . والفصل الخامس عنوانه الاسرة وادوارها وحقوقها وتكوينها وهيكلها ويقع في ثلاث صفحات .

اما موضوع الفصل السادس فهو النمو السكاني والهيكل السكاني ويقع في تسع صفحات ، وعنوان الفصل السابع الحقوق التناسلية اى الصحة الجنسية والتناسلية وتنظيم الاسرة ويقع في ثلاثة عشر صفحة ، أما الفصل الثامن فموضوعه الصحة ومعدلات الاعتلال والوفيات ويقع في اثنتى عشر صفحه ، والفصل التاسع وموضوعه التوزيع السكاني والتحضر والهجرة الداخلية ، ويقع في ست صفحات ، ثم الفصل العاشر وهو عن الهجرة الدولية والتنمية ويقع في تسع صفحات ، كما يقع

الفصل الحادى عشر وموضوعه السكان والتنمية والتعليم في سبع صفحات ، ويتضمن الفصل الثاني عشر دور التكنولوجيا في البحث والتطوير ويقع في سبع صفحات ، والفصل الثالث عشر عنوانه الإجراءات الوطنية المتعلقة بالسكان والتنمية ويقع في تسع صفحات وعنوان الفصل الرابع عشر التعاون الدولي لتنفيذ برامج السكان والتنمية ويقع في خمس صفحات ٠

أما الفصل الخامس عشر فموضوعه المشاركة مع القطاع غير الحكومي ويقع في خمس صفحات ٠ ويقع الفصل السادس عشر والاخير وموضوعه متابعة اعمال المؤتمر في ست صفحات ٠

٢] يعد الفصل السابع وموضوعه الحقوق التناسلية والصحة التناسلية وتنظيم الأسرة والأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي والنشاط الجنسي بين البشر والعلاقات بين الجنسين وحقبة المراهقه٠

٣] يتضمن كل فصل ٣ محاور أساسية وهي أساس العمل أو المحاور والمبادئ الأساسية والهدف من الإجراءات الواجب اتباعها مع مراعاة الاختلافات القائمة بين الدول المتقدمة صناعيا ودول العالم الثالث ٠

<u>ثانيا : من حيث المحتوى :</u>

١] هناك ١٥ مبدأ يرتكز عليها المشروع وهى :

أ] لكل انسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات دون اى تمييز بسبب اللون أو الدين ... الخ .

ب] لكل انسان الحق في الحصول على كفايته من الغذاء والكساء والمأوى .

جـ] ترتكز برامج السكان والتنمية على المساواه بين الجنسين وحقهما في وضع السياسات .

د] هدف السياسات السكانية تحسين نوعية الحياه وهى حق سيادى لكل امه .

هـ] لابد من تحقيق التنمية المستديمة بتلبية احتياجات الاجيال الحالية ومراعاة الأجيال المقبله .

و] لابد من استئصال شأفة الفقر .

ز] لكل إنسان الحق في الحرية والامن والصحة الجسمية والعقلية والحصول على الرعاية الصحية .

ح] للازواج الحرية في تنظيم الاسرة والاستفادة من الرعاية الصحية والتناسلية .

ط] الإنسان هو الهدف الأساسي للتنمية .

ى] حرية الاختيار للزواج لتكوين الاسرة التي تعد الخلية الاولى للمجتمع .

ك] لكل انسان الحق في التعليم .

ل] كفاية حق المهاجرين واسرهم في العيش الكريم في البلدان المستقبله .

م] الحق في المشاركه الاجتماعية للسكان الاصليين .

ن] اهمية تضييق الاختلال بين البلدان النامية والمتقدمه .

س) حق المضطهدين واللاجئين في اللجوء لبلدان أخري ٠

* * *

<u>الفصل الثالث وعنوانه :</u> أوجه الترابط بين السكان والنمو الاقتصادي المطـــرد والتنمية المستديمة ويناقش إدماج الاستراتيجيات السكانية والتنمويـــة ، والـــدور الذي ينتظر أن يلعبه السكان من خلال النمو الاقتصادي المطـــرد للقضـــاء علـــى الفقر ، وعلاقة السكان بالتنمية ٠

وتتضمن أسس العمل هنا التذكرة بالآثار الناجمه عن اغفال الاعتبـــارات السكانية في رسم الاستراتيجيات الاقتصادية مما يؤدى لزيادة السكان واســـتمرار التحركات السكانية وزيادة حدة الفقر وتظهر هنا اهمية مراعـــاة الاســـتراتيجيات التنموية في السياسات السكانية وبخاصة الدول النامية مع مراعاة المساواة بيـــن الجنسين ، ففى الكثير من الدول يتصل الفقر بالبطالة والامية ويتدنى مركز المـــرأة والمشاكل البيئية وتزداد سرعة النمو السكاني فضلا عن الاختـــلال فـــي توزيـــع السكان نتيجة للهجرة المستمرة للحضر والضغط على الموارد مما يعطل التنميـــة المستديمه ٠٠

وتتلخص الاهداف في إدماج الاهتمامات السكانية في استراتيجيات التنمية وعملية اتخاذ القرار ورفع مستوى المعيشة للقضـــاء علـــى الفقـــر والحـــد مـــن الاستهلاك بغية تلبية احتياجات الاجيال الحالية أما الإجراءات التي يوصـــى بـــها فتكمن في تقييم السياسات والبرامج المتصله بالتنمية المستديمه بواسطة الـــهيئات الرسمية وغير الحكومية والالتزام السياسي بمعالجة النواحي الســـكانية وتنميـــة الموارد البشرية مع القضاء على الحواجز التي يقف في وجه مشاركة المرأة فـــي

العمل وفي رسم وتنفيذ السياسات السكانية والاهتمام بالامن الذاتي وتهيئة المناخ الاقتصادي المناسب وبخاصة في الدول النامية والعمل على تحقيق التكامل بين البيئة والسكان مع التصدى للثار الايكولوجيه المترتبه على زيادة السكان واختلال التوزيع السكاني ٠

- والفصل الرابع بعنوان " المساواة بين الجنسين والإنصاف وتمكين المرأة "وفيما يتعلق بالقضايا التي تمت مناقشتها في قضايا بتحسين وضع المرأة والاهتمام بالفتاه في مرحلة الطفولة واطلاع الرجل بدور رئيسي في تحقيق المساواة بين الجنسين فقد تضمن أساس العمل الأبعاد الخاصة باستقلال المرأة وتحسين مركزها الاجتماعي الاقتصادي والتعليمي في تحقيق التنمية الاقتصادية ومراعاة حصول الطفلة على الغذاء والتعليم والرعاية الصحية وتحسين فهم كل من الرجل والمرأة للمسئوليات المشتركة بينهما حتى يصبحا شريكين متكافئين في الحياة ٠

وتتمثل الأهداف الموضوعة في تحقيق المساواة والمشاركة الكاملة للمرأة في كل المجالات وفي صنع القرار وتعليم النساء والرجال لتلبية حاجاتهم الإنسانية مع القضاء على كافة أشكال التمييز ضد الطفلة وزيادة التوعية بقيمتها والاهتمام برفاهيتها مع تحقيق المساواة بين الجنسين في الأسرة والمجتمع ٠

أما الإجراءات التي يوصى بها فتتضمن القضاء على أشكال عدم المساواة والتمييز ضد المرأة والقضاء على ممارسة العنف ضدها وبخاصة في مجال العمل والاشتراك معا في تربية الأطفال على أن تعمل المدارس ووسائل الاعلام على

القضاء على الأفكار المتعلقة بعدم المساواة مع الاهتمام بالصحة الجنسية للفتاة والتحذير من عملية الختان .

* ويدور الفصل الخامس حول الأسرة وادوارها وحقوقها وتكوينها وهيكلها ويناقش تنوع هيكل الأسرة وتكوينها ودعمها الاجتماعي والاقتصادي واساس العمل هنا الاهتمام بالأسرة في مواجهة آثار عمل المرأة والهجرة للمدن والفقر والتعرض للكوارث الطبيعية والترمل والإدمان والعنف الأسري . وتتمثل الأهداف هنا في وضع سياسات وقوانين لدعم الأسرة والاهتمام بالضمان الاجتماعي لدعم تربية الأطفال وتساوى الفرص بالنسبة لأفراد الأسرة والعمل على أن تتجاوب سياسات التنمية الاجتماعية والاقتصادية للوفاء باحتياجات الأسر .

أما الإجراءات فتكمن في تشجيع التعليم والقضاء على زواج الأطفال وإجراء الدراسات اللازمة على أنماط الأسرة في المجتمع ودعم الأدوار الوالدية والتصدى للمشاكل الأسرية ودعم الأسر الفقيرة ومساعدتها .

* وعنوان الفصل السادس " النمو السكاني والهيكل السكاني " ويتناول معدلات الخصوبة والوفاة والنمو السكاني ، والأطفال والشباب وكبار السن والسكان الأصليين واصحاب العاهات .

أما عن أساس العمل في هذا المجال فيلمح للزيادة السكانية في العالم فخلال الفترة من ٨٥ ــ ١٩٩٠ كان ٤٤% من سكان العالم يعيشون في ١١٤ لدا تجاوزت معدلات النمو فيها ٢% سنويا وتشمل جميع بلدان أفريقيا والتى تضاعف سكانها كل ٢٤ سنه وثلثي بلدان آسيا وثلث بلدان أمريكا اللاتينية بينما

قلت معدلات النمو عن ١% سنويا في ٦٦ بلدا يمثل ٢٣% من سكان العالم معظمها في أوروبا ، ويواجه أطفال القارات الأشد فقر كأفريقيا التي تبلغ نسبة من تقل أعمارهم عن ١٥ سنه من السكان ٤٥% ـ خطر الإصابة بسوء التغذية والمرض والإهمال والاتجار بهم هذا في الوقت الذي يلاقى كبار السن الإهمال والإجحاف في المعاملة بينما يعانى السكان الأصليين من انخفاض مطرد نتيجة للاتصال بالأمراض الخارجية ٠

كما يشكل أصحاب العاهات جزءا كبيرا من السكان ، وتتمثل الأهداف في دعم صحة الأطفال والمراهقين والشباب والوفاء باحتياجاتهم الأسرية والمجتمعية وبخاصة في مجال التعليم مع الاهتمام بالمسنين ورعايتهم صحيا واجتماعيا واقتصاديا وإدراج منظورات واحتياجات الشرائح الأصلية (السكان الأصليين) في تصميم برامج السكان والتنمية وضمان حصولهم على الخدمات التنموية وضمان مشاركة أصحاب العاهات كذلك في مجالات الحياة وفى عملية التنمية والمحافظة على كرامتهم ٠

وقد تركزت الإجراءات في تحسين الخصائص السكانية وبخاصة في المناطق الريفية وحماية الطفوله والمراهقة والشباب من الاستغلال واشباع احتياجاتهم وضمان وقايتهم من الحمل المبكر والأمراض الجنسية وتعزيز استقلال كبار السن والاهتمام بالتشاور مع السكان الأصليين بالتعاون بين المنظمات الحكومية وغير الحكومية واحترام ثقافتهم الأصلية مع المحافظة على الحقوق الإنسانية لذوى العاهات وتلبية احتياجاتهم وإدماج الأشخاص أصحاب العاهات في النسيج الاجتماعي بصورة مستمرة ٠

* والفصل السابع بعنوان " الحقوق التناسلية " اى الصحة الجنسية والتناسلية – وتنظيم الأسرة اى الحقوق التناسلية ، وتنظيم الأسرة والأمراض الجنسية ، والعلاقات بين الجنسين ، وحقبة المراهقة ٠

ويضم أساس العمل حق الأشخاص في حياة جنسية مأمونه ورعاية صحية مناسبة وتعرف الصحة الجنسية بأنها تكامل الجوانب الجسدية والعاطفية والعقلية والاجتماعية بأساليب تدعم الشخصية وتقوى التفاهم والحب في السلوك الجنسي ٠

ويتمكن الأزواج من خلال تنظيم الأسرة من دراسة الاختيارات المناسبة بواسطة الثقافة السكانية وتنظيم الأسرة للاستفادة من وسائل منع الحمل مع الاحتراس من الأمراض الجنسية والمحافظة على الصحة الجنسية على أساس الاحترام والانسجام المتبادل مع حماية المراهقين من الحمل غير المرغوب فيه ، من خلال توفير المعلومات التي تساعدهم على فهم حياتهم الجنسية ٠

وتتمثل الأهداف في كفالة معلومات عن خدمات تنظيم الأسرة وتوفير الوسائل الرخيصة التكاليف ودعم القرارات المسئولة عن الحمل والإنجاب ، ومنع الحمل غير المرغوب ، وتحسين الوسائل اللازمة ، وتشجيع الرضاعة الثديية ، والوقاية من الأمراض الجنسية ، وضمان معالجة قضايا المراهقة المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية ومواجهة حمل المراهقات ٠

أما الإجراءات فتشمل توفير خدمات المشورة والمعلومات والخدمات الخاصة بتنظيم الأسرة وتوصيل المعلومات وتحقيق التعاون بين الهيئات الحكومية

وغير الحكومية وتوفير التدريب والمساعدات الفنية وبخاصة للفئات المحرومة من الخدمات والتغلب على العقبات وتوفير قاعدة هامة للمعلومات من الأخطار والفوائد المتصلة بهذه الأخطار وتوفير الوسائل بأسعار رخيصة وتقديم المشورة للنساء الذين يلجأوا للإجهاض والوقاية من الإيدز مع حماية النساء والشباب والأطفال من الاعتداء الجنسي على أن تتولى الهيئات الحكومية والأهلية تعزيز برامج الثقافة الوالدية ليتسنى لهم تربية أولادهم بصورة سوية في مجال الصحة الجنسية والتناسلية ٠

- والفصل الثامن بعنوان " الصحة ومعدلات الاعتلال والوفيات " ويتضمن الرعاية الصحية الأولية وقطاع الرعاية الصحية وبناء الطفل وصحته وصحة المرأة والإصابة بالإيدز ويتضمن أساس العمل خفض الإنفاق على الخدمات الصحية في كثير من البلدان وخفض معدلات الوفيات بالنسبة للأطفال الرضع والحث على ارتفاع مستوى العمر ولفت النظر إلى أن حالات الإجهاض تؤدى إلى زيادة معدل وفيات الأطفال ٠

كما أن مضاعفات الحمل والولادة تعد من العوامل الرئيسية لوفاة النساء ومن الخصوبة حيث تقع ٩٩% من الوفيات في البلدان النامية ، بينما يهدد الإيدز نحو ١٤ مليون نسمه ويتوقع أن يرتفع العدد ليتراوح بين ٣٠ مليون و ٤٠ مليون في الوقت الحالي ، وتتحدد الأهداف في توفير خدمات ومرافق الرعاية الصحية وتعزيز صحة الطفل وتحسين الحالة الصحية للرضع والأطفال وتعزيز الرعاية الثديية وصحة المرأة لاسيما الحوامل والمرضعات والعمل على الوقاية من الإيدز وتكثيف البحوث حول وسائل الوقاية منه ٠

أما الإجراءات فتتمثل في الاعتراف بدور المرأة وخفض معدلات الوفيات والاهتمام بالتدريب على الرعاية الصحية ولاسيما صحة الام والطفل وتنظيم الأسرة مع الاهتمام بتحسين نوعية الحياة ودعم نظم الخدمات الصحية للقاعدة السكانية العريضة وتقييم الأسباب الكامنة وراء ارتفاع معدل وفيات الأطفال ونشوء الأمراض الجنسية وحماية الرضاعة الثديية وتلبية احتياجات التغذية للحوامل والرضع من التصدي للإجهاض غير المأمون والوقاية من الإيدز .

* والفصل التاسع بعنوان " التوزيع السكاني والتحضر والهجرة الداخلية " ويضم مجموعة قضايا وهى علاقة التوزيع السكاني بالتنمية المستديمة ، وعلاقة التوزيع السكاني بالتنمية المستديمة ، وعلاقة النمو السكاني بالتكتلات الحضرية الضخمة . أما أساس العمل فهى تتمثل في الاختلال الواضح في توزيع السكان حيث تحتشد السكان في المناطق الحضرية الكبيرة ولاسيما في الدول النامية وحيث تتسم المنظومة الحضرية في كثير من البلدان بالهيمنة الساحقة لمدينة كبرى واحدة أو تكتل سكاني واحد مما يشكل تحديا اقتصاديا واجتماعيا وبيئيا للحكومات . أما الهدف المأمول فيتمثل في تشجيع التوازن السكاني وتعزيز التنمية المستديمة في المناطق الموفدة والمستقبلة والحد من العوامل التي تؤدى لتدفق المهاجرين والتخطيط الراعي للمناطق الحضرية مع تحسين نوعية الحياة في المناطق الفقيرة .

وتتضمن الإجراءات التي يوصى باتباعها رسم سياسات التوزيع السكاني الذي يتسق والسياسات الانمائية وتشجيع نمو المراكز الحضرية الصغيرة والمتوسطه والتنمية المستديمة في المناطق الريفية ، وتشجيع الاستثمار فيها، وتوفير فرص العمل ودفع التنمية الريفية مع زيادة كفاءة سلطات المدن على

إدارة التنمية الحضرية ، وتحسين قدرة المهاجرين على الكسب مع توفير الحماية للمشردين ، والحد من الهجره القسرية والتطهير الاثنى ، والحد من الاسباب المؤدية إلى تدهور البيئة مع مساعدة المشردين على العوده إلى اراضيهم وتحديث النظام الرعوى في المناطق الرعوية .

* والهجرة الدولية هى عنوان الفصل العاشر ، وتتضمن دراسة علاقة الهجرة الدولية بالتنمية ومناقشة حقوق المهاجرين المسجلين وغير المسجلين واللاجئين ويتمثل أساس العمل أن تلتزم سياسات الهجرة الدولية بمراعاة القيود الاقتصادية في البلد المستقبل وتأثير الهجرة على المجتمع المضيف فمن المهم منح الحقوق الاجتماعية والاقتصادية للمهاجرين المسجلين أسوة بابناء الوطن المضيف غير أن الضغوط الاقتصادية والاجتماعية في البلدان النامية تدفع فئات عديدة لتشكل شرائح الهجرة غير القانونية في البلدان الأخرى المتقدمة اقتصاديا كما ازداد عدد اللاجئين إلى اكثر من الضعف من ١٩٨٥ : ١٩٩٣ اى من ٨,٥ مليون نسمه إلى ١٩ مليون نسمه .

أما الأهداف المثبته هنا فتتلخص في معالجة الاسباب الجذرية للهجرة لاسيما الفقر والتأكيد على جوانب التنمية في البلدان الموفده والمستقبله وتيسير عملية إدماج المهاجرين العائدين مع كفالة اندماج المهاجرين المسجلين والقضاء على التمييز ضدهم وتعزيز رفاهيتهم واحترام ثقافاتهم مع تقليل الضغوط المؤدية إلى تحركات المهاجرين واللاجئين والمشردين وتوفير الخدمات المناسبه لهم مع وضع برامج مساعده لاشباع حاجات المهاجرين وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية لهم .

وتتضح الإجراءات الواجب اتباعها في منح المهاجرين الفرصة لتحسين اوضاعهم وجمع البيانات عن المهاجرين للخارج مع منح المهاجرين المسجلين إمكانية تكافوء الفرص مع أبناء البلدان المستقبلة لهم ومناهضة التمييز الديني والجنسي وغيرها وحماية الأسر المهاجرة في البلدان التي نزحوا اليها مع القضاء على العوامل التي تؤدى للتشريد من خلال الوفاء باحتياجات هذه الفئات ومعاملتهم بصورة كريمة وإشباع احتياجاتهم الأساسية .

* وعنوان الفصل الحادى عشر " السكان والتنمية والتعليم " ويناقش عدة قضايا من بينها علاقة التعليم والسكان والتنمية والمستديمه ، وعلاقة السكان والاعلام والتثقيف والاتصال .

أما عن أساس العمل فيلمح إلى أن ٧٥% من الاميين في العالم من النساء وان هناك علاقة وثيقه بين التعليم والمتغيرات السكانية والاجتماعية كسن الزواج والخطوبة ، والحراك الاجتماعي وحجم الأسرة وصحة الطفل ، فالتعليم يؤدى لتحسين نوعية الحياة بينما يعد الشباب لمواجهة المستقبل والحصول على العمل والتعليم يوفر قاعدة جيدة للمعلومات مما يخلق الاستثارة الفكرية ويؤدى للوصول إلى القرارات السليمة بينما تؤدى سبل الاتصال الناجحة إلى الاهتمام بالفنون الشعبيه والترفيهية والاهتمام بالخدمات المختلفة والنقابات والمنظمات غير الحكومية ورأب الفجوة بين بلدان العالم المختلفة .

وتتحدد الأهداف في مكافحة الأمية وتيسير الحصول على التعليم للجميع وبخاصة الشباب من الجنسين لزيادة المسئولية والوعي بشأن العلاقة بين السكان والتنمية وزيادة الوعي لدى القادة والمنظمات غير الحكومية في مجال السكان

أما الأهداف فتتمثل في توفير قاعدة معلومات وحفز القدرة الوطنية على جمع البيانات السكانية والإنمائية وتعزيز التفاعل بين مستعملي ومقدمي البيانات واقامة شركة للمعلومات الديموغرافية مع نشر الدراسات وتسهيل تطبيقها ، فضلا عن الاهتمام بفهم العوامل التي تؤثر في تحقيق الصحة الجنسية والتناسلية للجميع وكفالة أمان وسائل تنظيم الخصوبة ونوعيتها وكفالة الفرصة لجميع الأشخاص لتحقيق صحة جنسية وتناسلية جيدة ودعم البحوث الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتعزيز استخدام نتائجها لتحسين وضع السياسات وتنفيذها ووضع السلوك الجنسي في سياقة الاجتماعي .

ودعم البحوث الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وتعزيز استخدام نتائجها لتحسين وضع السياسات وتنفيذها ووضع السلوك الجنسي في سياقه الاجتماعي .

أما عن الإجراءات فتنهض على اعداد برامج مستمرة لجمع البيانات السكانية والتنموية المتعلقة بالتعليم والصحة والرفاهية مع دعم التواصل بين الشبكات المحلية والاقليمية والعالمية وتكثيف البحوث الأساسية عن النشاط الجنسي والخصوبة وتنظيم الأسرة ومكانة المرأة والهجرة والاهتمام بوسائل منع الحمل المحسنه بالتعاون بين القطاع الحكومي وغير الحكومي مع احترام المعايير الاخلاقية والثقافية في هذا الشأن ودراسة محددات الإجهاض واثاره اللاحقه إلى جانب الأساليب الطبيعية لتنظيم الأسرة فضلا عن انطلاق استراتيجيات السكان من البحوث التي يتم اجرائها على المعيدين الوطني والدولي مع الاهتمام بالعوامل التي تؤدى إلى الاختلافات بين البلدان وتراعى خصوصية المجتمع .

* والفصل الثالث عشر بعنوان " الإجراءات الوطنية " ويشمل السياسات وخطط العمل الوطنية ، وادارة البرامج وتنمية الموارد البشرية وتعبئة الموارد وتوزيعها ٠

ويتضمن أساس العمل ازدياد الاعتراف بدور المنظمات غير الحكومية كشركاء في السياسات والبرامج الوطنية وكذلك بأهمية دور القطاع الخاص لتحسين نوعية الحياة ودعم التنمية المتواصلة مع تمكين برامج التنمية من تحقيق أهدافها من خلال الإسهام في الإقلال من الضغط السكاني على الموارد والخدمات ودعم مكانة المرأة لذا يلزم تكثيف الجهود الرامية لتوليد الموارد المحلية لدعم خدمات الصحة التناسلية بما فيها توظيم الأسرة وزيادة فاعلية الإعلام والتثقيف بمسائل السكان والتنمية ومواجهة الممارسات الجنسية الضاره والأمراض الجنسية ومرض الإيدز والعقم ودعم البيانات الديموجرافية لتحقيق الأهداف السكانية والتنموية مع الاهتمام بتحسين مركز المرأة ومشاركتها في عملية التنمية ٠

أما الأهداف فتتلخص في تحسين القدرات الوطنية والاسراع بجمع وتحليل البيانات ورفع مستوى مهارة المديرين والاهتمام بتدريب الإناث وتهيئة المستوى المناسب من تعبئة وتوزيع الموارد للتعجيل بالتنمية المتواصلة ٠

أما الإجراءات فتتحدد في صياغة البرامج التنموية بما يحقق الاحتياجات وتوفير الموظفين الاكفاء لوضع الاستراتيجيات والخطط مع الاهتمام برفع مستواهم ووضع البيانات المتعلقة بالخبراء ، والمؤسسات مع إدماج الشباب والنساء وضمان الاستفادة من هذه البرامج للوفاء بالالتزامات مع تقدير التكاليف المادية بصورة دقيقة ٠

• والفصل الرابع عشر بعنوان " التعاون الدولي " ويتضمن تحديد مسئوليات الشركاء في التنمية ، والالتزام بالتمويل ، أما أساس العمل فيستلزم توفير الموارد المالية وتحديد الاولويات والمسئوليات .

أما الأهداف فتتمثل في التواءم بين الجهود الوطنية والدولية والاهتمام بالسياسة الاقتصادية للمجتمع وتحديد المسئوليات وصياغة البرامج وان تتمشى برامج السكان والتنمية مع حقوق الإنسان وزيادة توافر المساعدات المالية وزيادة الالتزام بالمساعدات المالية الدولية والتعاون المباشر بين الجنوب والجنوب .

وتتضمن الإجراءات الاهتمام بنقل التكنولوجيا للدول النامية وتعزيز التنمية الاقتصادية وتسهيل الحصول على القروض الدولية في مجال السكان والتنمية وترابط البرامج الوطنية مع اعطاء الاولوية للدول النامية .

ويتضمن الفصل الخامس عشر ثم الفصل السادس عشر قضيتى المشاركة مع القطاع غير الحكومي ومتابعة اعمال المؤتمر اما اولهما فيتضمن حث المنظمات غير الحكومية على المشاركة في قضايا السكان والتنمية وبخاصة القطاع الخاص بامكاناته في انجاز الخدمات بينما يتضمن الفصل الاخير اهمية متابعة قرارات المؤتمر وترجمة توصياته في صورة ملموسة لمواصلة الإسهام على المستوى المحلي والإقليمي والوطني والدولي في مجال السكان والتنمية .

❑ موقف الازهر والكنيسة من الوثيقـــــــة :

أولا : موقف الأزهـــر :

في الوقت الذي تضمنت توصيات المؤتمر الســـادس للمجلـس الأعلـى للشئون الإسلامية التحفظ على بعض القضايا التي ستطرح في المؤتمـــر وعلـى رأسها الإجهاض وحرية العلاقات الجنسية (دون أن يقرأ افرادها بدقه علـــى مـا يبدو وثيقة المؤتمر) فان فضيلة المفتى قد أدلى بدلوه في وثيقة المؤتمر بتـــاريخ ٢٤ أغسطس وذلك انه من خلال القراءة المتأنية للمشروع لم يجـد فيـه دعوه واضحة لاطلاق حرية الإجهاض بل على العكس من ذلك تماما وجد التحذيـر من سوء عواقب الإجهاض والشذوذ الجنسي وأردف قائلا " وسواء أكنت مصيبـــا في قراءتى لهذا المشروع ام كنت ساهيا عن بعض فقراته فـــان كـل توصيـــة أو عبارة وردت أو سترد عن هذا المؤتمر لا تتعارض مع احكام ديننا الإسلامي ومـع ادابنا واخلاقنا فمرحبا بها وكل توصية تتنافى مع شريعتنا فسحقا لها " ،

ومن ايجابيات الوثيقة في نظره تركيزها على حقوق النساء والأطفـــال ، والتحذير من العلاقات الجنسية الشاذة ومن الإجهاض ودعوتــــه للقضـــاء علـى الممارسات التي ترتكب ضد المهاجرين والاهتمام بالتعليم ،

وفضيلة المفتى يأخذ على الوثيقة إنها ألمحت للمســـــاواة بيـن الذكـور والإناث في الميراث وهو ما يتنافى والشريعة الإسلامية ،

ثانيا : موقف الكنيسـة :

(١) الكنيسة الارثوذكسية : رغم موافقة الكنيسة من حيث المبدأ على اهميـة المؤتمر السكاني فان الكنيسة تأخذ على وثيقة المؤتمـر اغفالـها للبعـد الديني والاخلاقي في الانجاب فقد تعاملت مع الانجاب كقضية بيولوجيـه بحته ولم تشر للزواج إلا مرة واحدة عند الإشارة للزواج المبكر للفتيـات (الفصل السابع) ٠

والمحت قيادة الكنيسة ان الفصل الخامس تناول دور الأسرة دون زواج وانها عندما اشارت للاتحادات الأخرى في مضمار اشارتها للـزواج قد هيأت المجال لقبول الشواذ جنسيا ٠ وانـها حيـن تعرضـت لحقبـة المراهقه المحت للحرية الجنسية فيها دون رقابة ٠ وان موقف الوثيقـة من الإجهاض مضطرب ويحتاج إلى حسم وتحديد ٠

(٢) وقد اعترضت الكنيسة الكاثوليكية على اعتبار الإجـهاض وسـيلة مـن وسائل منع الحمـل ٠

- **تعقيـب :**

[١] تتسم الوثيقة بالتكرار الملحوظ للقضايا المثارة ٠

[٢] لم تحظى العلاقة الدينامية بين السكان والتنمية البيئية بقـدر كـاف مـن الاهتمام ، وتم التركيز على قضايا الزيادة السكانية والانفجار السكاني وما يستلزمه ذلك من الاهتمام بوسائل تنظيم الأسرة ولاسيما الإجهاض الآمـن وفي اللجنة التحضيرية الأولى لمؤتمر السكان عـام ١٩٩٢ كـان هنـاك

اتجاه بين الدول النامية للتركيز على العلاقة بين السكان والتنمية ومشكلة الديون في العالم الثالث غير أن الوثيقة فشلت في تجسيد هـــذه العلاقـــة التفاعلية بين السكان والبيئة والتنمية كما حدث في مؤتمر ريودى جانيرو سنه ١٩٩٢ ٠

والواضح انه من بين ٢٤٣ نقطه في أساس العمـــل فـــان نحـــو ١٥ نقطه فقط تتناول العلاقة بين السكان والنمـــو الاقتصـــادي والاجتمـــاعى والتنمية المستديمه ، بينما لم تحظى قضية تحسين الاوضوع الاجتماعيـــة والاقتصادية في الجنوب من خلال دفع عجلة التنمية الاجتماعية وتخفيض عبء الديون إلا باشارة عابره ٠

[٣] تعبر الوثيقة عن رؤية العالم الغربي للقضايا السكانية وتتمثل في مسئولية الجنوب عن الزيادة السكانية وبالتالي عـــن تخلـــف البنيـــة الاجتماعيـــة الاقتصادية في هذه البلدان ، وان حل هذه المشكلة يتمثـــل فـــي التثقيـــف الصحي والتوعية الجنسية ونشر أساليب منـــع الحمـــل وتـــأمين عمليـــة الإجهاض ٠ ولم تبذل الوثيقة جهدا ملموسا في ترشيد الحرية الشـــخصية وتوجيه العلاقات الجنسية من خلال الاستناد على تحليل النســـق القيمـــى والتوجه الراديكـــالى فـــي المســـيحية والاســـلام ، والعقـــائد الأخـــرى (كالزرادشيتيه والبوذية) ، والايديولوجيات الاشتراكية والليبرالية وغيرهـــا ، وقد سبق أن ظهر هذا الموقف بصورة ملموسة حين حاولت الولايـــات المتحدة تفنيد مسئولية الدول الصناعية عن الكوارث البيئية فـــي مؤتمـــر قمة الأرض في البرازيل والقت بالكرة في ملعب العالم الثالث ٠

[٤] لم توضع القضية السكنية في اطارها المجتمعي في الجنوب فقد صيغت التصورات برؤية " التكنوقراط " في الشمال فهي توصي بتعليم الجنسين لاسيما النساء والاهتمام بالخدمات الصحية والخدمات الأخرى دون أن تضع تصورا لسبل رفع عجلة التنمية والتصنيع وتغيير التكوين الاجتماعي – الاقتصادي في الدول النامية الذي زادت ديونه على ١٣٠٠ مليار دولار في منتصف التسعينيات تستلزم خدمتها حوالي ٢٠٠ مليار دولار سنويا ولا يخفى على احد أن الموارد الطبيعية في العالم الثالث سبق استنزافها وقد اصبحت الدفه الان في يد العالم الرأسمالى الذي لا يزيد سكانه عن خمس سكان العالم ، ويزيد الدخل السنوي للفرد عن ١٠,٠٠٠ دولار بينما يقل عن ٥٠٠ دولار لدى بعض الدول النامية ويستهلك سكانه ٨٠% من اجمالى الطاقة ، ٨٢% من المواد الخام .

[٥] لم يجهد كتاب المشروع انفسهم للتقصي عن اسباب الزيادة السكانية في العالم الثالث وفى المناطق المتخلفة في بلدانه فحينما يتدنى الدخل والمستوى الاجتماعي والاقتصادي وتنحسر مظلة التأمينات الاجتماعية يتوهم الآباء أن الابناء هم السند حين يشيخون أو توافيهم المنيه ، وتزداد معدلات الزواج المبكر ، ويزداد الاحساس بالظلم والغبن الاجتماعي ، وتنتهك آدمية الفقراء ففى الأراضي المحتله وفى البوسنه والهرسك وغيرها تزداد معاناة الناس ويزداد الشهداء ولابد من زيادة معدلات الانجاب في عرف الثوار للثأر من البغاه .

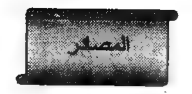
[٦] أن البعد الاقتصادي الاجتماعي في قضايا السكان والتنمية والبيئة قد غاب إلى حد كبير في الورقه الراهنة حيث ركزت الورقة على بعد

تنظيم الأسرة بصورة عامة دون مراعاة لكيفية اقناع الإنسان بفاعليته وجدواه وركزت على توفير الخدمات في البعد الخاص بتحسين الخصائص السكانية والاجتماعية بينما اغفلت البعد الاقتصادي وسبل تحقيقه في الدول النامية ٠

[٧] افترضت الورقة أن المرأة والطفل يعانيات بصفة خاصة ، ومستمرة في البلدان النامية ، ولم تناقش الورقة قضايا كالهامشية والاغتراب التي يشعر بها خمس سكان العالم وهم افقر فقراء العالم (سكان المقابر في مصر والفلبين كمثال) حيث يعيش الرجال والنساء معا في ظل ظروف غير آدميه وغير انسانية بالمرة ومع هذا فقد كان المؤتمر فرصه لتلاقي الأفكار وتحاور الثقافات والتحام الشمال والجنوب في السنوات الاخيرة من العقد الاخير وهى فرصة اتيحت لكى تناقش قضايا السكان في السياق المجتمعى الذي يضمها اى البيئة الاجتماعية الاقتصادية والتكوين الاجتماعي الاقتصادي بما يضمه من ادوات واساليب انتاجية وخصوصية ثقافية وحيث يشعر الإنسان بانسانيته وحريته وهو يمارس ما يتمشى وتراثه الدينى والاجتماعى والاخلاقى ٠٠

أن التهديد الحقيقى للبشرية لا يعد نتيجة للزيادة السكانية المضطرده – غير المحكومة – في العالم الثالث بل أن النقص الحاد في معدل المواليد وارتفاع معدل الاعمار وكبار السن على حساب زيادة معدل الشباب يعد مشكلة هامة كذلك في الدول الغربية ، كما أن استنزاف الموارد الطبيعية المتاحه في العالم الثالث نتيجة لمشكلة الديون ونتيجة لاختلال توزيع السكان فيه مع نقص معدل الإنتاج عن معدل الاستهلاك ،

والضغط على البيئة بصورة تزيد ممن معدل الفقر (وتؤدى لتدهور سبل حماية البيئة) وزيادة المشكلات البيئية تزيد من الفجوة بين البلدان الغنية والفقيرة وليس معنى هذا أن تمنح الدول الفقيرة رخصة لزيادة معدل السكان فيها ، بل من الضروري أن يتكاتف الشمال والجنوب معا على دمج الاعتبارات السكانية والتنمية بصورة ملموسة من خلال القضاء على الإنتاج والاستهلاك الترفى في الدول الغنية والقضاء على الفقر الذي يهدد إمكانات البنية في الدول الفقيرة .



[١] عبد المجيد فراج – أحوال مصر في نصف قرن – ابنجي مصر – القاهرة – ٢٠٠٠ ص ٣١٠ : ص ٣١٦ ،

[٢] المصدر نفسه – ص ٣٢٤ : ٣٢٦ ،

[٣] الجهاز المركزي للتعبئة العامه والاحصاء – الملامح الديموجرافيه للسكان في جمهورية مصر العربية – القاهرة – ١٩٩٤ – ص ١٣ ،

[٤] المصدر نفسه ص ٤٤ ،

[٥] معهد التخطيط القومى – تقرير التنميه البشرية – القاهرة ١٩٩٤ ،

[٦] وثيقه الجمعيات الاهليه المصرية للمؤتمر الدولي للسكان – ص٢٤ : ص ٢٥ ،

[٧] P.R.P الطرق المؤدية إلى تحقيق تغيير ديموجرافى في الشرق الادنى وشمال أفريقيا – واشنطن – ١٩٩٤ – ص ١٧ ،

[٨] تقرير التنميه البشرية – مصدر سابق – ص ٥٠ : ص ٥٢ ،

[٩] الجهاز المركزي للتعبئة – كتاب الجيب الإحصائي مصر ،

[١٠] P.R.P المصدر السابق ذكره ،

[١١] تقرير التنمية البشرية ١٩٩٤ – المصدر السابق ص ٢٦ : ص ٤٦ ،

[١٢] وثيقه الجمعيات الاهليه – المصدر السابق ص ٩ ،

[١٣] الجهاز المركزي للتعبئة العامه والاحصاء – التعداد العام للسكان ١٩٨٦ ، ص ٨ ،

[١٤] تقرير التنمية البشرية – مصدر سبق ذكره – ص ٣٧ : ص ٤٢ ،
وثيقة الجمعيات الاهليه – مصدر سابق ص ٢٤ : ص ٣٣ ،

الفصل السابع

النظرية السكانية والتحول الديموجرافى

مقدمه :

لا جدال بأنه لا علم بدون نظرية وكلما مضى الوقت وتراكمت المعرفة العلمية ازدادت الحاجة لنظرية توجه البحث وتحدد المسار وتبلور الهدف والاتجاهات المختلفة للعلم ، وبدون الرؤية تتحول المعرفة إلى تراكمات لا طائل منها .

والدراسة السكانية تستند لاتجاهات مختلفة ، وقد قسمنا هذه الاتجاهات الأساسية إلى :

[١] النظرية المالتسية وردود الفعل المصاحبة لها .

[٢] النظريات الطبيعية التي تبحث عن القوانين البيولوجيه والطبيعية التي تحكم نمو السكان في اتجاه لا سيطرة للإنسان عليه .

[٣] النظريات الثقافية التي ترى أن الثقافة Culture هي المحددة للمتغيرات السكانية أو أن هناك متغيرا معينا أو متغيرات ثقافية بعينها تجعل الإنسان اكثر قدرة على ضبط نموه .

[٤] النظريات الاجتماعية التي ترى أن الظاهرة السكانية لا تنفصل بحال من الاحوال عن الظروف الاجتماعية السائدة والبناء الاجتماعي الذي يتفاعل مع هذا المتغير . غير أننا قبل أن نعرض لهذه النظريات ينبغي أن نقف برهة عند الاساس التاريخي لهذه النظريات متمثلة في الاديان الكبرى ورؤية الإنسان الدينية في حقب زمنية قديمة للظاهرة .

* **الاساس التاريخي للدراسات السكانية :**

كان الناس يعتقدون أن زيادة السكان توحي برضاء الله على الإنسان فمن ينجب كثيرا يفيد المجتمع ، ويستطيع بذريته أن يعين غيره ٠

* **الاديـــــان السماوية :**

أوصى الله آدم بزيادة نسله كما تذكر التوراة " فخلق الله الإنســان علــى صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمــروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير الســماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض " (١)

وقد حرص الله على تأكيد هذه الوصية إذ تذكر " التوراة " بعــد ســردها لقصة الطوفان أن الله بارك نوحا وبنيه وقال لــهم " أثمــروا وأكــثروا واملــؤوا الأرض ٠٠ وهكذا فهم الإنسان أن الله يوصى بالتكاثر وأن على الإنسان ان يزيــد من انساله ٠ وهى وصية أساسية في بداية تكوين العالم ٠

أما المسيحية فلم تتعرض لقضية التكاثر العددى إذ أن اهتمامها الاساســى كان منصبا على نظام الزواج نفسه ووحدانيته فالزوجة مع زوجها " جسدا واحدا " هذا بينما حاول بعــض فلاســفة الكنيســة أمثــال اثينــاغوراس وأوغســطينس واكليمنضس أن يذكروا بأن هدف الزواج هو انجاب البنين فحسب ٠

والاسلام يحض على الزواج والإنجاب إذ جاء في آياته الفاضله " وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم "(٢) ٠

وقبل أن نعرض لتأثير هذه الظروف المجتمعية ينبغي أن ننـوه بحـق أن ابن خلدون العالم العربي قد وضع نظرية عن التغير الدائرى Cyclical للسكان ، وعلاقة السكان بالظروف الاجتماعية الاقتصادية والسياسية في القرن الرابع عشر فالثقافة السكانية كما يراها تؤدى لزيادة الدخل ، وتنوع المهن بمـا تتيحـه مـن ازدياد في تقسيم العمل ، وازدياد الاستقرار الحربى والسياسى ، وزيـادة فاعليـة استخدام الموارد وهكذا يتقدم المجتمع ٠

ويؤدى الازدهار الاقتصادي والسياسى إلى تشجيع النمو السكاني بزيـادة معدل المواليد والحد من معدل الوفيات أي أن ثمة علاقة موجبة بين ازدياد قـوة الدولة وازدهار النظام السياسى وزيادة الإنتاج ، وتقسيم العمل ، وزيـادة الدخـل والنمو السكاني وحين تضعف الدولة تنشد الرفاهيـة فـتزداد الضرائـب ويـأتى الضعف السياسى والكساد الاقتصادي وينكمش عدد السكان ٠ وهكذا تقوم البلـدان وتنمو ثم تزول ٠ وقد قام Botero الإيطالى في القرن السادس عشـر بصياغـة رأيه في السكان ، وانتفع مالتس منه في مرحلة لاحقه ، وفحوى رأيـه أن قـدره الناس على الانجاب كبيرة بينما قدرتهم على توفير مصادر العيش محددة ٠

ومصادر العيش المحدودة تحدد حجم السـكان مـن خـلال الحـروب ، والمعاناة والموانع الثانوية الأخرى ٠

وينبغى أن نذكر أن اهتمام الإنسان بالسكان في العصور الوسـطى كـان يعبر عن نظرية محدودة لها صبغة أخلاقية ، وكانت الاتجاهـات " الكلاسـيكية " تهتم بتتبع أسباب ونتائج الزاهرة السكانية بهدف اكتشاف القوانين التي تحكمها ٠

وقد اسهم الاقتصاد السياسى في ذلك الوقت بمحاولة الربط بين السكان وعوامل الإنتاج المختلفة .

وليس هناك شك أن نظام الاقطاع في أوروبا كان يعني قسوة الحياة المعيشيه للشرائح الفقيرة حتى بالنسبة للنساء والأطفال الذين كانوا بمثابة ممتلكات مادية لها قيمة اقتصادية وشهد التاريخ أن تحديد الأسرة في ظل النظام الاقطاعي قد استمر حتى قيام الثورة الصناعية فكان معروفا في السويد مثلا حتى دخول الصناعة وبينما اتسمت فترات الرخاء بصفة عامة بازدياد معدل المواليد ظل حجم السكان العامل المؤثر في القوة الحربية للمجتمعات في تلك الفترة فازدياد هذا الحجم كان يعني قوة الوطن وعجز الاعداء عن هزيمته .

وقد استمر التفكير السياسى في أوروبا واقعا تحت تأثير التجاريين Merchantilists وكانت الدولة تدير دفة التجارة للمصلحة القومية وعندما كانت حركة الاكتشافات الجغرافية في أوج اتساعها ازدادت الدول الكبرى نهما في استعمار البلدان الضعيفة ، كما تسابقت في احتكار ثرواتها واستلزمت هذه السيادة الاهتمام بتوفير الايدى العاملة للحرب والانتاج ، واستمر هذا التأثير منذ منتصف القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر ، وقد تركز الاهتمام في هذه المرحلة على مكافحة البطاله باعتبارها أشر الرذائل جميعا ويعقب على هذه الفترة بأن الرجل العادى كان يعيش وينتج لحساب الدولة .

ومن بين رواد هذه الحقبة A. Serra , Nun , Fortory , W.Petty الذين ركزوا على دور السكان في المحافظة على القوة السياسية والحربية للمجتمع (٣) .

وقد ظهر قانون الملكة اليزابيت يشجع على الزواج ويفرض القيود على العزاب كما ظهر قانون كولبير Colbert عام ١٩٦٦ الذي شجع على الزواج والإنجاب . أما القانون الروسي فقد جعل الزواج اجباريا مما شجع القانون على تخفيف القيود على الانجاب غير الشرعي ، وسمى جستاف اولفيس ملك السويد محبذا للنسل لانه انشأ مستشفيات الامومه واللقطاء وفى منتصف القرن الثامن عشر ظهرت حركة (٢) الطبيعيين Physio Crats الذي اهتم روادها بتخفيف حدة الفقر وأولوا الزراعة عناية فائقة اكثر من عنايتهم بالصناعة والتجارة فالزراعة من وجهه نظرهم بمثابة المصدر الاساسي للرخاء وقد هاجموا الهجرة الريفية إلى المدينة حتى لا تضار الزراعة ، ولقد وقف انصار هذه الحركة ضد انتشار الفقر غير انهم اعتبروا السكان مصدر الثروة فمضاعفة السكان تؤدى إلى مضاعفة الثروة .

" The multiplication of wealth Results in multiplication of the population. "

ومع أن بعض انصار هذه الحركة الاجتماعية قد وقفوا ضد البعض الاخر (من امثال ميرابو / Mirabeau وكسناى Quesnay إلا أن القضية التي كانت تشغل رواد هذه الحركة التركيز على الثروة في المحل الأول والسكان في المحل الثاني بخلاف أصحاب الاتجاه الأول " التجاريين "

" Less attention ought to be paid to the increase of the population and more to the growth of wealth . "

فاذا تركنا جانبا هذه الحركات الاجتماعية السياسية التي أثرت تأثيرا كبيرا في الفكر الاجتماعي في أوروبا منذ منتصف القرن السادس عشر فان التاريخ للدراسة السكانية يقودنا إلى العديد من العلماء لعل اولهم كما ذكرنا العلامة

العربي العظيم عبد الرحمن بن خلدون حين تعرض للظاهرة بطريقة موضوعية وتجاوز عرض البيانات السكانية إلى محاولة تفسير هذه المادة والمقارنة بينها في بلدان العالم العربي بصفة عامة ثم الفارابي الذي كتب عن السكان في المدينة الفاضلة ، ومن بعد ذلك انتقل الاهتمام تدريجيا للغرب وتجدر الإشارة إلى أن بعض الكتاب امثال توماس مور More ومكيافيللى Mechiavelli قد مهدوا بكتاباتهم لمناقشة قضية السكان بطريقة " يوتوبية " ويدخل في هذا المضمار كتابات Holinshed ثم Owen الذي كان يرى أن بوسع كل عاضل أن ينتج ٥ أو ٦ أضعاف ما يستهلكه ، وفورير Fourier الذي كان يرى أن هناك بعض المؤشرات التي تدل على نقص الخصوبة وان المجتمع البشرى سيكون اكثر سعادة في المستقبل .

ومن الأشخاص الذين تجدر الإشارة اليهم John Graunt وهو رجل اعمال بريطانى اراد الانتفاع من قوائم الوفيات التي كانت تعد وتنشر منذ سنوات طويلة فقد حاول جرانت اخضاع الأرقام الكثيرة في تلك القوائم للتحليل العلمى وخرج بذلك بكتيب نشر عام ١٦٦٢ بعنوان " تأملات طبيعية وسياسية مستخلصة من قوائم الوفيات " .

" Natural and political observations made upon the bills of mortality " .

وبعد ذلك ظهر بعض الكتاب امثال Raleigh الذي اوضح أن الأرض ستضيق بالسكان ، إذ أن رائيه قد ذكر أن الناس سيزيدون بسرعة أن لم يعقهم عائق ، وجوزيف تونسند J. Townsend الذي لفت النظر إلى الخطورة المترتبة على زيادة معدل السكان وقد هاجم هذا الكاتب قانون الفقراء الذي

وضيعته الملكة اليزابيث في بداية القرن الثامن عشر لانه يشجع على زيادة انجـلب النسل ، كما ذكر انه من السخف أن نعتقد بان تزايد السكان لن يؤدى إلى الحاجه
" In a fully peopled country to say that no one shall suffer of want is absurd " .

وكان Hodgskin يرى أن العمل هو مصدر الثروة بينما كان بنيـــامين فرانكلين B. Franklin يرى أن السكان هم مصدر القوة للمجتمع ، وقد ذكـــر J.Staurt أن الزراعة تعطى الضوء الاخضر لزيادة السكان بينما كـــان البـــاحث السويدى Herren Schwand انه يمكن القضاء على الفقر بواســـطة التنميـــة ، ومن ابرز الكتاب الذين عبروا عن تفاؤلهم بشأن الأوضاع الســـكانية Godwin الانجليزى الذي رأى أن البشر يمكن أن يصلوا إلى الكمال المنشود عـــن طريـــق ارساء دعائم التربية والعدالة السياسيه والاجتماعية بينما حاول دى كوندرســـيه D.Condercet الفرنسي أن يبرهن على أن الثورة الفرنسية هى السبيل للكمـــال وان على الناس أن يتناسلوا فعما قريب ستنتهى العداوة بين البشر وسيزيد انتـــاج الطعام وتزول الأمراض ويطول عمر الإنسان وفى هـــذا الوقـــت ظـــهرت اخطـــر الكتابات التي دقت ناقوس الخطر وهى المقالات التـــي قدمـــها تومـــاس مـــالتس وضمنها نظريته في السكان .

وقد اهتم بيتى P etty ١٦٢٣ : ١٦٨٧ بالعلاقة بين السكان والنواحـــى الاقتصادية والسياسية وبخاصة بالنسبة للفقراء .

أما G.King ١٧١٢ : ١٧٤٨ فقد اكمل عمل جراونت في تعاملـــه مـــع سجلات الوفيات وقد كتب Halley عن جداول المواليد وتوقعات الحياة .

بينما قدم Sussmilch القس الانجليزى مؤلفا من ١٢٠٠ صفحة واستشهد بالعديد من الداول السكانية حيث ابرز أن الزواج المبكر يؤدى إلى زيادة السكان ٠

وقد قدم دانيل برنوللى Bernouli مؤلفا كذلك عن السكان وناقش فيه تأثير الاوبئة (وبخاصة الجدرى) واستخدم كذلك المنهج الاخصائى كما اسهم Antoine , Demontyon , Auget كذلك في الدراسات الديموجرافيه في ذلك الوقت (٤) ٠

ومن الملاحظ على كتابات السكان في هذه الفترة أن هؤلاء الرواد كانوا يختلفون في تخصصهم فقد كان جرانت (رجل اعمال صغير) Botero , Halley من علماء الفلك أما Sussmilch فكان رجل دين ٠ كما أن هؤلاء الرواد كانوا يهتمون اساسا بموضوعات أخري وانشغلوا عرضا بموضوع السكان ومعنى أن مالتس قد اهتم إلى جانب الزاهرة السكانية بعدة مجالات كالاقتصاد والاخلاق المسحية إلا انه بوسعنا أن نقول مع رالف تومسون انه إذا كان Graunt هو ابو الديموجرافيا فان مالتس كان بالتأكيد هو المتخصص الأول في علم السكان (علم الاجتماع السكاني) ٠

وكان علم السكان في القرن السابع عشر ضربا " من الفن " وفى القرن الثامن عشر فرعا من الاقتصاد السياسى لكنه اصبح في القرن العشرين فرعا متميزا من فروع علم الاجتماع ٠

أولاً : النظريـــات السكانيـــة :

نظرية مالتس في السكـــان :

ليس هناك شك انه ما من نظرية وجـدت مـن الشـهرة والـرواج مـا استحوذت عليه النظرية المالتسية Malthusianism ولم يكن بوسع رجل الدين الانجليزى الاب توماس مالتس T. Malthus أن يتصـور أن اسـمه سـيتصدر نظريات هذا العلم وقد كان ابوه صديقا لروسو كما كان مالتس مولعا بالرياضيـات ، ومع انه ظل دائما يحكم عقله في كل ما يراه ، وقد بدأ مقاله الأول بمناقشة اراء جدوين وكوندرسيه فقد ظنا أن السكان لن يلبثوا أن يصلوا إلى المستوى اللائـق بطريقة ما ، وقد عنون مقاله ب " مقال عن المبدأ العام للسكان كما يؤثر في تقـدم المجتمع في المستقبل مع ملاحظات على تكهنات جدوين وكوندرسيه وغيرهما مـن الكتاب " ٠

" An essay on the principle of population as it affects the future improvement of Society , with remarks on speculations of Godwin, Condercet , and other writers " .

وظهر هذا المقال عام ١٧٩٨ خلوا من اسم كاتبة الذي كان يخشى مـن مغبة اتهامه بالتشاؤم ٠ أما فحوى مقاله الأول فيتخلص فيما يلى :

[١] أن قوة السكان في التزايد اعظم من قوة الأرض في الإنتاج ٠

[٢] يتزايد السكان حسب متوالية هندسـية (١ ، ٢ ، ٤ ، ٨) بينمـا تـتزايد الأرض بحسب متواليه حسابية (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) ٠٠٠٠ الخ ٠

[٣] أن الطبيعـة لابد أن تفرض قيودا على نمو السكان حتـى يتـم التعـادل بينهما ٠

وقد تريث مالتس نحو خمسة أعوام زار خلالها أوروبا مرتين وجمع مادة علمية للاستشهاد بها في هذا الشأن قبل أن يكتب المقال الثاني وكان مقاله الثاني يتسم بعدة ملامح هامه :

[١] استشهد مالتس بالولايات الشمالية الامريكية التي تمثل بدورها صورة للمجتمع الجديد الذي يزداد بسرعة عدد سكانه وقد وجد أن السكان يتضاعف عددهم كل خمسة وعشرين عاما تقريبا ٠

[٢] استشهد مالتس بانجلترا حيث تتوفر الرعاية الفائقة بالزراعة للتدليل على صدق متتاليته الخاصة بالانتاج الزراعي حيث يمكن – بالكاد – معادلة الإنتاج الاصلى كل ٢٥ سنة وهو مجرد استشهاد افتراضى ٠

[٣] قرر بان هناك عوائق وقائية أو مانعة Preventive Shecks وعوائق ايجابية Positive Checks تقف ضد تكاثر السكان وتضم الأولى (المانعة) كل عوامل البؤس التي تقضى على الإنسان كالحرف الشاقة والاعمال المضره بالصحة وتشغيل الأطفال والازدحام والفقر الحاد في الطعام والشراب كمان العوائق الايجابية تعمل على خفض معدلات المواليد وتتضمن تجنب الرذيلة كالفوضى الجنسية والاباحية وانتهاك حرمة الزوجية ٠٠٠ الخ ٠

أما الضبط الاخلاقي فيعنى الامتناع عن الزواج مع الاحتفاظ بالعفة طوال الوقت ، وقد حاول جون ستيوارت مل Mill تدعيم نظرية مالتس في السكان بما اسماه قانون الغلة المتناقصة وفحواه انه مهما كانت المهارة التي تبذل في الاهتمام بالارض الزراعية فان الإنتاج لا يزداد بدرجة مساوية فمضاعفة العمل لا تؤدى في واقع الامر إلى مضاعفة الإنتاج وهو ما ينطبق على الصناعة كذلك ٠

وكما سبق والمحنا من قبل فقد نشر مالتس عددا من المؤلفات والبحــوث منها " مقاله حول مبدأ السكان كما يؤثر في تحسين مستقبل المجتمع عــام ١٧٩٨ واعاد نشر مقاله بعد تقديم دلائل على صدق المعطيات التي وردت به عام ١٨٠٣ وايضا ملاحظات عن آثار قوانين الغلال " ويتمثل في اعتماده على قانون تنــاقص الغله الذي وضع فكرته الأولى ترجو ودعمه جون ستيوارت مل ومؤداه أن الزيادة التي تحدث في الإنتاج لا تتناسب مع الزيادة المستخدمة من عنصرى العمل ورأس المال ذلك أن الأراضي بعد حد معين تصل إلى درجــة التشــبع فتكــون الزيــادة بالسالب ثم بحث في طبيعه وتطور الريع عام ١٨١٥ ٠

ويشير رمزى زكى إلى أن رتشارد كانتيلون R.Cantillon نشر مؤلفــة ١٧٥٥ بعنوان " بحث في طبيعه التجاره بصفة عامة " تعــرض فيــه لموضــوع السكان حيث اشار إلى أن قدره السكان على التزايد هى قدره لا نهائيــة غــير أن العامل الوحيد الذي يحد من فاعليه الزيادة السكانية يتوقــف علــى مــدى توفــر الموارد الغذائية ويشبع حاجة عمال الزراعة (وهم الجزء الاكبر من قــوه العمــل في ذلك الوقت) وقد اخذ برايه وليم سنيور Senior في مؤلفة عــن الاقتصــاد السياسى عام ١٨٣٦ أما فردرك باستيا Bastiat وروشــر Roscher فركــزا على أن حجم السكان يمكن أن يؤدى لتقسيم العمل والتخصص ٠

<u>نقــد نظريــــة مالتـــس :</u>

ومن أوجه النقد التي وجهت الى مالتس :

١) لم يزد سكان العالم حسب المعدلات التي افترضها مالتس فقــد عــانت دول غرب أوروبا من الانخفاض الملحوظ في عدد السكان وهو النقد الذي ذكــره ايفرت Everett ٠

٢) تجاهل الاثر الذي يمكن أن يعكسه التقدم العلمى ٠

٣) أغفل دور الموارد الطبيعية الأخرى التي لا تتصل بالانتاج الزراعى ٠

٤) تجاهل استخدام وسائل تنظيم الأسرة واعتبرها احد الرذائل ٠

٥) تجاهل الاثر الذي يعكسه التنظيم الاجتماعي والايديولوجيات ونسق القيم على الوضع السكاني بصفة عامة ومعدل الزيادة الطبيعية بصفة خاصة ٠

وينبغى أن نقرر صراحة أن النقد الذي وجهه إلى مالتس لم يكن نقدا موضوعيا بقدر ما كان هذا النقد معبرا عن وجهة نظر مخالفة تتمثل في أن نمو السكان يعتبر من الأبعاد الأساسية للرفاهية وقد عبر عن وجهة النظر الاخيرة البعض امثال . Carey , Everett

وقد اتجه البعض خلال القرن التاسع عشر إلى القول بان العوائق " الوقائية " التي ذكرها مالتس ستصبح اكثر فاعلية بمرور الوقت في تخفيض النمو السكاني ، ومن هؤلاء Hawlitt , Weyland , Moreton , Hamilton ومن هذا البعض ايضا من تبنى وجهة النظر التي فحواها أن مستوى المعيشة سيستمر في الارتفاع فيمنع بدوره النمو السكاني والفريق الثاني الذي انتقد النظرية المالتيسية يرى أن العوائق تعد بدورها نتيجة مصاحبة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي وهى الضمان لاستمرار هذا التقدم ٠ وعلى سبيل المثال فان Senior Alison , Richards , قد اكدوا على أن الدخل الحقيقى للعمال قد ازداد وانهم إذ ذاك يميلون لتعديل مستويات الحياة طبقا لذلك فهم يميلون لتأخير سن الزواج وتحديد عدد أولادهم ، أما الفريق الثالث الذي انتقد مالتس فقد ركن على نقص القدرة الطبيعية على الانجاب التي ستحدث (من وجهه نظرهم) نتيجة للنمو الاقتصادي وكنتيجة للانتخاب الاجتماعي والتغيرات في البيئة المحيطة ، والجهد

الذهنى ، واتباع الرجيم ٠٠٠ الخ ، ومن انصار هذا الفريق هربـــرت سبنســر Spencer ·

أما جون ستيوارت مل (١٨٠٦ - ١٨٧٣) الاقتصادي اللامـــع فقـد وضع عصارة فكره في مؤلفة الشهير " مبادىء الاقتصاد السياســى " وحـــاول أن يربط القضيه السكانية وقضية توزيع المكان حيث ميز بين ثلاث حالات رئيســية الأولى ويفترض فيها أن عنصر السكان سوف يتزايد مع بقاء عنصر رأس المـــال والتكنولوجيا ثابتين ، والحاله الثانية وفيها افترض زيادة رأس المال مـــع ثبـات حجم السكان والحالة الثالثة وفيها ينمو رأس المال والسكان في الوقت نفســـه ٠ كما أن الحالة الرابعة يتغير فيها السكان ورأس المال والتكنولوجيا معا ٠

وقد ظهرت بعد ذلك المدرسة الكلاسيكية الحديثة التي دافعت ببساله عــن اسلوب الإنتاج الرأسمالى ، ومن بين اقطاب هذه المدرسة ممن حاولوا أن ينظـروا للظواهر السكانية في ضوء اتصالها بالنظام الاقتصادي رتشارد جونـز (١٧٩٠ - ١٨٥٥) الذي نشر سنة ١٨٣١ مؤلفا بعنوان " رسالة في توزيع الثورة ومصادر الضرائب حيث يرى أن السكان في رأيه يميلون إلى ضبط اعدادهم كلمـــا ارتقـى مستوى معيشتهم من خلال الاستعانه بالموانع الواقية ٠

أما يوهان تونن فقد رأى أن زيادة السكان وازدياد معدل القوة العامله في ضوء ثبات المساحه المنزرعه ورءوس الاموال المستثمرة في الزراعة تؤدى إلـى تدهور الاجور فاذا استمرت الزيادة السكانية ازداد انخفاض الاجور كذلك ٠

وخلص هنرى كاريه (١٧٣٩ - ١٨٧٩) إلى أن تزايد السكان لا يشكل اية عقبه بل أن تزايد السكان وزيادة المساحه المنزرعه يكونان مصحوبين بنمو سريع في تراكم رأس المال فالقدرة على زيادة الإنتاج سوف تزيد بصورة اسرع من زيادة السكان .

وقد عبر هنرى جورج (١٨٣٩ - ١٨٩٧) عن وجهة نظره التي قرر فيها انه " إذا تحسن مستوى معيشة الناس وظللتهم العدالة الاجتماعية فان الناس سوف يعملون من تلقاء انفسهم على تنظيم اعدادهم للمحافظة على مستوى معيشتهم " .

وتبنى هنرى جويك فكرة قانون الغلة المتناقصة فاذا تزايد عدد السكان ووصلوا إلى حد معين من الكثافة فان قانون الغلة المتناقصة يبدأ في العمل فينخفض متوسط انتاجية العامل ، وعندما طبق هذا المبدأ على بريطانيا ذكر انها قد وصلت فعلا في نموها السكاني للحد الأقصى .

وما أن اقترب القرن التاسع عشر من نهايته حتى فتر حماس الاقتصاديين لمناقشة المشكلة السكانية كما يذكر المفكر رمزى زكى .

وعنديا ظهرت المدرسة الكنزيه منذ ثلاثينيات هذا القرن رفعت المشكلة السكانية إلى مستوى اخر من التحليل وهو البحث عن الاسباب المؤدية للبطالة واسباب انخفاض مستوى الدخول بالدول الرأسمالية المتقدمة .

وقد حاول البعض أمثال هارفى ليبنستين ، ورتشارد نلسون تفسير التخلف الاقتصادي من خلال المشكلة السكانية إذ أن اولهما يعتبر الهبوط في دخل الفرد في المجتمع نتيجة لزيادة السكان بينما يعتبر الثاني أن زيادة السكان بمعدل اكبر من نمو التراكم الرأسمالى يؤدى لهبوط الدخل إلى حد الكفاف .

كما أن جون كرنس J. Cairnes ، هنرى كاريبه H. Carey ، هنرى جورج H. Georg ، يتفقون في أن زيادة نمو السكان وزياده زراعه الأرض يتزامن مع نمو تراكم رأس المال ومع وجود العداله الاجتماعية فالناس سيعملون على تنظيم اعدادهم . وهو ما آمن به الفريد مارشال A. Marshall حين يرى انه يمكن التغلب على آثار الزيادة السكانية في حاله تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع .

أودين كانان رأى أن مستوى الإنتاج قد يرتفع مع زيادة السكان ويعد كنوت فكسل Wicksell أول من استخدم مصطلح الحجم الأمثل للسكان سنة ١٩٠١ وأكد اهميه تحديد الحجم الأمثل للسكان وليس الحد الاقصى للسكان بيد أنه لم يوضح خصائص هذا الحجم الأمثل .

وفى ١٩٠٣ أكد ادوين كانان E. Cannan على وجود " نقطه الغله " القصوى لجميع الصناعات ينخفض بعدها نمو الغله إذا زاد أو نقص عدد السكان . كما أن كارسندرز Carr-Saunders يشير للحجم الأمثل للسكان الذي يأخذ في الاعتبار طبيعه البيئة ودرجة المهاره وعادات الناس وتقاليدهم وهذا الحد ليس ثابتا وانما يتغير كلما تغيرت الظروف وبينما نظر مالتس للسكان باعتبارهم

مستهلكين فقط نظر كارسندرز للسكان باعتبارهم منتجين ومستهلكين في الوقـــت نفسه ٠

ثالثا : المالتوسيـــــــه الجديـــــــدة :

يرى انصار المالتوسيه الجديدة أن الانفجار السكاني في العـــالم الثـــالث يمكن أن يؤدى إلى كارثة محققة وانه لابد من تحديد النسل اجباريـــا للحــد مــن الاستخدام النهم للموارد الطبيعية والتلوث البيئى الذي تزداد حدته بمرور الوقـــت واذ ذاك ينبغي منع المعونات الاقتصادية والغذائية عن شعوب العالم الثـــالث إذ أن هذا يؤدى لخفض معدلات الوفيات في الوقت الذي لا ينخفض فيه معدل المواليـد ، وقد عبر عن هذا الرأى وليم فوجت ، وهال هلمان ، وفى الوقت الذي يـــرى فيـــه بعض انصار هذا الاتجاه ضرورة تعقيم الرجال والنساء لضمان عـــدم الانجـــاب ، يرى البعض الأخر اباحة الإجهاض واللجوء للتعقيم الاجبارى وبخاصة في الـــدول الناميه ، بينما يوصى الفريق الثالث بحرمان الأسر التى يزيد عدد اطفالـــها عـــن طفلين من الخدمات التعليمية والدعم الذي تقدمه الدولة لاصحاب الأسر الصغيرة ، هذا في الوقت الذي يرى فيه البعض ضرورة تعديل قوانين الضرائب التي تحـــابى حاليا المتزوجين وذوى الأطفال (من وجهة نظرهـــم) وزيـــادة تكـــاليف الـــزواج وتربية الاطفال ٠

وهكذا تنظر المالتسيه الجديدة إلى انجاب الأطفال بصورة قاتمه باعتبارهم السبب الرئيسى في مشكلات عالم اليوم ٠

وغير خاف أن هذه النظرة تعول على النظر إلى الحجم وحدة دون النظـــر للسياق الاجتماعي – الاقتصادي والتكنولوجى المحيط بحجم السكان سواء فـــي

الحاضر أو في المستقبل مما يجعل اوجه النقد السابق ذكرها تنطبق كذلك على هذا الاتجاه (١) ٠

والمالتوسيه الجديدة تركز على اعتبار المشكلة السكانيه مشكلة لابد من التخلص منها ٠ إذ أن لينتشتين H. Leibenstein يركز على الأثر السلبى لزيادة السكان ودوره في التخلف الاقتصادي والاجتماعي ١٩٥٦ وهو ما يوضح التركيز على علاقة النمو السكاني بالتخلف الاجتماعي ٠

أما وينلسون سنة ١٩٥٧ فقد ركز على دور الزياده السكانية في بلوغ مصيده التخلف نتيجة لانخفاض الدخول ٠

وأرثر لويس A. Lewis يركز على اهميه سحب عدد من العمال الزراعيين الفائضين عن الحاجة في هذا القطاع للعمل في القطاع الصناعى الحديث غير انه يؤكد دور الاستعمار والامبرياليه في الابقاء على الاجور المنخفضة في أفريقيا مع مصادره اراضى السكان أو مطالبتهم بالعمل الجبرى في القطاع الرأسمالى أو فرض الضرائب لاجبارهم على العمل عند الرأسماليين ٠

كما أن هارود ، دومار ، سنجر فقد ركزوا على اهميه تخفيض معدل النمو السكاني ونادوا ببذل كل الوسائل لتحقيق ذلك وقد ركز انصار المالتوسيه الجديدة على مشكله الجوع والغذاء في الدول الناميه وربطوها بالنمو السكاني المتزايد فيها ويؤكد وليم فوجت انه مالم تتوقف الزيادة السكانية فلاتوجد بارقه أمل للبشرية بل أن المجاعات والاوبئة قادمة ٠

ويرى البعض أن حل المشكلة يكمن في تنظيم الاسـره ، والاجـهاض ، واللجوء للتعقيم ، ويستشهد البعض بنزوح العديد من سكان السلفادور إلى مزارع بيلاد-هندوراس ، وقد اشتعلت النزاعات يوما بسبب ملعب لكره القدم فطردت بـلاد هندوراس نحو ٧٥,٠٠٠ من النازحين وهذا يعنى من وجهه نظرهم أن الحـروب القادمه هي بسبب اماكن العيش وكميات المواد الغذائية نتيجة للتضخم والبطالـه ومشاكل الطاقة وتلوث البيئة وازمه الديون ومشكله الغذاء العالمي ٠

وتركز المالتسيه الجديدة شأنها شأن المالتسيه القديمة على قانون تناقص الغله مع اغفال اثر التقدم العلمي والتكنولوجي والمشكله كذلك كما يرى رمز زكـى ليست في زياده انتاج الطعام بل في حصول الفقراء ومحدودى الدخل على حاجتهم وقد يكون بالامكان استصلاح اراضى جديدة والاستخدام الموسع لكنـوز البحـار والمحيطات ، إذ أن الجوع هو انعكاس لعجز القطاعات المنتجة للمـواد الغذائيـة نتيجة لتخلف قوى الإنتاج ٠

وهنا تذكر فرنسيس لابيه وجوزيـف كوتلـر أن الصيـن تملـك نصـف الأراضي المزروعه لكل فرد مقارنه بالهند ومع ذلك فقد توصل الشعب الصينى في عشرين سنة فقط للقضاء على كل اثر لظاهرة للجـوع بينمـا لايـزال الملاييـن يجوعون في الهند ٠

لقد وقعت الدول الناميه تحت تـأثير الفكر التنموى التقليدى الذي وضعـه مفكر والعالم الرأسـمالى إذ أن مجموعـة نـادى رومـا بتكليـف مـن معـهد ماساشوسيش للتكنولوجيا قد اصدرت سنة ١٩٧٢ تقريرها الشهير " حدود النمـو

" The Limits of Growth الذي اصطبغ بصبغه المالتسيه الجديـــدة حيــث ركز على ٥ متغيرات اساسيه هى النمو السكاني السريع الذي يقدر بحوالـــي ١٨ مليار نسمه ٢٠٦٠ حيث يتضاعف حجم سكان العالم كل ٣٠ سنة في الوقت الـذي ستستنزف فيه المواد الاوليه (غير القابله للتجديد) بالنسبة للانتـــاج الصنـــاعى وستقصر الموارد الطبيعيه بما فيها الأراضي الزراعية عن اطعام البشر في الوقـت الذي يزداد فيه خطر التلوث البيئى مما سيؤدى بدوره لزيـــادة معـــدل الوفيـــات ، وينتهى التقرير بالتوصيه بوقف النمو السكاني وهكذا وقع التقريـــر فـــي حبـــائل التفسير المبكانيكى والقدرى ٠

وينتهى رمزى ذلك من استعراضه لمعطيات المالتسيه الجديدة انها نظريه متشائمة تكرس رؤية بعض خبراء السكان في العالم الغربي للظواهر السكانية فـــي العالم الثالث (٥) ٠

النظريات الطبيعية :

١ - ميشيل توماس سادلر (١٨٣٠) :

وقد نشر مؤلفا من مجلدين بعنوان " قانون السكان " عدد صفحاتها اكثر من ١٣٠٠ صفحة ٠

ويرى سادلر أن البيانات السكانية التي عرضها مالتس تعد مضلله إلى حد كبير فالخصوبة من وجهة نظره ترتبط عكسيا مع كثافة السكان كما أن زيادة كثافة السكان تؤدى بدورها إلى نقص معدلات الوفيات ٠

ويعتبر الإنسان عقيما نسبيا إذا كان غنيا ، وينجب المرء أطفالا يتناسب عددهم مع درجه فقره (ولكن دون أن يصل هذا الفقر إلى درجة المجاعه) وهكذا يبدو أن للثروة اثر عكساي على القدره البيولوجية على الانجاب F ecundity كما أن قدره الإنسان على التناسل تتناسب تناسبا عكسيا مع عدده وهكذا حاول أن يبرهن على أن الحرمان من الترف يزيد من القدره على التناسل ٠

وقد دلت تجارب سادلر Sadler على انه من الضروري أن نميز بين شدة الجوع (الوقتية) والجوع (المزمن) فان الجوع الوقتى يقلل من النشاط الجنسي ٠ أما الجوع المزمن فيؤدى إلى فقد الشهية للطعام ويصرف الاهتمام عن النهم بالطعام إلى الاستمتاع بالشهوة الجنسية ٠

غير أن النقد الاساسي الذي يمكن أن يوجه له أن الفقر بدوره يرجع إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع أما شح الطبيعة فلا يعد سببا للفقر

بل أن سادلر قد خلط بين القدرة على الانجاب Fecundity والإنجاب الفعلي أو الخصوبة Fertility .

٢ - بيرل R. Pearl وريد :

وهما يهدفان إلى الحصول على معادلة (رياضية) توضح النموذج العام للنمو كما يتمثل في الكائنات الحيه ويتمشى مع الحقائق السكانية المعروفة وتنطوى هذه المعادلة على أن النمو السكاني في مساحة محددة لا يمكن أن يكون لا نهائيا فلا يعقل أن يتزايد الناس دون اى قيود .

ويرى بيرل أن النمو السكاني يحدث في دورات ، وفي بداية الدورة يبدأ النمو ببطء (في النصف الأول للدورة) ثم يصل إلى اقصى قوته في منتصف الدورة – ثم يبدأ في الهبوط حتى نهاية الدورة) .

وقد قام بيرل Pearl بتجارب على ذباب الفاكهة ، واستنتج من هذه التجارب أن زيادة الكثافة تؤدى الى نقص الخصوبة وهو يرى أن ازدياد معدل الخصوبة بالنسبة للطبقة الدنيا يرجع بدوره إلى أن الفقر يزيد من النشاط الجنسي الامر الذي يؤدى لزيادة معدل الخصوبة ، وهكذا انتهى في كتابه " دراسات في بيولوجيا السكان للنظرية التي تبناها بعد ذلك ايضا دبلداى " .

وقد وقع بيرل في تناقض سواء في نوعية التجارب التي استشهد بها أو في ايضاح العلاقة بين الكثافة والخصوبة وقد اتهمه Walfe بانه استعان بالقوانين الرياضية دون أن يوظفها بصورة مرضية لتبرير النتائج التي توصل اليها .

٢ - تومـــاس دبلـــداى Doubleday :

وقد نشر بحثا سنة ١٨٤١ بعنوان " قانون السكان الحقيقـــى " وعلاقتـــه بغذاء الإنسان ، فقد اجرى تجارب على الاسمدة (النباتية) واستنتج انه مـــهما تزايدت كمية الاسمدة قل انتاج النبات وان خشونة البيئة (كالبرودة الشديدة مثلا) تؤدى إلى الحد من نشاط النبات كذلك ،

ويرى دبلداى أن الشعوب ذات الخصوبة العالية هى التي تستهلك كميـات قليلة من اللحوم والنبيذ حيث تعتمد في طعامـــها اعتمـادا كليـا علـى السـمك والخضروات علاوة على تلك البلاد التي تعتمد على الخضروات وعلى كمية ضئيلة كذلك من اللحوم ،

وقد اتخذ دبلداى من زيادة عدد الفقراء في إنجلترا دليـــلا علـى صحـة نظريته وبخاصة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشـــر ، وهـو يـرى أن الزيادة السكانية في الولايات المتحدة ترجع اساسا لعامل الهجرة الخارجية اليـــها ومع هذا فقد استنتج أن الزيادة السكانية بها تتم عادة في الاوساط الفقيرة ويذكـر دبلداى أن المربين لقطعان الماشية قد عرفوا منذ زمن طويل أن الماشية المفرطـة في السمنة تصاب بالعقم ،

٣ - كـــاســـــترو :

توصل إلى أن الخصوبة تنظم عن طريق التغذيـــة وان نـوع الـبروتين وكميه استهلاكه يتحكم في عملية الخصوبة وتوصل بعد أن اجرى تجارب متنوعـة على الفئران إلى أن زيادة كمية البروتين يؤدى للاقلال من القدرة على الانجاب ،

ويذكر كاسترو في مؤلفة عـــن جغرافيـــة الجـــوع Geography of Hungry أن النظرة السكانية تنطوى على أن الجوع ضرورة لا يمكـــن تجنبـــها وان تحديد الأسرة ينبغى أن يتم اجباريا .

وواقع الامر كما يرى كاسترو على أن هذه النظرة خاطئـــة لانـــها تغفـــل التقدم الذي يمكن أن تحرزه العلوم الزراعية مستقبلا إلى جانب التقدم الصنـــاعى والذى وصل إلى قمة نشاطه خلال تلك الحقبة الزمنية من وجهة نظره .

ويذكر كاسترو أن المساحات الشاسعة التي توطن فيـــها الجيـــاع تحـــت سيطرة الاستعمار توضح دور الاستعمار في تخريب الاقتصادي الوطنى وفى زيادة الفقر والبؤس الذي تصاحبه زيادة ملحوظة في معدل الخصوبة لزيـــادة قدرتـــهم البيولوجيه وقد توصل كاسترو إلى العديد من هذه الأفكار نتيجة للتجـــارب التـــي اجراها على الفئران والمعروفة باسم تجارب " سلونيكر " .

وقد وجه كاسترو إلى مالتس العديد من اوجه النقد ومن بين ما ذكـــره أن يوسع الإنسان أن يحول الصحارى الجليديه والغابات المدارية إلى حدائق وبساتين الفاكهة وان يزيد من غلة المزارع وان يقوم بزيادة الإنتاج الزراعى .

غير أن كاسترو يعتقد في نهاية الامر أن المشـــكلة الأساســـية للبلـــدان المزدحمة بالسكان تتمثل في سوء التوزيع الذي تعانى منه هذه البلدان اكثر مـــن أي عامل اخر وهو يدرك :

" Countries like India and China " " are not over populated but rather " " Suffer from a maldistribution of population " .

٤- سبنسر ١٨٢٠ – ١٩٠٣ :

يعد المبدأ التطورى أساس كل افكاره – ومن بين هذه الافكار نظريته السكانية – وقد بلور هذه الأفكار في المماثله التي قدمها بين المجتمع والكائن الحى ، فالرضيع ينمو حتى يصبح كهلا والمجتمع المحلى يصبح مدينة متروبوليتانيه ، والدولة تصبح امبراطورية ويزداد حجم السكان وتزداد درجة تعقد البناء الاجتماعي وهكذا تتباين وتتعقد الوظائف التي يؤديها المجتمع . والسكان بحسب هذه النظرة التطورية يتدرجون في مراحل متتالية فالمجتمع البسيط يتكون من اسر أما المجتمع المركب فتتشكل هذه الأسر فيه ما يسمى بالعشيرة Clan ومن مجموع العشائر تتشكل القبيلة tribe ومن هذه القبائل المتحدة تتكون الامم والدول .

ويرى سبنسر كذلك أن في الطبيعة تنافرا بين الذاتيه والتوالد فكلما ازداد ما يبذله الفرد من جهد لتأكيد وجوده وكيانه ونجاحه كلما ضعفت قدرته على الانجاب ودليل ذلك قلة نسل السيدات المشتغلات بعقولهن (واللاتى ينتسبن عادة للطبقة العليا) ويتمشى هذا مع نظريته عن التطور المنسجمه مع " الدراونية " ويرى H. spencer كذلك انه كلما ارتقت الكائنات من الاشكال الدنيا إلى الاشكال العليا (*) نقصت خصوبتها وقدرتها البيولوجيه على التوالد فالاولى لابد لها أن تتكاثر بدرجة كبيرة للتغلب على عوامل الفناء أما الاشكال العليا فتملك القدرة للتغلب على عوامل الفناء وتصرف الجزء الاكبر من قوتها وطاقتها في بناء مستقبلها ولا يتبقى لها إلا القليل من القدرة والطاقة لاستغلالها في التوالد

(*) وهو ما يمكن تسميته بالانسان العاقل Homo Sapiens في عرف علماء الانثروبولوجيا الفريقية Physical Anthropology .

genesis ونساء الطبقة العليا والمشتغلات بعقولهن فيتأثر تركيبـــهن العضـــوى نتيجة ذلك مما يؤدى إلى ضعف القدرة على التناسل فاولئك الفتيات تقل خصوبتها لانغماسهن في الدور التعليمى حيث يعجزن عن ارضاع اطفالهن وتنشئتهم بصورة طبيعية ٠

ويرى سبنسر أن بقاء النوع هو القانون البيولوجى العام الذي يتحكم فـــي عالم الإنسان والحيوان معا وتوجد وسيلتان لحفظ النوع بصفة عامة وهما :-

المحافظة على الحياة ، والابقاء على الجنس عن طريق التوالـــد ويعتقـــد سبنسر أن اكثر الكائنات توالدا هى اكثرها حرصا على الغذاء فازدياد الغذاء هـــو الذي يؤدى إلى زيادة السكان غير أن استمرار بقـــاء الإنســـان يســـتلزم الحـــاده للمهارة والذكاء من اجل البقاء ويمكن هنا أن ندرج في حـــذر رأى Maciver, Page وقد قدما نظرية سكانية ضمناها مؤلفهما عن المجتمع Society ونزعـــا فيها نزعة تميل للتطورية وتأثرا بفكرة التطور الاجتماعي لدى هربرت سبنسر ولا غرو في ذلك إذ أن ماكيفر الاسكتلندى المولد ، الانجليزى الثقافـــه ، والامريكـــى الجنسية قد حصل على الماجستير من جامعة ادنبره عام ١٩٠٣ وهو العام الـــذي توفى فيه هربرت سبنسر فالانسان في نظر ماكيفر لا يملك فكاكا من احكام البيئـــة وضغوطها كما أن للاعتبارات الطبيعية (البيولوجيه - الفيزيقة) اهمية كبـــيرة وقد تأثرا معا في تفسير هما للتغير الاجتماعي بصفة عامة والديموجرافى بصفـــة خاصة بالمبدأ التطورى حيث يذكران أن " التغير يفصح عن أن " مبدأ التطـــور ذا دلالة عظمى " ٠

ويحصر ماكيفر وبيدج عوامل التغير الديموجرافى في العوامل البيولوجية – الاجتماعية وقد استعانا في تفسير ذلك ببعض المبادىء " كالانتقاء " والصراع لاجل البقاء " وفحوى ذلك أن العوامل البيولوجيه هى المحرك الفعلي للتغير الديموجرافى ولكن هذه العوامل قد تحركها العوامل الاجتماعية فمبدأ الانتقاء الطبيعى كما صاغه داروين يعنى أن قوانين التناسل تؤدى إلى وجود اختلافات داخل النوع وهذه الاختلافات قد تكون متغيرة أو عابرة وقد تكون لها القدره على أن تنتقل بالوراثة أما الخاصائص الأقل ملائمة أثناء عملية الصراع لاجل البقاء فتستأصل وتبقى الاكثر ملائمة ، وبينما يعمل الانتقاء الطبيعى على التراكم والظهور المستمر للاختلافات البيولوجية بهدف الابقاء على النوع فان مبدأ " الاستئصال الطبيعى " يعمل على التوازن في النوع في الاوقات المختلفة من جهة وبالنسبة لغيره من الانواع من جهة أخري غير أن الانتقاء يختلف نسبيا تبعا للبيئةكما أن النظام يعدل من الخواص الجامدة للانتقاء الطبيعى فكلما كان المجتمع اكثر تطورا " اتجهت حوافز الناس إلى اهداف أخري غير مجرد البقاء ، وبينما يعمل " الانتقاء الطبيعى " من خلال عملية " الوفيات " فقط يعد الانتقاء الاجتماعي بمثابة عملية اكثر شمولا وهو يستعين هنا بالعديد من المؤشرات (الاجتماعية) كالمهنة وسن الزواج ومحل ميلاد الزوج فهى تشترك في تحديد معدلات الخصوبة ، وبعبارة أخري فان البيئة الاجتماعية باسرها تتغير في الوقت نفسه الذي تحدث فيه عملية الانتقاء الطبيعى ٠

وغنى عن القول أن ماكيفر وبيج قد منحا الاعتبارات الاجتماعية اهمية لا يمكن انكارها في دفع العوامل الطبيعية غير انهما جنحا للتفسير التطورى الذي سبق أن قاده هربرت سبنسر لذلك فضلنا أن نورد رأيهما هنا لاتكازه على الاسس الطبيعية فضلا عن بعض الاسس الاجتماعية كذلك ٠

وفى تجربة قام بها بردر Breder على الاسماك تبيـــن لــه أن عــالم الاسماك ينظم نفسه من خلال عملية ابادة الصغار على النحو الذي يجعـــل هنــاك تناسبا بين عدد الاسماك ، والحيز المكانى المائى الذي توجد فيه ٠

كما أوضحت التجارب التي اجريت على الارانب والفـــئران والوعــول أن زيادة حجمها في حيز مكانى محدد يؤدى إلى شيوع حالات مرضيه مما يؤدى إلـــى نقص عددها ، وقد استنتج البعض امثال هودسون دجلاند أن هناك تشابها بين مـا يحدث في عالم السكان وما يحدث في عالم الحيوانات وان الأمراض الحديثة التـــي يعانى منها سكان الحضر تعد نتيجة للكثافة السكانية المرتفعة ٠

وهناك تجارب قد توصلت إلى أن تزايد اعداد حشره القمح فوق حد معيـن في حيز مكانى محدود ما يلبث أن ينتهى بالتهام بعض الحشرات لبعضـــها الاخــر وفى تجربة أخري قام بها Breder على اسماك من نـــوع الجبـــى اتضـــح أن مجتمع الاسماك ينظم نفسه من خلال عمليه اباده الصغار ٠

ومن بعض التجارب عن الارانب في مانيسوتا بالولايات المتحدة اتضح أن تكاثر الارانب عن عدد معين في حيز مكاني محدد يؤدى إلى انتشـــار الأمــراض وزياده العدوان فيقل عددها ثم تتزايد وهكذا ٠

وقد أوضحت التجارب التي تمت على تربيه الوعــول فـــي احــد الجـــزر النتيجة ذاتها ولوحظ انها تتزايد ثم تبدأ في التناقص ٠

ويستشهد هؤلاء بان التجارب التي قام بها دون كالهون J. Calhoun أوضحت انه إذا زادت كثافه الفئران في حيز مكاني فقد تتعرض للموت وافصحت النتائج التي تمت على نوع من القوارض المعروفه باسم اللاموس انها حين تتزايد تتجه للهجره إلى اماكن أخري وكذلك الجراد كما يلجأ اللاموس النرويجي للمياه البارده ويظل يسبح حتى يموت .

ويخلص هوجلاند Hoagland إلى أن ثمه تشابها بين الهجرة الموسمية لبعض الطيور وبين هجره البشر وحين يزداد اكتظاظ البشر في اماكن بعينها كما في معسكرات الاعتقال النازيه ازداد التعرض لخطر الموت وهكذا وقع اولئك العلماء في فخ تطبيق ما يحدث في عالم الحيوان على الإنسان .

النظريات الثقافية :

النظريات الثقافيه التي ترتكز على السياسة وأيديولوجية المجتمع :

١ - أرسين ديمون Demon

بدأ ديمون نظريته بنقد بعض النظريات التي يمكن تسميتها بالنظريات التي تبنت الاساس الإحصائي أو الاقتصادي لتفسير الظواهر السكانية وبخاصة آراء جاريتر وجون ستيوارت مل Mill إلى جانب من اهملوا التحليل الإحصائي وقد أوضح ديمون أن الخصوبة السكانية تتناسب تناسبا عكسيا مع الارتقاء الاجتماعي فالفرد يميل إلى الصعود إلى مستويات اعلى من بيئته وهو في هذا الصعود يصبح من وجهة النظر الثقافية اقل اهتماما بموضوع الانجاب إذ ينشغل بالتقدم الشخصي عن خلف الأولاد وفي المجتمعات الديموقراطية حيث يسهل الانتقال بين الطبقات - حسب اعتقاد ديمون - يزداد طموح الناس فيقل اهتمامهم

بالأسرة وانجاب الأطفال أما في البلدان ذات الحدود الطبقية الجامدة – كالهند – فيزيد معدل الخخصوبة غير انه استنتج كذلك أن أكثر المناطق ازدحاما بالسكان هى المناطق البعيدة عن المدن ، وفى المدن التي يطلق عليها ديمون " مراكز الجذب " ينشغل الناس بغرض الترقى الادبى أما الذين يعيشون بعيدا عن مراكز الجذب فلا تجذبهم فرص الصعود إلى اعلى وبالتالي يزداد حرصهم على التناسل والإنجاب إذ أن الراحة في المدن تشجع على الرفاهية وقلة المواليد وتقدم الفرد يتناسب عكسيا مع زيادة نسله إذ أن الزيادة السكانية تتناسب عكسيا مع الرفاهية الاجتماعية ، وهو يستشهد بالثقافة الديموقراطية التي يزداد جذبها والخضوع لها والحراك فيها ، والثقافة الحضرية كذلك التي تشجع على امثال المهاجر الريفى لها مما يجعل هذا المهاجر اقل اهتماما بزيادة حجم اسرته .

وبما أن الصفر هو الرقم الوحيد الذي إذا قسم على اربعة أو ستة تكون النتيجة صفرا فان العامل الفقير لا يجد ارثا يورثه لاولاده إلا ارثا مساويا لارثه – وهو الفقر – وهكذا يزداد نسل الفقراء .

حاولت نظرية Sternberg أن تحكم المنطق الايديولوجى فى النظر للظاهرة السكانية فهو يعتقد أن انخفاض معدل الخصوبة يرجع إلى اسماه بتطور " العقلية الرأسمالية " والاساس الايديولوجى هنا هو المتحكم فى تخفيض معدل السكان وعلى هذا الاساس فان الرفاهية الاجتماعية التي تسود فى المجتمع الرأسمالى هى التي تتحكم في تحديد المرأة لنسلها وقد عارض سترنبرج الفكرة التي مؤداها بان التحضر والثروة يؤديان إلى انخفاض معدل الخصوبة وعلى هذا الاساس فان الايديولوجية في حد ذاتها تتحكم في الظاهرة السكانية .

أما Sombart فيؤكد بأن هناك روحا عالمية حطمت كل ما هو قديـــم أو كلاسيكى وان الهجرة الريفية إلى الحضر تؤدى إلى اشاعة الروح الحضرية التـــي تهدف لتحسين المستوى الاجتماعي وهذه الروح تدعو إلى الإقـــلال مـــن معـــدل الخصوبة .

ويعتقد برنشتين أن الطبقات العاملة الثرية تعيش وتقلـــد (البرجوازيـــة القديمة) وهكذا تنخفض الخصوبة بتطور العقلية الرأسماليـــة .

<u>ب) النظريات الثقافية التي ترتكز على ثقافة الثروة والفقـــر :</u>

<u>فرانـــك فيتـــــر Frank Fetter :</u>

وهو يرى أن خطأ مالتس يتمثل في تركيزه على الدافع الجنســـي بينمـــا الإنسان في واقع الامر مخلوق معقد إلى حد كبير فاذا نظنا إلى وأد البنـــات علـــى سبيل المثال لاتضح لنا انها ظاهرة سكانية لا ترجع إلى نقص الطعـــام فـــي هـــذه البلدان والمناطق الصحراوية بل أن هناك عاملا ثقافيا يتمثل فـــي الخـــوف مـــن العار .

ويرى فرانك فيتر أن اكثر الأسر استقرارا وثراء هي في الواقـــع اشـــدها خوفا من الجوع فالاسرة الغنية يخشى تفتيت الملكية على عدد كبير مـــن الأبنـــاء فتلجأ للتحديد أما الأسر الفقيرة فتعتبر الأطفال احد العوامل الأساسية لزيادة دخـــل الأسرة ويتم ذلك بدخول هؤلاء الأبناء سوق العمل والانتاج في سن مبكرة نســـبيا والاثرياء وحدهم يعلمون أن تقسيم الملكية بين كثير من الأبنـــاء ســـوف يجعـــل هؤلاء الأبناء عاجزين عن الاحتفاظ بمكانتهم في المجتمع ، وهكذا يستبعد ديمـــون – وفيتر وهادلى Hadley كذلك أن يقدم العمال الفقراء على تحديد نســـلهم لمـــا

يحدثه الفقر من تأثير ثقافي في حياة الفقراء حيث يحرصون على تشغيل الاحداث والانتفاع بأجورهم ٠

النظريات التي حاولت أن تربط بين السكان والتقدم العلمي :

حاول البعض – أمثال برنتانو – الربط بين انخفاض معدل الخصوبة والتقدم العلمي والتكنولوجي وبخاصة في المجتمعات الصناعية مما يجعل مباهج الحياة في متناول عدد كبير من الناس وهكذا يزداد انشغال الناس باللهو والتسلية ويتزايد عدد هؤلاء الناس يقل معدل الخصوبة ٠

وهكذا يؤدي ازدياد الاهتمام بالتقدم العلمي والرفاهية الاجتماعية إلى نقص معدل الخصوبة وان كان هذا النقص لا يدل على زيادة الرغبة في كبت الميل لمباشرة العلاقة الجنسية ، ويرى برنتانو Brentano أن المتعة الجنسية بالنسبة للفئات المحرومة من الرفاهية كعمال المناجم تصحبها رغبة في انجاب الأطفال وان الامر ليس كذلك بالنسبة للفئات المؤسرة ، ولكنه هنا لا يميز بوضوح بين العلاقة الجنسية وبين انجاب الأطفال ٠

الربط بين الخصوبة وسكنى الريف أو الحضر :

اتجه بعض العلماء إلى النظر للظاهرة السكانية من وجهة نظر الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع بين المناطق المختلفة أو ما يعبر عنه بالفروق الايكولوجية ٠

ولقد قدم البعض أمثال كونتز ، بوليي Boaulieu اسهامات جوهرية في هذا الشأن وقد أجريت دراسات عديدة عن الأطفال في الاحياء الفقيرة

والراقية وافصحت النتائج عن كثرة عددهم في الاحياء الفقيرة بالمقارنة بالاحياء الراقية أى أن سكان الاحياء الفقيرة اكثر انجابا ٠

كما افصحت النتائج أن العاملات من سكان المدن اقل انجابا من ربات البيوت وان الخصوبة تقل كذلك بازدياد معدل التعليم وقد اتجه التفسير إلى الاستعانة بالمنظور الثقافى Cultural حين وجد في بعض الاحيان أن العاملات في القرية ينجبن أطفالا اكثر من ربات البيوت ، وقد رجح أصحاب هذا الاتجاه السبب في ذلك إلى الانتقال من العائلة الكبيرة إلى الأسرة الصغيرة مما يضطر المرأة للعمل الريفى ولكنها قد لا تحرص على اقلال انجابها وقد دعا ذلك كونتز إلى القول بان الثروة والدخل والمهنة تعد من بين المفاهيم غير الكافية لتفسير الظاهرة السكانية فقد يؤدى الفقر والجهل وانتشار الخرافات في الريف إلى الخصوبة المرتفعة بالنسبة للفئات المختلفة جميعا ٠

أما Beulieu فقد قرر بأن التحضر بالاضافة إلى الديموقراطية والفراغ والرفاهية تؤدى إلى زيادة الاهتمام بالجنس ٠

ويلاحظ Crum أن الزيادة السكانية تصل إلى ذروتها في المدن الكبرى ومعنى ذلك أن الكثافة السكانية توجد في المدن اكثر من الريف ٠

أما البيانات التي قدمها Glass فتدل على أن هناك علاقة وثيقة بين الصناعات الثقيلة والحاجة للقوى العاملة ٠

ويقرر أريس Aries انه بينما ازداد معدل المواليد في فرنسا من ١٨٠١ : ١٨١٠ في المناطق ذات النشاط الزراعى والصناعى فان الاقاليم ذات الخصوبة العالية بعد ذلك كانت تضم المناطق الصناعية غير انه ابرز كذلك انه في المزارع الرأسمالية الكبرى ترتفع معدلات الخصوبة ويزداد عدد العمال المستأجرون كذلك .

بينما اثبت Whelption أن المناطق الصناعية كانت المناطق الأقل خصوبة .

ويمكن أن نضيف في هذا المجال بعض الدراسات التي قدمتها الامم المتحدة التي توضح علاقة التصنيع التحضر ونقص الخصوبة حيث اتضح صعوبة تحديد أنماط متمايزة للخصوبة في الريف والحضر وصعوبة التمييز الفاصل لكل منهما .

ويكاد البعض يجزم بان القيم " الثقافية " هى المحك الاساسى في كل هذه الاختلافات فليس مجرد السكن في الاجزاء الريفية أو الحضرية هو السبب في هذا التنوع بل أن التفسير الحقيقى ينبغي أن يأخذ في الاعتبار القيم الثقافية أو ما يسمى بنسق القيم الذي يعد المتغير الرئيسى في هذا الصدد ولا جدال أن هناك اختلافا اساسيا بين نسق القيم الحضرية والريفية وفى التنظيمات الصناعية وغير الصناعية .

هـ - الحراك الجغرافي والطبقي في ظل نظرية دائرية :

قامت بعض النظريات التي تفسر التغيرات السكانية على أساس الحراك الجغرافي والطبقي أي انها افترضت أن الحراك الجغرافي والطبقي يؤديان إلى تغيرات تابعة في النواحي السكانية ، ومن هذه النظريات النظرية تلك التي خرج بها عالم الاجتماع الايطالي ورئيس قسم الاجتماع في جامعة روما Corado Gini ويرى جيني أن الصعود إلى طبقة اعلى والحراك الجغرافي للمدن يؤديان إلى خلق ثقافة تحض على خفض الخصوبة ومع أن نظريته تؤكد على أن ثقافة الغنى والثقافة الحضرية يؤثر في القدرة على الانجاب إلا اننا فضلنا أن نورد هذه النظرية من بين النظريات الثقافية لاستنادها على البعد الثقافي كمتغير مستقل يؤدى لتغيرات تابعة بصورة (دائرية) .

ويرى جيني أن المجتمع في بداية تكوينه يتميز بارتفاع معدل الخصوبة وهذا ينطبق على المجتمعات القديمة وبخاصة لدى الاغريق إلى جانب المجتمعات التي تكونت حديثا كالامريكتين ، وتؤدى الخصوبة المرتفعة إلى اختلاف المستويات الاقتصادية بين السكان واذ ذاك تبدأ المرحلة الثانية حين يبدأ السكان في الهجرة أو الدخول في حروب مع البلدان المجاورة وتتسم هذه الفترة بتمجيد الحروب ويقع هذا على عاتق الأفراد الذين يهتمون بالمغامرة وحين يخسر المجتمع اصلح عناصره تبدأ المرحلة الثالثة إذ يصحب هذا الانخفاض النسبى لخصوبة السكان الاثرياء إلى جانب اولئك الذين يعيشون في الحضر ويصعد افراد الطبقة الدنيا لسد الفراغ في الطبقة العليا فيقل انجابهم كما أن الذين يهاجرون للمدن بالمثل يقل إهتمامهم بالانجاب - إذ يشيع الترف والاهتمام بالفنون وتتسع الثقافة الحضرية في المجتمع - وهكذا تنتشر الديموقراطية السياسية بينما يتحول المجتمع إلى مجتمع (برجوازى) من وجهة النظر الاقتصادية ؛ ويؤدى ذلك إلى

النقص الشـديد في الخصوبة فيسوء حال المناطق الريفية وتبـدأ الزراعـة فـي التأخر .

وتتمثل المرحلة الاخيرة في انتشار البطالة في المدن وانتشـار الازمـات الاقتصادية وينتهى الامر أما بالهجرة الخارجية أو بالجروب الامر الـذي يـؤدى لفناء المجتمع ، ويذكر سوروكن P. Sorokin في نقده لهذه النظريـة انـها لا تصدق على كل المجتمعات في كل العصور كما أن مرحلة نشأة المجتمع لا تسـتلزم ازدياد الخصوبة وليس من المفترض أن يهاجر اصلـح النـاس كمـا أن النقـد الاساسي يتمثل كذلك في أن المراحل السكانية قد لا تتعاقب بالكيفية نفسها التـي ذكرها جينى بل أن الكثير من المجتمعات تضمحل لاسباب غير سكانية (٦) .

<u>النظـريـات الاجتمـاعيـة</u>

يتمثل المبدأ الاساسي للنظريات التي تبنت المنظور الاجتمـاعي فـي أن البناء الاجتماعي هو الذي يؤثر بصفة عامة في الظاهرة السكانية أي أن الظـاهرة السكانية لا يتسنى تفسيرها إلا في ضوء النظم والانساق الاجتماعية (سياسـية ، وأسرية ، واقتصادية ... الخ) .

واذ ذاك لا يكمن الفرق الرئيسى بين التفسير الذي تبناه دعاة النظريـات الثقافية والاجتماعية في نوعية التفسير وأصالته فالتفسير الاجتماعي يعد بـدوره اكثر شمولا إذ يرتكز على المتغيرات والعوامل الاجتماعية – الاقتصاديـة للابعـاد السكانية وهو في هذه الحالة يهتم بهذه الأبعاد وبتفسـيرها فـي ظـل الظـروف المجتمعية مع مراعاة النواحى الثقافية والمصادر والامكانيات الطبيعية المتاحة في

كل مجتمع على حده وسنعرض أولا للاتجاهات الاجتماعية التي التمست تعديل الاطار المالتسى ، ثم للاتجاهات الماركسية اللينينية ، واخيرا للاتجاهات حاولت الاستفادة من فكرة العدد الأمثل مع محاولة تطبيقها على مجتمعات معينة .

ولا جدال أن النظريات السكانية التي تبنت الاتجاه الاجتماعي لم تنشأ من فراغ إذ أن العديد منها قد تأثر بنظرية مالتس بل وربما انسقنا كذلك إلى القول بان العديد ممن تبنوا هذا الاتجاه السوسيولوجى لم يكونوا علماء اجتماع (بالمعنى الضيق للكلمة) بل أن بعضهم قد وقف عند حد النظرة المالتسية وحاول تغيير بعض مسلماتها وليس ادل على ذلك من أن Say عالم الاقتصاد الفرنسى الذي تبنى النظرة المالتسية قد اقتصر دوره على الاستعانة بمفهوم " وسائل الحياة " بدلا من مفهوم " وسائل العيش " (و المفهوم الأول هو اكثر اتساعا إذ يعنى بالنسبة له جميع المصادر المتاحة بصورة اكثر من مجرد الإنتاج الزراعي الذي كان يستحوذ على اهتمام روبرت مالتس) .

أما Garnier فيرى أن التعليم وتحسين الظروف الاجتماعية يؤديان لتحديد الخصوبة واذ ذاك تؤدى السياسة الاجتماعية التي تهدف لمحاربة الفقر إلى خفض معدلات الخصوبة .

والطريف حقا أن النظرة السكانية الكلاسيكية (التقليدية) كانت ترى أن قلة عدد السكان هى الفقر الحقيقى بل أن يونج A. Young يؤكد أن زيادة السكان هى دليل الرخاء الاقتصادي (نظرا للحاجة الماسة للايدى العاملة في ذلك الوقت) وقد تعرض أدم سميث لتفسير الوضع السكاني وحاول وصف السلوك الإنجابي للطبقات الكادحة وأدم سميث مثله مثل هانسون كان يرى أن النمو

السكاني يعد سببا للتقدم الاقتصادي ونتيجة له (بينما تميزت المالتسية بنظرتـــها التشاؤمية) واصحاب هذه الافكار الكلاسيكية كانوا يعتقدون بــأن الطلــب يحــدد العرض (أو عدد السكان) واذ ذاك فان زيادة الطلب على الايدى العاملة وارتفـاع الاجور يؤديان كذلك إلى زيادة العرض . بل أن نظرية مالتس كما فهمها ريكـاردو تعنى انه مع ازدياد التنمية الاقتصادية ينمو السكان في المجتمع .

وقد حاول البعض امثال Edgeworth - متتبعــا فــي ذلــك أفكــار Sidgweich - استعارة مفاهيم روبرت مالتس مــع تطبيقــها علــى المجتمــع البريطاني (لا على الاقتصاد العالمي بصفة عامة) كمـــا نــوه وورث بضــرورة التدخل الحكومي للحد من المشاكل السكانية .

ومــن النظريات التي ناصرت هذا الاتجاه نظرية أدولف كوست Coste (١٨٤٢ - ١٩٠١) الذي تأثر بالمذهب الوضعي ..Positive حيث اقتنع بكتابات كونت وكايم بصفة خاصة .

ويتركز اهتمام كوست في أن كثافة السكان لا يمكن دراستها منفصلة عــن التطور الديموجرافي ، والتطور في أنماط التنظيمات الاقتصاديـــة والاجتماعيـــة ، ولذلك فانه يوصي بتحديد النموذج الديموجرافي الذي تقوم بدراسته سواء تمثـــل في المقاطعة B. orcugh أو المدينة أو المدينة الكبيرة Metropolis أو العاصمة أو عاصمة الإتحاد الفيدرالي .

ويعتقد Coste أن التمايز الديموجرافى يصاحبه كذلـــك تمــايزا فـــي الظواهر الاجتماعية كما انها جميعا لا يتسنى تفسيرها إلا من خلال الايديولوجيـــة السائدة في المجتمع ٠

وغنى عن القول أن بعض رواد علم الاجتماع وبخاصة فيبر وماكيفر Mciver قد استفادوا من افكار كوست بصورة غير مباشرة فيما بعد (٧) ٠

٢ - النظريـــــة الماركسيـــــة :

أما النظرية الاجتماعية الاكثر ذيوعا فهي الرؤيـــة الماركســية اللينينيـــه للظاهرة السكانية ، ويرى ماركس أن الفقر ليس نتيجة للزيادة السكانية بل للنظام الاقتصادي الرأسمالى السائد فالمنافسة تؤدى لتراكم المنتجات ثم للاستغناء عـــن العمال فالعمال ينتجون الوسائل التي تجعلهم يتحولون إلى نوع من الفائض ٠

وينبغى الإشارة إلى أن الاشتراكية قبل الماركســـــية تشــمل الاشــتراكية الانجليزية الريكوردية Ricordian ومن بين هؤلاء " Gray " الـــذي انتقــد وجهة نظر مالتس ٠

بل أن Thompson اعتقد أن الزيادة السكانية يمكن التحكم فيها مـــن خلال ما يسمى بالتجمع التعاونى ٠

ويرجع مذهب فائض الإنتاج في الأصل ل Sismondi ويعتقد مـــاركس اعتقادا حثيثا أن أي نمط خاص بالانتاج له عبر التاريخ قوانينه الخاصة بالســكان التي تخص هذا النمط الانتاجى خلال حقبة تاريخية معينة فحسب وعيـــب النظـــام

الرأسمالى من وجهة نظره انه زاد من امكانية استخدام الالات وشجع على وجـود التقلبات الاقتصادية التي تحدث بصورة دورية ومن ثمة يؤكد علماء الديموجرافيـا السوفييت ايضا أن هناك ارتباطا بين انخفاض معدل الخصوبة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والانتقال من الرأسمالية الصناعيـة المتنافسـة للرأسـمالية الاحتكارية أو الامبريالية وهكذا يعدو انخفاض الخصوبة سمة من سمات الازمـة الرأسمالية العالمية ، ومن ملامح هذه المرحلة الكسـاد والركـود والاسـتعمار ، وبالرغم من أن ماركس ولينين يظنون انـه بالامكـان تحسـين موقـف العمـال بالصورة التي ذكرها انصار المالتسية الجديدة إلا انهما يعترفان بانه ابان الازمـه – العالمية – للرأسمالية ينخفض الطلب النسبى على العرض بما يعمل على تحديد حجم الأسرة بين الطبقات العمالية الكادحة كما أن لينين يذكر انه حالمـا يتحـول العمال إلى طبقة البروليتاريا أو طبقة العمال الكادحين Proletyarian يصبـح العمال جزءا من رأس المال وذلك بمجرد أن تقف الرأسمالية الشرسة على قدميها فالرأسمالى الواحد يتسبب في قتل الكثيرين ، وحين تقوم الشركات الكبيرة فانـها تتبنى سياسة قوامها ، " عش ٠٠ ودع غيرك من المنافسين الاقوياء يعيشون " ٠ ويرى لينين أن الامبريالية لا تنفصل عن الاحتكار الرأسمالى بينما يؤدى تصديـر رأس المال إلى امتصاص رؤوس الاموال القائمه وحرمان المنتج (الصغير) مـن ملكية وسائل الإنتاج ٠

وعنصر السكان Population في النظرية الماركسيه – اللينينيـه هـو المتغير التابع وبذلك فانها تنفى عنه " كمتغير مسئوليته عن تحديد نمـط النظـام الاجتماعي ، بل أن النظام الاقتصادي السائد يؤدى إلى تحديد المتغير السكاني ٠

ولا خوف في هذه النظرية التي تتبنى التفسير الاجتماعي والاقتصادي من الزيادة السكانية فزيادة السكان تؤدى لازدياد الكفاية الانتاجية وازدياد كفاءة تقسيم العمل وتؤدى إلى اتساع تبادل المهارات ولكن الثروة في المجتمع هى التي تحدد الخصوبة .

وليس بخاف أن تشخيص ماركس للمشكلة السكانية يختلف عن التشخيص الذي قدمه رواد الاشتراكية المبكرة .

كما أن الماركسية لا تعرف قانونا للسكان بل أن لكل اسلوب من أساليب الإنتاج قانونه السكاني واذ ذاك فان مصدر المشكلة يتمثل في اسلوب الإنتاج الرأسمالى السائد وبهذه الطريقة ينظر للكثافة السكانية في ضوء تراكم رأس المال ويقل الطلب على العمال بالمقارنة بالزيادة السكانية مما يخلق فائضا في العمالة .

وهكذا يرى ماركس Marx أن الفقر لا يرجع إلى أي ميل طبيعى بل يرجع اساسا للعيوب التي يعانى منها النظام الاقتصادي حيث قرر ماركس انه لا يوجد قانون عام للسكان بل لكل عصر ولكل مجتمع قانونه الخاص ففى المجتمعات الرأسمالية تتزايد الآلات عن العمال – مما يستلزم الاستغناء عن جزء من العمال – فالعمال ينتجون الوسائل التي تجعل وجودهم غير مرغوب فيه أما النظام الاشتراكى فهو وحده يجنب المجتمع ويلات تزايد السكان وهكذا يستمر الجدل بين مالتس وخصومه وتغذى هذا الخلاف نواحى ايديولوجية ترتبط حينا بالماركسية والاشتراكيه وحينا اخر بالمالتسية والنظرية الرأسمالية فاصحاب المبادىء اللبرالية والذين يشتغلون بالخدمة في الحقل الاجتماعي جميعا يتلمسون السند من النظرية المالتسية Multhusian بينما الساسة الذين يأخذون بالاتجاهات

الراديكالية واصحاب الاتجاه المادى ينظرون للزيادة السكانية باعتبارها صورة من صورالاسهام في الهيبه واذ ذاك يسخرون مما يطلقون عليه بالاخطار المالتسية الانجلو – سكسونية " ويصفونها بالتشاوءم بشأن مقدرة الإنسان على حل مشكلاته بينما تذهب النظرية الماركسية اللينيه أن المشكلات السكانية تتلاشى في ظل أشكال علمية معينة من التنظيم الاجتماعي وقد يقول قائل بان الكثير من بلدان العالم الثالث لم تفلح الاشتراكية في حل مشكلات السكان فيها ففى الصين على سبيل المثال لا زالت الوفيات من اهم عوامل تحديد النمو السكاني بها دون المواليد .

غير أن القضية التي تزداد اهمية في نهاية المطاف ليست هي المالتسية ام الماركسية بل أن هذا يعنى أن الظاهرة السكانية تخضع للتحليل والتفسير في نهاية الامر من جهة نظر ايديولوجية – ليبرالية كانت ام راديكالية واذ ذاك سوف نعرض أولا للتفسير الايديولوجى الماركسى في ضوء المراحل – الانتاجية – المختلفة من وجهة نظر الماركسية اللينية ، والانتقادات الموجهة للمالتسية ثم للمنطلقات النظرية التي قامت على اساسها النظريات الطبيعية والثقافيه والاجتماعية واخيرا لمشكلة السكان في دول العالم الثالث وموقفها الايديولوجى .

التقسييم الماركسى الينينى للمراحل السكانية :

١ – <u>السكان في مرحلة العبودية :</u>

اتسمت هذه المرحلة بوجود التكنولوجيا البدائية التي تعتمد على قوة العبيد مع وجود معدلات مواليد مرتفعة بينما لم تكن معدلات الوفيات مرتفعة وكانت النساء جميعا يدخلن في علاقات زواج حيث انتشر في تلك الحقبة الزواج المبكر كما أن تأثير النمو السكاني على التنظيم الاجتماعي كان محدودا نتيجة

للدور الذي مارسته المدن ونتيجة لتطور المحليات الريفية بينما كـان الاسـتعمار يحدد موقع المراكز التجارية والحرفية في الوقت .

٢ - السكان في المرحلـــة الاقطاعيـــة :

في هذه المرحلة انتشر الزواج المبكر ، وازداد نمو السكان نتيجة لزيـادة معدل الإنتاج ومساعد على ذلك تأكيد الكنيسة على الخصوبة كهدف للزواج وازداد معدل الهجرة الفلاحية نتيجة للفقر بينما ازداد معدل الوفيات نتيجة لسطوة الاقطاع وبخاصة بالنسبة للعبيد .

وقد شهدت المناطق الحضرية تضخما كبيرا نتيجة للهجرة ممـا زاد مـن معدل الاعمال الوسطى (الشباب) بها .

٣ - البرجوازيـــة والظاهرة السكانيـــة :

اظهر الفكر البرجوازى سخطه على ازدياد معدل السكان على اعتبـار أن الأرض ستضيق بسكانها ، ويصف ماركس انه في المجتمع البرجوازى يجد قطاعا من القوة العامله نفسه فائضا عن قوة العمل (الإنتاج) وهكذا يؤدى رأس المـال المنقول إلى زيادة العناصر البروليتارية فى المجتمع .

وتصب الماركسية جام سخطها على أدم سميث الذي تأثر به العديد مـن الكتاب فانصرفوا عن ادراك العلاقة الطبيعية بين السكان الثروة واصبحت الـثروة الهدف النهائى للجهد الانسانى .

وتحت ضغط الامبريالية Imperialism تزداد كل صور البطالة الكلية والجزئية نتيجة للاقتصاد الرأسمالى غير المخطط حيث تتحول شرائح عديدة من سكان الريف إلى شرائح فقيرة وهذا يعنى أن فائض العمالة يحدث في القطاع الزراعى اكثر منه في القطاع الصناعى إذ أن عمال الزراعه لا يجدون عملا خارج نطاق الزراعة وهم حين يهاجرون للمناطق الصناعية يشكلون قطاعا عماليا يعمل بأجور رخيصة في المجال الصناعى ٠ بينما يفتقد البناء الطبقى في المجتمع الرأسمالى للتجانس الاجتماعي الامر الذي يؤكد التمايز في مستويات الخصوبة٠

وتخضع الخصوبة في ظل البرجوازية للعديد من المؤثرات كالمستوى الثقافى السائد ومدى شيوع وسائل تنظيم الأسرة والدوافع الشخصية الخاصة بالأفراد والمتتبع للتراث النظرى – في علم السكان – بالنسبة للكتاب السوفييت يرى أن البعض امثال Lpmonosov, Pososhkov, Mordvinov, Chulkov يقررون بان السكان هم ثروة المجتمع بينما تركز اهتمام البعض امثال :

Androsov, V.Malinowski, Timiryazev, Mechnikov, Milyutin, Dokuchayev .

وغيرهم في الهجوم على المالتسيه حيث اهتموا بابراز اهمية السكان في عملية الإنتاج في المجتمع ، وقد انتقد مكينكوف المالتسيه والدارونية الاجتماعية ، وهاجم Kostychev , وغيره مالتس وريكاردو معا ٠

ويعتقد ماركس وانجلز أن الناس يدخلون في علاقات متداخلة بعضهم بالبعض الاخر وهذا التداخل يحدد بدوره احتياجات الناس وانتاجهم ٠

وقد وصف ماركس مقال روبرت مالتس الأول بانه " صبيـــاني وســطحى ومسروق من ستيوارد وتونسند وفرانكلين ودالاس " واتهم كارل ماركس مـــالتس بانه اغفل الدور الذي يؤديه البناء الاجتماعي في انتاج السكان بينما يركز ماركس ولينين على أن الظروف الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية تتغير بصفة عامه وان خصوبة الأرض تتغير باستمرار حيث يؤدى التقدم التكنولوجي إلى زيادة المنجزات في قطاع الزراعة ومع أن الماركسيين ظلوا يدافعـــون عــن العبــارة الشـــهيرة لمارسيل سيميا " كلما انجب الناس أطفالا كلما زاد عدد الثوريين ، فـــان هنــاك تعاطفا بين التيار الاشتراكى تجاه تنظيم الأسرة إذ أن لينيـــن يــرى أن الدعايـــه لوسائل منع الحمل ينبغي أن يسمح بها ٠

أما المشكلات المصاحبه لظهور الفائض الســـكاني كالبطالـــة واســتغلال أصحاب الاعمال للعمال في الدول الرأسمالية فهى الضمـــــان لاســتمرار التنظيـم الاجتماعي الاقتصادي الرأسمالى ٠

وهناك ثلاثة أشكال للفائض السكاني :

١] الفائض " الظاهر " ٠

٢] الفائض " الكامن " ٠

٣] الفائض " الراكد " ٠

والأول يظهر في توفر جزء كبير من العمال نتيجة للتقدم التكنولوجى ٠

أما الشكل الثاني فيتمثل في ذلك القطاع من السكان الذي يشتغل بالزراعه ويتجه للهجرة إلى المدن ، ويعبر الشكل الثالث عن العمالة التي تتعرض لـــلاذلال

من أصحاب العمل نتيجة لعمليات التحكيم وغيرها ويشكل هذا القطاع نسبة عالية من البطالة غير الدائمة .

وترى النظرية الماركسية أن زيادة دخل الطبقة العاملة وتحسين نوع الحياة التي تعيشها سيؤدى إلى ارتفاع مستوى المعيشة واختفاء الاستغلال (وبخاصة للاحداث) وهبوط معدل النمو السكاني ثم انهيار الرأسمالية في النهاية .

ويرى Bebel أن تحسن الاحوال الاقتصادية وزيادة الغذاء يؤديان للاقلال من معدل الخصوبة ، وهو يقرر أن الزيادة السكانية ينخفض في المجتمع الاشتراكى عنها في المجتمع البرجوازى بسبب المكانة المتميزة للمرأة في ظل الاشتراكية ويذكر Kautsky انه من الممكن التوفيق بين الاراء المالتسية والماركسية رغم أن فلسفة تحديد عدد السكان تكاد تكون مستهجنه في البلدان الاشتراكية .

ومن المعروف أن ستالين قد تعاطف مع الزيادة السكانية ولكنه ذكر أن نمو السكان يسهل أو يعطل تنمية المجتمع ولكنه لا يحدد تطوره ، فالظاهرة السكانية لا تفسر سبب افساح النسق المشاعى الطريق لنسق العبودية ، والنسق الاقطاعى للبرجوازية إذ أن المحدد الرئيسى لطبيعة النسق الاجتماعي لا يتمثل في نمو السكان بل يتمثل في وسيلة الحصول على وسائل العيش الضرورية .

ومع أن الكتاب الروس يعارضون فكرة وجود مشكلة زيادة سكانية في ظل الاشتراكية إلا أن البعض امثال Gertysk قد ابرز أن الزيادة السكانية

توجد إذا زاد عدد السكان عن المعدل الفعلي الذي يتمكـن مـن بلـوغ مسـتوى مرغوب من الانتاجية في ضوء المصادر والاساليب الفنية الموجودة .

وقد ظهر في العقد الأخير من القرن التاسـع عشـر العـالم الاقتصـادي الايطالى فرنسيسكونتى Nitti وحاول أن يخرج بنظرية جديدة عـن السـكان مستندا إلى دراسته للاحصاءات المختلفة ويؤدى هذه النظرية أن الظاهرة السكانية ترتكز على مفاهيم الثروة والفقر .

فأكثر الاجناس البشرية ثروة هي اقلها تناسلا ونتى يتفق مع سبنسر فـي أن الخصوبة القليلة بالنسبة للشعوب المتقدمة قد امنت مستقبل الإنسانية .

وقد اهتم نتى Nitti بابراز مسئولية التنظيم الاجتماعي السائد في غنـى أو فقر المجتمع وهو هنا يتفق مع ماركس ولوريا في أن فقر الطبقـات – الـذي يؤدى بدوره لارتفاع معدل الخصوبة – يرجع اساسا للتنظيم الاجتماعي السـائد ولا جدال أن الامر لا يتفق على عدم تبصر الفقراء فهم فريسـة دائمـا للطبقـات العليا في المجتمع (الرأسمالى) حيث تزداد المنافسة في المجتمعات الرأسـمالية فيكون الصراع للابقى ويقل عدد السكان . أما في البلدان الاشتراكية حيـث تقـل فرص الصراع – من وجهه نظره – فيزيد عدد السكان ، كما يؤدى الفقر لزيـادة معدل الخصوبة هذا ويؤكد ثرونتن أن سكان العالم يتناقصون إذا ما كـان جميـع سكانه من الملاك فالملكية تزكى القيم التي تتعارض وكثرة الانجاب .

ويعبر عن هذه الظرة الماركســـية – اللينينيــه العــالم الديموجرافـــى السوفيتي Urlanis حيث يذكر بان المتغير السكاني يعـــد انعكاســا للظـــروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع ٠

ويقسم اورلانيس المراحل السكانية التاريخية منذ العصور الوسطى إلى :

١] العصر الاقطاعي ٠
٢] الرأسمالية المبكرة (القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر) ٠
٣] الرأسمالية الصناعية خلال القرن التاسع عشر ٠
٤] حقبة ازدياد نشاط الامبرياليه خلال القرن الحالي ٠

ويذكر اورلانيس انه في كل مرحلة يتغير حجم السكان بحســـب اختـــلاف التنظيم الاجتماعي الاقتصادي السائد فلا يمكن أن يكون عدد السكان سنة ١٣٠٠م هو نفسه ١٦٠٠ م ومع أن عهد الاقطاع في أوروبا قد شهد الكثير من المجاعــات والاوبئة والثورات إلا انه شهد ايضا اهتماما ملحوظا بطرق الزراعـــه (لصـــالح الاقطاع) ويستشهد اورلانيس بالجدول التالى لمقارنة متوسط النمو السكاني فـــي كل مرحلة من المراحل التي ذكرها بنمو الإنتاج الصناعى والزراعى ٠

جـدول رقـــم (   )

معدل النمو السكاني والاقتصادي خلال المراحل التاريخية

المرحلة التاريخية	متوسط معدل الصناعة	النمو السنوي للزراعة	معدل متوسط النمو السنوي للسكان
الاقطاع	-	١٢ر	٠٩ر
الرأسماليه المبكره	٥ر	٣ر	٢٢ر
الرأسماليه الصناعيه	٣ر	٩ر	٦٩ر
الامبرياليه	١،٣	٧ر	٦٤ر

ويلاحظ في هذا التقدير لمعدل السكان والازدياد المضطرد خلال المراحــل الرأسمالية وميلها للانخفاض في ظل المرحلة الامبريالية الاخيرة مـــع انخفــاض النمو الزراعى ٠

وبينما استنتج اورلانيس أن الفلاحين الذين لا يملكون ســوى مســاحات صغيرة من الأرض الزراعيه يجتهدون لتفتيت ملكياتهم كما يحرصون على تحديــد عدد ورثتهم ، فانه استنتج من هذا أن نمسط الملكية الخاصة يؤدى إلى تخفيــض معدل الخصوبة إذ أن انخفاض معدل السكان في المرحلة الامبريالية هو رد فعـــل لازدياد الطلب على القوى العامله خلال المرحلة الرأسمالية بالصورة التي يذكرهــا أدم سميث وغيره من الاقتصاديين الذين تحدثوا عن قـــانون المنافســة (والتــي حددها مالتس في وسائل العيش فقط أو وسائل القوت) ، ويستمر انخفاض الطلب على الايدى العاملة في عصر " الامبرياليه " ٠

وقد اوضح البعض امثال A. Loria أن نمـــو السـكان هـو العـامل الاساسى للتطور الاقتصادي بينما يرى Nitti أن تحسين الظـروف الاقتصاديـة وسيادة العدالة الاجتماعية الاشتراكية ستجعل معدل المواليد يتمشى مــع وسـائل العيش ٠

والنقد الاساسى الذي يوجه لهذه النظرية انها تقاعسـت عـن اسـتجلاء العلاقة بين انخفاض الخصوبة في المراحل المختلفة للرأسمالية مما اعاق دراسـة المشاكل الأخرى التابعه لها إذا تغير التنظيم الاجتماعي الاقتصادي فـي بريطانيـا وتحولت عن الرأسمالية وازداد الطلب على القوة العامله فهل يصبح معدل الطبقـة العامله مماثلا له خلال منتصف القرن الماضى ؟ وهل الايديولوجيا الاشتراكية هـى الحل لكل مشاكل المجتمع الحديث بما فيها المشكلة السكانية ؟

وحتى عام ١٨٧٠ لم تكن الكتابات غير الاشتراكية قد تحركت بعيدا عـن وجهات النظر المالتسية ثم ما لبثت الكتابات أن حددت رؤيتـها كنتيجـة لتطـور المعلومات الاحصائية المرتبطة بالسكان وتحسن طرق التحليل الديموافى وازديـاد الاهتمام بدراسة السكان فضلا عن التقدم العلمى والتكنولوجى (١) ٠

<u>العدد الأمثل في ضوء الامكانيات الطبيعية والمتغيرات الاجتماعية والثقافية :</u>

وفحوى هذه النظريات انها ترتكز في تفسيرها للظاهرة السـكانية علـى فكرة العدد الانسب Optimum Number فهى تنـهض علـى فكـرة (الارادة الإنسانية) فالانسان يجتهد أن يصل بحجمه إلى هذا العدد الانسـب ٠ إذ يخضـع نموه لسيطرته – فالانسان يخضع في تفاعله مع البيئة لدرجة معينة من السـيطرة عليها وكلما ازدادت درجة هذا التفاعل اتجه الإنسان إلى زيادة عدده للحد الـذي

يمكنه من أن يعيش في مستوى لائق معيشيا ومن العلماء الذين تبنوا هذا الاتجاه الكسندر موريس كارسندورز ، ومن الواضح أن فكرة العدد الأمثل أو الانسب تنظر للمجتمع في ضوء موارده الطبيعية والبشرية وعلى ضوء المتغيرات الثقافية لكل مجتمع على حده وهى بهذه الصورة تعد نظرية اكثر شمولا فالعدد الانسب يشير إلى اقصى عدد من السكان يمكن أن يعيش في مجتمع ما في مستوى لائق في المعيشة باستخدام كل امكانيات البيئة .

وقد ابتعدت نظرية العدد الأمثل بصورتها الحديثة عن الصورة " الكلاسيكية " التي قدمها ارسطو ثم غيره من العلماء بعد ذلك امثال ساندرز ، واصبح العدد الأمثل لا يعنى المصادر الطبيعية وحدها بل والمتغيرات الاجتماعية والثقافية فمن بين العلماء الذين اهتموا بالنواحى المرتبطة بالانتاج الزراعى Airc, Pere, Hutchinson وغيرهم من العلماء ، أما البعض الاخر فان نظرتهم كانت اكثر اتساعا ومن هؤلاء Eversley الذي يرى أن الناس لا يحكم وجودهم العوامل الطبيعية بل والعوامل الاجتماعية ايضا حيث يذكر :

" Population is controlled by society as well as by Ecological factors " .

ويبرز R.Taylor اهمية العوامل الاقتصادية والتكنولوجيه في هذا المضمار إذ يعلن أن علماء الاجتماع يهتمون بالمعنى المتسع للبيئة وهولهذا السبب يبدى شكوكه نحو المفهوم الضيق للبيئة وعجزه عن هذا التحديد العدد الأمثل بقوله :

"The social scientists seem to say that the environment is not too important it is so modified by economic and technological expertise " .

وإذا ذلك فان البيئة هى البيئة بمعناها الواسع وبكــل مــا تحتــوى مــن امكانيات بل لقد اصبح للقيود الثقافية الاختيارية التي يفرضها الإنسان على نفســه اهمية محورية في تحديد وتغيير الأهداف المجتمعيـــة والاســـتراتيجية المتصلــة بالسكان ٠

ويحدد Park الالتزامات الخاصه بالعدد الأمثل للسكان في عــدة بنــود من بينها أن يحرص المجتمع على عدم انجاب أطفال غير مرغوب فيهم وتفـــادى التشوهات المختلفة للمواليد والاهتمـــام بالطفولــة ، ودعــم احســاس الأســرة بالمسئولية ، والحرص على سلامة البيئة ، والاهتمام بالصحة العقلية والبدنيـــة ، والحرص على السمات الخاصة بالانسان (لا بمجرد العدد الكم فحسب) ٠

-كما يوضح Taylor بعض المحددات الخاصة بالعدد الأمثل والمتمثلة في أن يراعى عند تحديد هذا العدد الأمثل نشـــاط وامكانيــات الأفــراد والتنظيــم الاجتماعي السائد والمقبول والاهـــداف الاجتماعيـــة وغيرهــا مــن المتغــيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافيـــة ٠

والعدد الأمثل بالنسبة لـــ Eversley يتعلق بالعلاقة بين حجم الســكان وبين المصادر الطبيعية ، و التكنولوجيا ، والتجارة وغيرها من المتغيرات ٠

" The prevailing relationship, between the size of population, the availability of natural resources, the state of technology and the direction and quantity of foreign trade " .

وغنى عن القول أن فكرة العدد الأمثل لم تصبح فكرة نظرية خالصة تجنح للخيال بل انها اصبحت لا تفهم إلا في ضوء تطبيق فكرة هذا العدد الأمثـــل علـــى

مجتمع معين في وقت معين فهي محددات فعليه وليست فكرة مطلقه لـــها الطـــابع الفلسفي الارسطي ٠

كما اصبح من المعلـوم أن هــذه الفكـــرة لابـــد أن تراعـــي المتغـــيرات الاجتماعيه الثقافيه فهي غير منفصلة عن البناء الاجتماعي الذي يمكن الوصول لهذا التقدير من خلاله ٠

أما اخيرا فان فكرة الحجم الامثل لابد ان ترتكز على أساس علمي ســـايد للامكانيات والموارد الطبيعية والبشرية وان تتسم ببعد النظر للمستقبل كما ينبغـــي ان تكون من المرونه بالصورة التي تسمح بوضع تقديرات مرنة غير جامدة ٠

ومع هذا فان هال هلمان يعلن شكوكه برغم ذلك في الوصول إلـــى هـــذا العدد الانسب كما حاول بدوره أن يفرق بين العدد الاقصى والامثل (١) ٠

وغنى عن القول أن الكثير من الناس في انحـــاء متفرقـــه مـــن العـــالم يرفضون الفكرة من اساسها حين يرددون أن الله لا يرسل أطفالا دون موارد ٠
" God never sends mouths without sending meat " .

غير انه من بين نقاط النقد التي توجه لهذا النظرية انه من المتعذر تقدير موارد أي اقليم بصورة دقيقة فما زال القمر الصناعي ينبه العديد من المجتمعـــات اليوم عما فاتها أن تكتشفه من مصادر وامكانيات طبيعية وهو ما يقـــرره كذلـــك روجى ريفيل R. Revelle عالم السكان المعروف حين يعرض لصعوبـــة هـــذا التحديد ٠

المصـــــــادر

[١] الكتاب المقدس - سفر التكويـــن ١ : ٢٧ – ٣١ ٠

[٢] القرآن الكريم – سورة النون ٠

[٣] Valentey, Anoutline theory of population. Moscow. Pp. 116:120

[٤] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى – دراسات فـــي علـــم الســكان – دار المعارف – القاهرة ٠

[٥] R. Thompson, population Dynamics, May. 1965 pp. 25 : 50.

[٦] رمزى زكى – المشكلة السكانية – عالم المعرفة – الكويــت ١٩٨٤ – ٦٣ – ٢٠٧ ٠

[٧] المصدر نفسه ص ١٤٥ : ص ١٤٨ ٠

وانظر كذلك كونتز – النظريات السكانية وتفسيرها الاقتصادي تفى فيليـب هاوسز – السياسات السكانية ترجمه خليل حسين وكذلك عبـــد الحميـد لطفى وحسن الساعاتى المصدر السابق ومــــاكيفر وبيــدج – المجتمــع ترجمه سمير نعيم – المقدمة ٠

[٨] نقولا تيماشيف – نظرية علم الاجتمـــاع – دار المعـــارف – القـــاهرة – ١٩٧٨ ٠

ثانيا :التحــول الديموجــرافـــي

يسمى التحول من معدل المواليــد المرتفــع ومعــدل الوفيــات المرتفــع إلى معدل المواليد المنخفـــض ومعــدل الوفيــات المنخفــض يســمى بـــالتحول الديموجرافى ٠

غير أن هذا التحول الديموجرافى ليس بسيطا فالعمليــــة ليســت تحــولا ديموجرافيا أو عدديا بل تحولا اجتماعيا في نسق القيم خاصة والبناء الاجتمـــاعي بعامة ، ولذا فقد قدم فوستر اختزالا لهذه الفكرة وهو ما نسميه احيانـــا بقــانون فوستر Forrester ومؤداه انه في المواقف المعقدة نجد أن الجـــهود المبذولــة لتحسين الامور كثيرا ما تؤدى إلى جعل الامور اشد سوءا وقد تحولها إلى كارثة ، فقد تركزت الجهود على خفض معدلات الوفيات مما زاد التبـــاعد بيــن معــدلات المواليد والوفيات وادى هذا بدوره إلى ما يعرف بالانفجار السكاني Explosion في بعض المناطق وان كان البعض يفضل استخدام الطفرة السكانية ٠

أولا : الثورة الديموجرافية والتحول الديموجرافى :

١ - الثورة الديموجرافيـــة :

وهى العملية الناتجه من التحول من نمو سكانى بطــيء نتيجــة لزيــادة معدلات الوفيات إلى نمو سكانى بطيء ايضا بسبب التحديد الاختيارى للنسل الـذي خفض من معدلات المواليد حتى كاد يتساوى مع المعدل المنخفض للوفيات وهـــى ظاهرة اسهم فيها معظم سكان العالم ، ويعتقد فيليب هاوزر أن هناك اربعة أسـباب قد ادت إلى الزيادة السكانية خلال القرن التاسع عشر :

[١] اكتشاف قارات جديدة أمكن الحصول منها علـــى المزيــد مــن المــوارد الغذائية٠

[٢] اتساع افاق التجارة بين الدول ٠

[٣] التقدم التكنولوجى في المجال الزراعى والصناعى ٠

[٤] التقدم الصحي ٠

وفى بداية هذا القرن وبالتخصيص في عام ١٩٠٠ كان عدد سكان الدول المتقدمة نحو ٦٠٠ مليون نسمة والدول الناميه (الأقل تقدما صناعيا) نحو ١٠٠٠ مليون نسمه ، وفى بداية الثمانينيات قدر عدد سكان الدول المتقدمة ١١٤٠ مليون نسمه والناميه ٢٣٥٠ مليون نسمة ٠

بينما قدر عدد سكان البلدان المتقدمة عام ٢٠٠٠ بـ ١٤٠٠ مليون نسمه والناميه ٥٥٠٠ مليون نسمه وقد دعا هذا هلمان إلى القول بأن أسوأ النواحى في الموقف بأسره أن السكان ينمون في تلك البلدان باسرع ما يملكون ، وقد استشهد هلمان بما كتبه ريفيل R. Revelle أن ما بين اربعة اخماس وسبعة اثمان النمو السكاني في العالم سيحدث في الدول التي تعانى الجوع اليوم أي أن الثورة الديموجرافية يشهدها العالم الغربي وحده في نهاية المطاف دون أن يسهم فيها العالم الثالث ٠

<u>٢] مراحل التحول الديموجرافي :</u>

يذكر فيليب هاوسر Ph. Hauser (١) أن النمو السكاني عبر التاريخ قد مر بمراحل عديدة وعلى هذا الاساس قسم المراحل السكانية التي اجتازها العالم حتى الان إلى مراحل ثلاث وهى :

المرحلة الأولى :

ازداد فيها ارتفاع معدل السكان وهى مرحلة تتميز بارتفاع نسبة المواليد وارتفاع نسبة الوفيات الامرالذى أدى بلا جدال إلى ثبات حجم السكان أو تضاؤل عددهم لارتفاع معدل الوفيات وهذه المرحلة قد سادت حتى عصر النهضة.

المرحلة الثانية :

اتسمت بارتفاع معدل المواليد وانخفاض نسبة الوفيات اذادى انتشار الاساليب العلمية ومقاومة الاوبئة والأمراض وتحسين طرق الوقاية والعلاج لانخفاض معدل الوفيات بينما تظل نسبة المواليد مرتفعة لارتباطها باعتبارات اجتماعية وثقافية تتغير في بطء شديد في ضوء نسق القيم **Value system** التقليدى السائد ويحدث هنا ما يسمى بالانفجار السكاني ولا تزال بعض البلدان متوقفة عند هذه المرحلة ومنها مصر والهند والصين حيث تصل الزيادة السنوية للسكان إلى اكثر من ٣ % .

المرحلة الثالثة :

وتتسم هذه المرحلة بانخفاض نسبة المواليد وانخفاض نسبة الوفيات وذلك نتيجة لسيادة القيم التي تشجع على تحديد النسل وتغير الظروف التي كانت تعلق اهمية على العصبية والعائلة الممتدة وتشغيل الأبناء ولا تتعدى الزيادة السكانية السنوية هنا ١ % أو اقل قليلا .

ويعتقد هاوزر أن الدلائل تشير إلى أن بلدان آسيا وامريكا اللاتينية وبعض بلدان الشرق الاوسط تمر الان بالمرحلة الثانيه وهى مرحلة الانفجار

السكاني بينما تعد أوروبا وامريكا الشماليه واستراليا ونيوزيلاندا من بين البلـــدان التي دخلت المرحلة الثالثة ٠

بينما يرى طومسون أن هناك ٤ مراحل للتطور الديموجرافى :

[١] زيادة معدل مواليد وزيادة معدل الوفيات ٠

[٢] زيادة معدل مواليد وانخفاض معدل الوفيات ٠

[٣] ضآلة معدل مواليد وضآلة معدل الوفيات ٠

[٤] ضآلة معدل مواليد وزيادة معدل الوفيات ٠

أما أيرين تاوبر فتذكر في مقالها عن " السكان وعدم الاستقرار السياســي في المناطق المختلفة " أن العلاقة بين السكان والفقــر والنظام السياسي ينبغي أن توضح عن طريق اختبار الوقائع المتعلقة بكافــــة البلـــــدان علـــــى المســـتوى الديموجرافى ، وقد عرضت لخمس أنماط ديموجرافية أساســية (وهـــى الانمـــاط نفسها التي عرضها قسم الدراسات السكانيـــة بالامم المتحدة) ويمكـــن ايجازهـــا فيما يلى :

[١] مرحلة ما قبل العصر الحديث – وهى تشمل المعدلات المرتفعـــة للمواليـــد والوفيات ٠

[٢] المرحلة الأولى ، لانخفاض الوفيات ، وتتميز بالانخفاض النسبى في معـــدل الوفيات العاليه بينما يستمر معدل المواليد على ارتفاعه ، وهكذا يظل معدل السكان مرتفعا ٠

[٣] النمط المتقدم لانخفاض الوفيات ، وتتميز بالانخفاض الكبـــير فـــي معـــدل الوفيات بينما تظل معدل المواليد ثابته نسبيا الامر الذي يجعل معدل النمـــو السكاني مرتفعا ٠

[٤] مرحلة الانتقال السكاني ، وهي المرحلة التي تتسم بانخفاض معدل الوفيات مع انخفاض معدل المواليد كذلك .

[٥] النمط الحديث : ويتميز باستمرار الانخفاض في معدل الوفيات بينما يزداد انخفاض معدل المواليد أو تظل النسبة متقلبه وهو ما يتمثل في الوضع الديموجرافى السائد في بلدان غرب أوروبا اليوم .

ويشير هذا التطور إلى تقدم الرعاية الصحية والتحسن في سبيل الحياة كما يرجع الاختلاف الحالي بين البلدان بصفة عامه إلى الايديولوجية ونسق القيم والعادات والتقاليد والاعراف السائدة والتي تتأثر بدورها بالتوجهات الفكرية كالتعليم الوضع الطبقي والنشاط الاقتصادي السائد وغيرها من المحكات الاجتماعية والثقافيه التي يغلب انتشارها في المجتمع فتطبع هذا المجتمع بخصائص معينه وتشكل البناء الاجتماعي فيه تشكيلا نوعيا خاصا .

ومن السهل أن نميز عادة في هذا الصدد بين البلدان الصناعية وغير الصناعية ففى الأولى يرتفع عادة دخل الفرد ويقل معدل الوفيات ومعدل المواليد مع تقدم الطلب الوقائى والعلاجى وازدياد التقدم العلمى والتكنولوجى .

أما البلدان المتخلفة صناعيا فتنتشر فيها الاميه ويقل دخل الفرد ويسود نسق القيم التقليدى فتنخفض معدلات الوفيات بينما تظل معدلات المواليد على ارتفاعها وهكذا تظل مشكلة التضخم السكاني بها دون حل واضح (٢) .

وقد أوضحت الخبرة الإنسانية أن الدول التي قطعت شوطا بعيدا في التصنيع قد انخفضت معدل الخصوبة فيها بنسبة لا تقل عن ٥٠% قبل دخول

الصناعة كما انخفض معدل الخصوبة بنسبة لا تقل عن ٥٠ % فــي المجتمعـات التي ازداد بها معــدل التحضــر urbanization وســادت فيـها الحضريــه urbanism كطريقة للحياة (٣) ٠

وقد شهدت أوروبا الغربية خلال القرن التاسع عشر تقدما كبيرا في مجال التنظيم السياسى والاقتصادي والتكنولوجي والعلمى على مــا يذكــر نوتســتاين ، وكيرك ، وسيجال في مقالهم عن مشكلة تنظيم السكان ٠

وهذه جميعها ادت إلى الهبوط المستمر في معدل الوفيات غير انــها أدت في الوقت نفسه إلى الإقلال من معدل الخصوبة منذ أواخر الثلاثينيــات بالنسـبة للبلدان المتقدمة صناعيا وهو الهبوط الذي بدأ في الربع الأخير من القرن التاســع عشر والذى بلغ اقصى درجاته في أواخر الثلاثينيات بينما زاد معدل الخصوبة بعد ذلك لتعويض الدمار الذي خلفته الحرب ، وقد قدر عدد المواليد في قــارة أوربــا عام ١٩٧٦ بــ ١٦ (في الألف) والوفيات ١٠ فتكون الزيادة الطبيعية على هــذا الاساس ٦ في الألف بينما بلغت في أفريقيا ٤٧ ، ١٩ على التوالى فتكون الزيـادة على هذا الاساس ٢٨ في الألف (٤) ٠

<u>ثانيـــا : الأثار الاجتماعية والاقتصادية لبطىء التحول الديموجرافى فـــي العالم الثالث:</u>

<u>١ - الضغط على المصادر الطبيعية :</u>

لا جدال أن التوالد الإنساني لم يعد مسأله تخص الشــخصين المســئولين عنها أو تقتصر على اسرتيهما فحسب فقد بلغ التطور الديموجرافى مرحلة دقيقــة اصبح بموجبه أي ارتفاع لمعدل الزيادة الطبيعية في أي بقعة من بقاع العالم يؤثر

على البقاع المجاورة لها ولهذا فليس من شك أن كوكبنا يعاني من مشكلة سكانية تؤثر في التنظيم الاجتماعي والظروف الاقتصادية والسياسية لبلدانه المختلفة .

ومن المؤشرات التي تؤكد ذلك أن أحدى وستين دولة قد وافقت سنة ١٩٦٢ في اجتماع الجمعية العمومية بالامم المتحدة على قرار يؤكد العلاقة بين التنمية الاقتصادية والنمو السكاني ويطلب من المنظمة أن تتخذ الخطوات اللازمة للمساهمة في حل المشكلات السكانية .

والدول الفقيرة لا تشكو في واقع الامر من الانفجار السكاني واثاره الخطيرة فحسب بل من الاثار الناجمة عن استغلال الدول الغنيه تستهلك ٨ أمثال ما يستهلكه سكان العالم الثالث ومن البديهي إذا انه ليس بامكان أي ابطاء يمكن تصوره في سرعة نمو السكان في العالم الثالث أن تؤدى في العقود القليلة القادمة لحل مشكلاتها السكانية فالافواه تلتهم كل زيادة ممكنة في الاقتصاد القومي .

ويذكر محجوب الحق في مؤلفه ستار الفقر أن المقولة المنطقية في هذه الحالة ترتكز أما على اعادة توزيع الدخل العالمي للمساهمة في تخفيف الضغط على الموارد الطبيعية أو التسليم صراحة بان نمو السكان في البلاد النامية لا يتعدى أن يكون مشكلة قومية فحسب ، ومما يضاعف من حدة المشكلة في البلدان الفقيرة أن برامج تنظيم الأسرة فيها تصاب بالفشل عادة لوجود انساق القيم التقليدية التي تمجد السيدة الولود والتي ترتبط ايضا كثرة الانجاب بالرجولة لدى الذكور ففي البلدان النامية لا زال معدل المواليد عاليا والانخفاض الذي يحلقه ليس كبيرا وخلال الفترة من ٥٠ – ١٩٥٥ كان معدل المواليد في البلدان النامية ٤٤ في الآلف ثم انخفض في الفترة من ٦٠ – ١٩٦٥ إلى ٤٢ في الآلف ، وقد

قدر عدد المواليد في الدول الناميه من ٩٠ - ١٩٩٥ بـــــ ٢٨ في الآلــف وفــى الدول الأقل تقدما بـــ ٤٢ في الآلف (٥) ٠

أما الدول الغنية فليست إلا اقلية في العالم أخذة في التقلص فـــهى تمثـل نحو ٣٠ % من المجموع الكلى للسكان ، وعند نهاية هذا القرن ستتضاءل إلـــى ٢٠ % ثم إلى ١٠% عند منتصف القرن القادم ٠

ومن اللمفلت للنظر حقيقة أن غالبية المواد الخام التي تتجر فيها الـــدول الغنية يتم انتاجها في العالم الثالث وان الدول الغنية يزداد اعتمادهـا علـى هـذه المواد كالكاكاو والشاى والبن ٠٠ الخ فتقوم باعادة تصديرهـــا وشـــحنها حيـث تحصل على اكثر من ١٥٠ بليون دولار نتيجة لذلك (١) ٠

٢ - القروض والقيود الاقتصادية وانخفاض دخل الفرد :

ينقسم العالم إلى معسكرين هما الدول المتقدمة والبلدان الناميـــة وليـس ثمة أي فروق في الخصائص الجسمية أو الفعلية أو النفسية تصلح محكما للتفرقة بينهما بل أن التراكمات التاريخية قد افرزت في نهاية الامر هذه الفـروق بينـــهما واذا استخدمنا دخل الفرد للدلالة على ذلك فان دخل الفرد في بعض الدول الفقـيرة يبلغ نحو ٣٠٠ دولار سنويا في امتوسط في حين انه يتراوح بين ٢٥ : ٥٠ مثلا عادة في البلدان المتقدمة ، ويتمشى هذا مع معدل عـــالى للامية فـي البلـدان الفقيرة ٠وازدياد معدل الخصوبة وانخفاض الناتج المحلى بصفة عامة ٠

وهذا هو السر في أن الدول المتقدمة تنمو ، عامة بمعدل لا يتجاوز ١ % ويتراوح نمو الدول الناميه بين ٣ : ٤ بينما متوسط النمو السكاني في العالم يبلـغ

٢ % ويؤدى هذا عادة إلى عجز بلدان العالم الثالث عـــن كفايـــة نفســها ممـــا يضطرها إلى الاقتراض من جاراتها لاطعام شعوبها ، وهكذا تستمر حلقـــة الفقـــر والتبعية .

وقد افصحت الدراسات أن الدول المتقدمة اقتصاديا تنتج نحو ٨٦ % مــن جملة الناتج الدولي وان دخل الفرد في الســبعينيات ٤٥٣٧ دولارا فــي البلــدان المتقدمة بالمقارنة بـــ ١٦٥٠ دولارا في دول الاوبيك و ٢٢٦ دولارا في الـــدول الفقيرة ، وان كان البنك الدولي كان يعتبر أن معظم البلدان النامية يقل نصيـــب الفرد فيها عن ٢٥٠ دولارا (امريكيا) وتوصف بانها منخفضة الدخل وقد يزيــد عن ذلك فتعد بدورها مجتمعات متوسطة الدخل ، وتحاول الأولى عادة أن تلجأ إلى زيادة الإنتاج الزراعى لتكفل اود معيشتها .

وفى السبعينيات تفاوتت الدخول في بعض هذه البلدان ففى الـــهند نحــو ٦٠٠ مليون نسمة بينما يبلغ دخل الفرد بها ١٣٠ دولارا أما السودان فيبلغ حجــم سكانها ١٨ مليون نسمة ودخل الفرد بها ١٤٠ دولارا ، وزاد سكان مصـــر عــن ٤٠ مليون نسمة ويبلغ دخل الفرد بها ٢٩٠ دولارا للفرد (في المتوســـط) وقــد اوضح البنك الدولي أن ثلث سكان البلدان الفقيرة تقل دخولـــهم عــن ١٠٠ دولار وان عددهم الذي يربو إلا على ٩٥٠ مليون نسمة يعتبرون بحق افقر سكان العالم يعانون في الوقت نفسه من سوء التغذية والاميه والفقر والانفجار السكاني (٦) .

٣ – اختلال التنظيم الاجتماعي :

هناك الكثير من الهزات الاقتصادية والسياسية تحدث بسبب الزيادة السريعة في السكان ٠ إذ أن تكاثر السكان بسرعة تفوق الإمكانيات المتوافرة يؤدى إلى القلق والتوتر السياسى (٧) ٠ فقد يساور بعض الزعماء الاعتقاد بأن عجز الحكومة عن تحقيق الرفاهية الاجتماعية يرجع لعدم كفاءة الحكام (الحاليين) وسرعان ما يتطور الامر إلى العنف ومحاولة القضاء على الحكومات القائمة وقد يرى القادة أن النظام الدكتاتورى – على سبيل المثال – أقدر على انجاز المطالب ورفع المعاناة الاجتماعية – الاقتصادية – غير أن التاريخ الحديث يشهد على أن القلق السياسي وجرائم العنف التي تشهدها الشعوب الضعيفه – يجر وراءه دولا كبيرة مهما كانت بعيدة جغرافيا عن مسرح الاحداث ٠

وغني عن القول أن الضغط على الخدمات المختلفة تعليميه وصحية وترفيهيه إلى جانب سوق العمل المتفجر وازدياد معدل البطالة والبطالة المقنعة يزيد من الصعوبات التي تواجهها هذه البلدان ويزيد بالتالى من معدل الجريمة والجناح والأمراض العقلية ، ومن المعروف أن الولايات المتحدة قد بدأت تشكو هذه الأيام من هذه الظواهر إذ يذكر دورن الديموجرافى الامريكى " انه لم يحدث في تاريخ " الشعب الامريكى أن واجه مثل هذا التضخم في قوى العمل " إذ يرى الاقتصاديون أن تضخم القوة العامله ٠٠ سيؤدى إلى فترة " كساد أخري ٠٠ كفيلة بان تجعل عدد المتعطلين يقفز إلى ما يزيد " على خمسة عشر مليونا " وهذا ما يدل على أن هذه المشكلة قد ب>ات تؤرق مضاجعنا فضلا عن اعبائها على تقدمنا الاقتصادي " ٠

وهكذا يبدو أن الضغط على المساكن والمرافق العامة والقطارات ووسـائل المواصلات ومياه الشرب وطفح المجارى وفساد الهواء وصعوبة التخلــص مــن الفضلات تثير الكثير من قلق السكان في البلدان النامية ٠

ولقد اختفت الغبطة التقليدية بالمولود الجديد وحــل محلــها الامتعــاض والخوف والقلق إذ أن لدى العديد من القبائل التي تعيش في ظــل نســق القيــم التقليدى والتكنولوجيا البسيطة - مثل الاشانتى في وسط غانا - تقام الاحتفــالات تكريما للام عند ولادة طفلها العاشر ٠

ومرجع هذا القلق الذي بدأ يساور سكان هــذه البلــدان الناميــه يرجــع للاحساس بفداحة الثمن الذي على المجتمع أن يتحمله ازاء قدوم المولود الجديــد سواء فيما يتعلق بالضغط على الإمكانيات والمصــادر الطبيعيــة أو علــى كــاهل التنظيم الاجتماعي - الاقتصادي السائد في المجتمع إذا لم يقدر المجتمع أن عليــه أن يعمل بجد وكفاءه عاليه لرعاية هذه الأفواه الصغيرة ٠

المصـــــادر

[١] أيرين توبير السكان وعدم الاستقرار السياسي في فيليب هاوسر – السـكان والسياسات الدولية – ترجمه خليل حسين – القـاهرة – ١٩٦٣ – ص١٦ وانظر هال هلمان – مشكلة تضخم السكان ترجمه محمد بدر الدين خليـل – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٤ مواقع متعددة ٠

[٢] عبد الحميد لطفي وحسن الساعاتي – دراسات في علـــم السـكان – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٧ – الفصل الأول ٠

[٣] انزلي كول – السكان والتنمية الاقتصاديــة – فــي هاوسـر – المصـدر السابق٠

[٤] الجهاز المركزي للتعبئة – الكتاب الإحصائي السنوي – ١٩٨٠ ص ٢٦١

[٥] الجهاز المركزي للتعبئة – الكتاب الإحصائي سنة ١٩٩٥ ص ٤٠٠ ٠

[٦] البنك الدولي – تقرير عن التنمية – ١٩٧٨ ٠

[٧] دورن – النمو السكاني في العالم في فيليب هاوسر – المصدر السـابق ذكره ٠

الفصل الثامن

الهجرة

مقدمة :

كانت ايما لازاراس Emma Lazarus صادقة حين حررت كلمات تم نقشها على تمثال الحرية في الولايات المتحده وهى تخاطب جماهير الفقراء الذين يحنون لانسام الحرية لكى يتجهوا إلى الولايات المتحده التي استقبلت الاعداد الغفيره التي نزحت اليها حيث بلغ من هاجروا اليها حين بدأ الاحتفاظ بسجلات الهجرة سنة ١٨٢٠ حتى ١٩٣٠ نحو ٣٥ مليون مهاجر وكان للهجرة دورا بالغا في نمو الولايات المتحده ٠

ومن المحتمل كما يذكر بورى W.D.Borrie أن اثر الهجرة على معدلات النمو السكاني في أفريقيا وأسيا كان اقل منه على مناطق الهجرة الاوربية كما يذكر هال هلمان لانها كانت حركات صغيره وكانت تنتمى إلى ومن بلدان كبيرة الحجم بمقاييس ذلك الوقت ٠

ويعتقد هلمان أن سهولة المواصلات وتمهيد الطرق قد ساعدت على الهجرة الداخلية وامتداد الضواحى السكنية خارج المدن (١) ٠

وهناك نظريات سكانية حاولت أن توضح دور الهجرة في التأثير على الظواهر السكانية ومن بين هذه النظريات نظريه كورادو وجينى الذي يعتقد أن المجتمع في بداية تكوينه ترتفع فيه معدلات الخصوبة فيضطر اصلح العناصر للهجرة من المجتمع للخارج أو الحرب فيضطر سكان الريف إلى ملىء الفراغ والهجرة للحضر فيقل معدل خصوبتهم ٠

وجينى Gini بهذا يفترض وجود قوة ثقافية تعمل تلقائيا علـــى تحديــد السكان وان العامل البيولوجي يختفى وراء العوامل الاقتصادية والاجتماعية التـــي تظهر كأنها تحدد النسل أي انه يرى أن نقص الخصوبة هو انخفاض في القـــدرة على التناسل ، وقد لاقت هذه النظرية كثيرا من اوجه النقد ويتفق حسن الساعاتى و عبدالحميد لطفى مع بترم سوروكن فيما عرضه لاوجه النقد لهذه النظرية وعلى سبيل المثال فان ارتفاع معدلات الخصوبة لا يشترط أن يتلوها الاستعمار والـهجرة كما انه من العبث أن نفترض هجـرة اصلــح واقــوى العنــاصر فــي المجتمــع وبالتــــالي انتعاش الأوضاع الاقتصادية وما ذكره جينى مــــن آثــار اقتصاديــة واجتمــــاعية وسياسية لاحقه نتيجة لذلك مع نقص القدرة الطبيعية على الانجاب ·(١)

أما ثانى هذه النظريات التي بنت الاتجاه الثقافى فتعرف بنظرية (الشعرية الاجتماعية) Social capillarity ورائدها ارسين ديمـــون A. Dumont إذ يرى ديمون أن المدن الكبرى (في المجتمع الديموقراطى) تجذب القرويين اليــها ، وهكذا تزدحم المدينة بالهاجرين اليها من الريف ، ولكن المدن تصيـــب بـــالعقم نسبيا هؤلاء المهاجرين اليها وهم بدورهم يزيدون من نسبة انخفـــاض المواليــد فيها ·

أما اولئك الذين يعيشون بعيدا عن " مراكز الجذب " أو يختارون مهنا يقل حراكهم فان حركة الشعرية لا تجذبهم سريعا ويصبح من المحتمـــل أن تنخفــض نسبة المواليد بينهم ويضرب ديمون مثلا لهذا بالبلاد ذات الحدود الطبقية الجــامدة كبلاد الهند حيث تصعب الشعرية الاجتماعية لقسوة نظم الطبقات وتـــزداد نســبة

المواليد حيث تستقر حياة الأشخاص إذ أن عائل الأسرة لا ينشغل عنها بتحسين مركزه وبالتالي تقل رغبته في تحديد النسل أو بالهجرة للمدينة .

ويعقب عبد الحميد لطفي في مؤلفه " دراسات في علم السكان " على نظريه ديمون بانها تبدو تحويرا لنظرية سبنسر ما يضفي عليها الطابع النفسي الاجتماعي وانها بالرغم من قصورها في تفسير بعض الظواهر السكانية إلا انها لا تخلوا من كونها تلقى الضوء على الظروف " الاجتماعية " التي تسود في مجتمع يتزايد سكانه أو يتناقصون (١) .

وتتعدى المصطلحات التي تشير إلى الهجرة والمهاجر فيذكر قاموس المورد أن المصطلح Émigré يشير إلى اللاجيء المكره على الهجرة لظروف سياسية وما اليها ، كما يشير المصطلح Emigrant إلى المهاجر أو النازح والمصطلح Emigration كذلك إلى الهجرة ، ويذكر قاموس المصطلحات الاجتماعية أن المصطلح Emigrant يشير إلى المهاجر (للخارج) كما يشير المصطلح Immigrant للمهاجر (للداخل) وان المصطلحات , Immigration Emigration يشيران للهجرة إلى الخارج بينما يشير المصطلح Migration إلى الهجرة عموما (١) .

ويشير كل من جولد Gold وكولب Kolb (٢) إلى الهجرة الإنسانية باعتبارها اصطلاح يستخدم في العلوم الاجتماعية ويشير إلى التحرك الجغرافى للافراد أو الجماعات كما يميزان بين الهجرة الداخلية والخارجية الاختيارية وغير الاختيارية ذات الامد القصير والطويل .

والهجرة قديمة قدم التاريخ نفسه وقد لعبت العوامل الطبيعية دورا هامـا فيما يمكن أن نطلق عليه الهجرة كهجرة القبائل الساميه والحاميه وغيرها ،

وفى العصور الحديثة زدادت معدلات هجرة الجماعات والاشـــخاص كمـا ظهرت رقابة الهجرة عن طريق السياسة الحكومية ٠

وتلعب وسائل المواصلات دورا اساسيا في عمليات الهجرة ومن ثم فليس من المستغرب كما يقرر الدارسون أن تيار الهجرة قد اتفق - من حيث الزمن - إلى حد كبير مع تطور السكك الحديدية وتحسن سبل المواصـــلات والـــى جـانب الهجرات الدولية التي حدثت بمحض اختيار الأفراد هناك هجـــرات أخـــري اجـــبر السكان فيها على ترك اوطانهم والرحيل إلى مناطق لم يكن لهم خيار في الذهـــاب اليها ، ومن المقرر أن حوالي ١٠٠ مليون نسمة قد هجروا قسرا خـــلال القـــرن الأخير نتيجة للحرب العالمية الثانية والحركات القومية التي نشأت في اعقابها ٠

ويمكن وصف الهجرة الدولية بأنها تعنى تحرك السكان بارادتهم الخاصـــة من دولة لأخرى مدة تزيد عادة عن عام - وهى تشمل فـــي اوســـع معانيـــها التحرك الاجبارى والحر ، المؤقت والدائم للسكان ٠

ويبدو أن الاهتمام بدراسة الهجرة الدولية اهتمام حديث العهد نسبيا فقـــد قامت الدول منذ البداية القرن العشرين في عمل سجلات منظمة للهجرة ٠

الدوافع التي تؤدى إلى الهجرة :

(١)عوامل الجذب :

يذكر البعض أن الهجرة (بصفة عامة) تتوقف على ثلاث عوامل تنحصر في عوامل الطرد والجذب والمسافة بين البيئتين ومن بين عوامل الجذب تتضمن الرغبة في الرخاء والثروة والمهنة المناسبة وطريقة حياة مستقرة والبحث عن الحرية الدينية والسياسية أما عامل المسافة الذي يتدخل في الهجرة الداخلية فيشير إلى انه كلما كانت الدولة كبيرة المساحة متعددة الأقاليم متباينة في احوالها الجغرافية كلما ساعد هذا على ازدياد حجم الهجرات الداخلية كما أن تقدم وسائل المواصلات والنقل وقصر المسافة لا يمكن اغفالها بل أن الزيادة الطبيعية (المحدودة) للسكان في المدن مما يؤدى إلى جذب المهاجرين بينما يلعب العامل الاقتصادي دورا هاما فيما يعرف بعوامل الطرد من الريف وعوامل الجذب إلى المدينة (٣)

ويذكر أوجبرن ونيمكوف Ogburn & Nimkoff أن العوامل المؤدية للهجرة يمكن ايجازها في مصطلحات الطرد والجذب ووسائل الترحال وان جاذبية السكن الجديد قد يكون اعظم فاعلية من عدم الرضا عن القديم كما تعتمد سرعة التحرك على التكنولوجيا ووسائل المواصلات المتوفرة ·

ويذكر ابراهام وينبرج Weinberg (٣) أن اختيار المهاجرين لمنطقة الجذب يرتبط أساسا بالضغط الاقتصادي الموطن الاصل والجذب الاقتصادي للمجتمع الذي يهاجرون اليه ، وهو يؤكد بدوره أن الشباب الذين تتوفر لديهم قدرات عاليه ونالوا درجة من التعليم تجذبهم المهن الموجودة بالمدن الكبرى كما أن الوضع الاقتصادي يؤثر ليس فقط في كم الهجرة – كما يذكر ستوفر

Stouffer وغيره من الباحثين – بل في خصائصها ووظيفتها كذلك هو يقرر أن الهجرة الاختيارية تتم عندما يترك الناس اوطانهم دون اكراه من الخارج كما يذكر وينبرج كذلك بعض تصنيفات للهجرة يقوم أساس التفرقـــة بينـها علـى الاراده طلقة للمهاجر ولكنه يختلف مع Eisonstadt الذي يقرر أن كل حركة للـهجرة اساسها شعور الشخص بنوع من عدم الاطمئنان (عدم كفاية) لوضعه الاجتماعي ويرى Weinberg انه ينبغي أن نميز بيـن الشـعور بعـدم الاطمئنـان خشـية المستقبل وما يتهدد الشخص اقتصاديا أو سياسيا من مخاطر .

ويقرر L. Smith أن أي هجرة من القرية إلى المدينة يبدو الهدف منها الحصول على حياة افضل ويذكر أن اهمية الهجرة الريفية إلـــى الحضـر خـلال النصف الثاني من القرن العشرين لا تقارن باى حقبة أخري في تاريخ الإنســانية وقد خرج من دراسة للهجرة الريفية – الحضرية فــي أمريكـا اللاتينيــة بــان التغيرات الاجتماعية المتسعة التي حدثت بها تعتبر عوامل أو قوى مسئولة عـــن الاحداث الكبرى الجارية وانها بدورها محصلة للهجرة الريفية إلى الحضر .

اتضح من دراسة المهاجرين إلى مدينـــة Greensboro أن الاســباب الرئيسية للهجرة إلى المدينة (اقتصادية) وعلى سبيل المثال فقد نزح ٤٥ % من الذكور (بقصد الحصول على عمل) أي للتمتع بفرص اقتصادية افضـــل ، ١٧% لتعبير مهنهم .. الخ ..

وقد ظهر أن الفرص الاقتصادية في المدينة تلعب الدور الأول في جـــذب المهاجرين يليها جاذبية المدينة نفسها .

أما إلكان W. Elkan فيذكر عن الهجرة العمالية في افريقيا اهمية العامل الاقتصادي ، ولكن الهجرة العمالية المؤقته هى المشكلة الأساسية في النظام الصناعى في أفريقيا وليس لها نظير في أوروبا وامريكا فالعمال من ناحية لا يأخذون تدريبا كافيا باعتبارهم مؤقتين ، ومن ناحية أخري يترتب على نزوح اعداد كبيرة منهم من الحقول إلى تأخر الزراعة في الريف غير أن الاجور في المدينة كما يقرر Elkan ليست كافية وحدها لجنب المهاجر لاكثر من سنة أو سنتين والاحوال البيئية السائدة في المدينة وعدم الاطمئنان يوضح السبب في حضور الشبان فقط واحجام الرجال عن احضار زوجاتهم وعائلتهم فالارض قد تكفى بصعوبة معيشة العائلة في القرية والمهاجر الافريقى لا تنقطع مساعدته لاهله في القرية إذا كان مهاجرا ناجحا كما أن الروابط بالاخرين والحياة الزوجيه المستقرة في المدينة تظهر مدى نجاحه في الاستقرار بها (أي أن عوامل الطرد تلعب الدور الرئيسى في هذا المجال) ٠

٢ - عوامل الطرد :

ويعنى بها المقومات والاسباب التي من المحتمل أن تؤدى إلى حفز الأشخاص القادرين على الهجرة إلى الداخل أو الخارج ففى الهجرة الداخلية يمكن ملاحظة تأخر الريف وفقره فزيادة معدلات السكان وضآلة الأراضي الزراعية تقل بالتالى فرص العمل المتاحه كما أن حدوث بعض الكوارث مثل السيول والفيضانات تؤدى إلى هجرة الريفيين وسكان المدن الصغيرة إلى المدن الكبرى٠

أضف إلى ذلك الهرب من أصحاب النفوذ والرغبة في التحرر من سيطرة الوالدين أو الرغبة في تغيير نمط الحياة ، وانخفاض مستوى المعيشة في القرية ،

ونقص اوجه النشاط الاقتصادي بها مما يضطر أصحاب الاعمال للنزوح للحضر(١) ٠

وقد اتضح من دراسة الهجرة إلى فريتون أن الشخص قد يهاجر هربا من الضرائب كما انه قد يفكر في العودة إذا حدث أن توفى احد اقربائه بالقرية وانه يندر أن يهاجر الشخص من قرية إلى أخري حيث يصعب عليه الحصول على ارض زراعية في القرية الجديدة ، وقد فشلت الزراعة في ارضاء طموح الجيل الجديد من شباب سيراليون ، واصبحت المشكلة الأساسية أن تفلح الزراعة في جذب الجيل الحديد من صغار السن للاشتغال بها كما أن الأسرة والقبيلة تقف في وجه المهاجر الذي ينزح عادة وراء الثروة والتعليم (١) ٠

ويمكننا أن نقرر بانه إذا كانت الاضطهادات السياسية والدينية من العوامل الهامة في الهجرة في القرون الغابرة فان العامل الاقتصادي قد ساد على العوامل الأخرى في القرنين التاسع عشر والعشرين كما أن العوامل الاقتصادية والسياسية كذلك تلعب دورا هاما في الهجرة الدولية بصفة عامة ٠

وقد أوضح G. Sjoberg (٤) كذلك أن القروى القادم إلى المدينة يميل إلى الحياة في المدينة في مجتمعات محليه تضم اشخاصا يشبهونه في ظروفه الاجتماعيه وان الشخص قد يهاجر من القرية لوجود روابط تربطه باشخاص سبقوه في الهجرة منها ، كما أن المسح الاجتماعي الذي اجرى في مدينة Jamshedpeur بالهند قد اوضح اهمية العلاقات الشخصية في حركة الهجرة من الريف إلى الحضر ويؤدى التصنيع في بعض المناطق إلى جذب المهاجرين للاشتغال بها (وافضل الامثلة على ذلك القاهرة والإسكندرية والمحلة الكبرى

وكفر الزيات ٠٠٠ الخ)، وكذلك يؤدى التقدم التجارى لبعض المدن إلى جـــذب المهاجرين اليها ويمكن تصنيف الهجرة الإنسانية إلى : هجـــرة دوليـــة واخـــرى داخلية ٠

<u>أولا : الهجـــرة الدوليــــــة :</u>

يذكر تومسون (٥) أن الحروب تلعب دورا هاما في الهجرة الدولية كمـــا يشارك معظم العلماء الرأى في أن الدافع الاقتصادي هو اهم الدوافع المؤدية إلـــى الهجرة مع التسليم بوجود دوافع أخري كالاضطهاد السياسى والدينـــى والاعبـــاء الأسرية والشخصية ولكنها اقل في درجة تأثيرها على المهاجرين ٠

وهو يذكر في مؤلفة عن " مشكلات " السكان " انه خلال المدة مـــن عـــام ١٧٩٠ / ١٨١٩ دخل الولايات المتحدة الامريكية حوالي ٨٠٠٠ شـــــخص وفـــى ١٨٢٠ / ١٨٦١ وصل اليها حوالي ٤٢ مليون نسمه ٠

أما في الصين فيذكر أن عدد المهاجرين منها إلى الفلبين واندونيســـيا والملايو وكمبوديا وتايلاند وجنوب شرقى آســـيا والامريكتيـــن يقـــدرون بنحـــو ٨,١٧٩,٠٠٠ شخص ٠

وفى الهند يذكر تومسون كذلك أن الهجرة منها قبل الحرب الثانية كـــانت اقل بكثير من الصين ، وبمقدم الكساد في عام ١٩٣٠ حدثت حركة عودة قويه في وقت التقسيم (١٩٤٧ وما بعدها) وهى تحركات هامه كان لـــها بـــالفعل تـــأثير جوهرى في توزيع الهندوس والمسلمين بها بصفة عامة ٠٠

وفى اليابان كانت مغادرة البلاد تعد جريمة لا تغتفر ثم خفت وطأة القيود وبدأت حركة الهجرة إلى الولايات المتحدة في سـنة ١٨٨٥ وفـى عـام ١٩٤٠ تراوح عدد المهاجرين بين ١,٧ و ١,٨ مليون مهاجر وقـد ذكـر تومسـون أن هؤلاء جميعا – باستثناء المقيمين منهم في الولايات المتحدة والـبرازيل والبـالغ عددهم حوالي ٥٠٠,٠٠٠ رحلوا إلى وطنهم بعد الحرب ٠

وفى كوريا قدر عدد الذين يعيشون خارجها في عام ى١٩٤٠ بـــ ٢,٥ مليون نسمة وقد عاد معظمهم بعد نهاية الحرب ٠

امما الهجرات الاجبارية الحديثة فتدخل في غمارها – كما يذكر تومسـون في مؤلفه السابق الاشاره اليه – محاولة هتلر لانشاء امبراطورية المانية كـبرى يتركز فيها جميع السكان في الاصل الالماني ممن يعيشون فـي أوروبـا وكـانوا يشكلون ٥ إلى ٧ ملايين يعيشون في نحو ١٢ دولة وقد بدأ هتلر محاولته باتفـاق عقده مع ستالين عام ١٩٣٩ بعد غزو بولندا وفى عام ١٩٤١ نقل اعدادا أخـري من السكان إلى بولندا واكرانيا ، وبعد الهزيمة التي منيت بها المانيا فر عدد كبير من هؤلاء السكان إلى المانيا الغربية والوسطى والامريكتين واستراليا ٠

ويرى بعض المتخصصين في الجغرافيا البشرية أن الهجرات الاوروبيـة إلى العالم الجديد في القرنين التاسع عشر والعشرين تختلف عنها فـي القـرون السابقة في مظاهر ثلاثة هى :

أولا : عوامل اجتذاب المهاجرين ٠

ثانيا : حجم الهجرة ٠

ثالثا : مناطق ارسال المهاجرين ٠

ففى القرون الأولى كانت الاضطهادات السياسية والدينيه مـن العوامـل الهامة في الهجرة أما في القرنين التاسع عشـر والعشـرين فقـد سـاد العـامل الاقتصادي على العوامل الأخرى ۰ أما من حيث حجم الهجرة فقد اخذت موجـات الهجرة تتزايد تدريجيا ويتمشى هذا مع تقدم وسائل المواصلات ۰

ويميز كرك D. Kirk على سبيل المثال بين تيارين من تيارات الـهجرة فيما وراء البحار ، أو ما يسمى بالهجرات المبكرة والمتأخرة (٦) ۰

ويذكر وارين تومسون انه من المحتمل أن تكون الدوافع إلى الهجرة لـم تختلف إلا قليلا - بصفة عامه - من عصر إلى عصر وان الدافع الاقتصـادي يرجح أن يكون اقوى الدوافع في جميع العصور وتبدو الدوافع الأخرى وفقا لذلـك اقل اهمية ۰

<u>التيارات الرئيسية للهجرة في الوطن العربي منذ نهاية القرن ١٩ :</u>

يمكن استخلاص ميزتين رئيسيتين للهجرة في الوطن العربي : أولـهما : أن بعض القطاعات استهدفت لهجرات من الخارج بصور منظمه ومقصوده كـانت اقرب للعدوان المستتر والاستعمار التدريجي منها للسعى الاقتصادي ويظهر هـذا جليا في فلسطين والجزائر ومصر منذ اواخر القرن التاسع عشـر وحتـى اوائـل القرن العشرين والثانية هجرة اعداد كبيرة من بلاد الشام إلى الخارج وبخاصة إلى الامريكتين ، وتصنف تيارات الهجرة الخارجية إلى ثلاث :
الهجرة إلى فلسطين ، والهجرة إلى الجزائر ، والهجرة من الشام وكـان لـنزوح السلالات العربية من مواطنها الأصلية في الجزيرة العربية إلى أفريقيا واختلاطـهم بالسكان الأصليين اثره الواضح في نقل الملامح العربية للسكان ، ففى السـودان

تأثرت قبيلة البجه بمن جاورها من عرب الكواهلة من طريق لانسب ، وكذلك الامر بالنسبة للزنوج والبربر في شمال افريقيه ، ولم يمضى وقت طويل حتى امتزجت تلك السلالات العربية بدورها مع سكان البلاد النازحة اليها .

وهكذا (تطبع) العرب ايضا بعد استقرارهم في هذه الجهات بعادات اهلها وتقاليدهم بل تعدى هذا الاثر إلى التغلغل الثقافى والانتوجرافى في شعوب افريقية التي تمثلها ،لان القوميات المتبلوره في نيجيريا وغانا والكميرون وساحل العاج بالاضافة إلى انتشار الاسلام في غانا وغينيا وسنغاى وبورتو وسياده فن العمارة العربي في مدن مثل تمبكتو ودكار وابسنن التي تظهر كأنها مدن عربية في اثارها وقصورها واسواقها ودور العلم بها .

وقد ساعد على هذه الهجرات – جذب البيئة فالمناطق المجدبة في شبه الجزيرة العربية ظلت تطرد الموجات البشرية إلى اطراف الجزيرة كالشام واليمن وعمان ومنها هاجرت هذه الموجات إلى السهول الخصبة فى العراق وسوريا ووادى النيل واريتيريا ، كما أن هناك عدة عوامل أخري مساعدة منها اشتغال كثير من القبائل العربية بالتجارة واتصالها بافريقيا وآسيا واوروبا ، والسعى لنشر الدعوة الإسلامية ، علاوة على قيام الحروب الداخلية كذلك بين هذه وتلك الدول ، كما أن الجزيرة العربية بدورها تلامس الساحل الشرقى إلى العراق وفى الشمال الغربي إلى الشام ، وقد كانت اليمن مصدرا لهجرات عديدة إلى اعالى النيل الازرق وعطبره والحبشة وسواحل السودان الشرقية .

والهجرة العربية إلى (مصر) قد اتخذت بدورها فى بعض الاحيان مظهرا سلبيا مثل هجرة الكنعانيين إلى شرق الدلتا ، وهجرة الدوميين ، وهجرة

الاسماعيليين وهجرة اليهود وهجـرة البنطيين كمـا اتخـذت موقـف الغـزو والاستعمار كالهكسوس ، والغزو العربي ، هجـرات البـدو ، القبـائل اليمينيـه والكهلانيه ، أما بعد انتشار الاسلام فقد ظلت القبائل العربية تـهاجر إلـى مصـر خلال الحقب المتباينة ففى عهد الخلفاء الراشدين هاجر كثير من القبائل القرشـية وفى العهد الاموى والعباسى هاجر اليها كذلك الكثير من القبائل وكذلك الامر فـي عصر الفاطميين والايوبيين ، ومن القبائل العربية التي استقرت في مصر قبيلـة جذام في الغربية وقبائل بنى هلال وبنى جهينة والانصار في الوجه القبلي .

ويقدر ما استطاعت مصر أن تهضم الغزاة من فرس ويونـان ورومـان وعرب بقدر ما نقل لها الفاتحون تراثهم الثقافى والحضارات الروحى كذلـك مـن جهة أخري .

<u>ونوجز هنا التيارات الأساسية الهجرة في الوطن العربي خلال القرن التاسـع عشر ومطلع القرن الحالي :</u>

<u>أ) هجرة اليهود إلى فلسطين :</u>

وقد اتخذت اسلوبا منظما اعتبارا من اواخر القرن التاسع عشر ووصـل عدد اليهود إلى ٢٤,٠٠٠ مستوطن عام ١٨٨٢ وارتفع العدد إلى ٨٥,٠٠٠ فـي سنة ١٩١٤ وحينما قامت الحرب الأولى نفت السـلطات التركيـة الحاكمـة فـي فلسطين عددا كبير من اليهود المَشتبه فيهم فتناقص عدد اليـهود ، وفـي عـام ١٩١٩ وحتى عام ١٩٣٣ هاجر ما يقرب من ٣٥,٠٠٠ شخصا ثم هـاجر ابـان الحكم النازى حوالي ٢٢٥,٠٠٠ مهاجر إلى فلسطين وهكذا زاد معدل الهجرة إلـى فلسطين وخاصة بعد حرب ١٩٤٨ وما لبثت الهجرة أن ضعفـت لضيـق الرقعـة

الزراعية وخاصة بعد سنة ١٩٥٢ ولكن مما لا شك فيه أن اسرائيل ظلت تشجع هجرة المرتزقة اليها لدعم موقفها السياسى في المنطقة .

ب - الهجرة إلى الجزائر :

المتتبع لتيار الهجرة الاوروبية للجزائر يلاحظ أن هذا التيار بلغ اشده في المدة ما بين ١٨٧٠ ، ١٩٠٠ وكان اغلب المهاجرين من اللاجئين الفرنسيين من مقاطعتى الالزاس واللورين في أعقاب الحرب السبعينية إذ كانت الجزائر اولى بلاد المغرب العربي التي ابتليت بالاستعمار الغربي سنة ١٨٣٠ وقد مهدت سلطات الاحتلال - بما اولت المستوطنين الاوبيين من رعايا ، وتسهيلات لزيادة عدد الوافدين اليها حيث بلغ عدد الاوروبيين في الجزائر عام ١٩٥٣ نحو مليون شخص .

جـ - الهجرة الخارجية من الشام :

فيما بين سنتى ١٨٦٠ ، ١٨٩٠ كانت وفود المهاجرين من الشام تتجه إلى مصر وما لبث هذا التيار أن اتجه إلى أمريكا الشماليه . بحافز تحسين مستوى المعيشة وقد ضعف هذا التيار بعد الحرب الأولى ، وفى العشرينيات تدفق سيل المهاجرين إلى الولايات المتحدة حتى سنة ١٩٣٥ حين اتجه هذا التيار إلى الدول الأفريقية كالسنغال ، وغينيا ، والسودان الفرنسى وارتيريا من جهة وامريكا الوسطى وفرنسا من جهة أخري - أما الموارنة فكانوا - لاسباب ثقافيه - اكثر اقبالا على الهجرة من المسلمين .

والملاحظ لخريطة الهجرة يمكنه أن يتتبع كذلــك تيــارا اخــر للــهجرة الاوروبيه في مراكش وتونس (بوجه خاص) ومعظم المــهاجرين اليــهما مــن الفرنسيين والايطاليين في النصف الأول من هذا القرن .

وبالنسبة لمصر فقد اطرد وفود الاجانب مصر حتى عام ١٩٢٧ واخذ فــي التناقص التدريجي بعد عام ١٩٢٧ ففى عــام ١٩٢٧ بلــغ عددهــم ٢٢٥.٦٠٠ شخص وفى عام ١٩٤٧ ١٤٥,٩١٥ شخص ، وكانت الجالية اليونانية هى اكــبر الجاليات في مصر وحتى الخمسينيات من القرن الحالي ، واما الهجرة إلى الخارج فلم تكن بذى قيمة تذكر (١) إذا استثنينا تيار الهجرة للخارج الــذي تزايــد فــي السنوات الاخيرة للدول البتروليــــة .

ثانيا : الهجـــرة الداخليـــــة :

أن اسباب الهجرة الداخلية (الانتقال داخل حدود الدولة) ، لا تكاد تختلف كثيرا عن تلك المتعلقه بالهجرة الدولية غير انه من المحتمل أن يكــون للدوافــع الشخصية ذات الصبغة غير الاقتصادية دورا فعالا في الهجرة الداخليــة علــى أن ندرة الإحصاءات علاوة على نقصها وعدم دقتها تشكل احدى الصعوبات دراســـة الهجرة ولعل ابرز أشكال الهجرة الداخلية هى :

[١] الهجرة من الحضر إلى الحضر .

[٢] الهجرة من المناطق الصحراوية (البادية) إلى الحضر .

[٣] الهجرة من الريف إلى المدن .

ولا شك أن الهجرة الريفية إلى الحضر تلعب دورا هاما في توزيع السكان كما أن الحياة الحضرية تؤثر بدورها في العلاقات الاجتماعية واســلوب معيشــة

السكان فالجيل الذي يهاجر إلى المدينة بنفسه قد يظل محتفظا بالرواسب الريفية إلى حد ما الامر الذي يجعل من المدينة نموذجا معقدا من المناطق المتخصصة داخل بناء ايكولوجى اكثر عموما (٧) ٠

وغنى عن القول أن هناك ضروره لاختبار هل اصبح المهاجر القروى مواطنا حضريا ام مازال يتمسك بالسلوك القروى التقليدى ؟ وبمقتضى هذا الفهم يركز معظم الانثروبولوجيين اهتمامهم على التغيير الذي يطرأ على البناء الاجتماعي للمهاجرين من ناحية والتغير الذي يطرأ على انماطهم السلوكية وقيمهم الاجتماعية من ناحية أخري ٠

يذكر سوثال Southall (٨) أن نمو المدن (كمحطات للوصول) وازدياد حجم العمالة بما يبرز اهمية الهجرة وان التغييرات الأساسية في العلاقات الاجتماعية والمراكز والادوار لم تدرس بعد كما ينبغي والمدينة بهذا المدلول تعد مراكز للتغير الاجتماعي الذي يمكن ملاحظته عن طريق دراسة الجماعات الصغيرة وجماعات الجيرة " وشبكة " العلاقات الاجتماعية ٠

ويبدو أن الهجرة الداخلية تختلف عن الهجرة الدولية في عدة نواح فهى عادة اقل تكلفة فضلا عن أن مشاكل الخروج والدخول من دولة إلى أخري لا تعترض المهاجر أو مشكلة اختلاف اللغة كما أن تيارات الهجرة الداخلية متقابلة وتأخذ اتجاهات عكسية بمعنى أن مناطق الطرد البشرى تجذب في الوقت نفسه المهاجرين وبالعكس وهذا يعنى أن الهجرات الداخلية تتميز بضخامة الهجرة الكلية Cross Migraticn بينما تكون الهجرة الصافية Net migration محدودة ٠

ولذا يشير دنكان Duncan وريز Reiss إلى أن دور المدن الكبرى في جذب المهاجرين من المسافات البعيدة اكثر منها بالنسبة للمدن الصغيرة ويميز غلاب وعبد الحكيم (٢) التيارات الرئيسية للهجرة الداخلية في العالم في مؤلفهما السابق الإشارة اليه في الستينيات ففى بريطانيا يوجد تيار من الشمال للجنوب للهجرة من الريف إلى المدن ، وفى المانيا وجد تيار واضح للهجرة من الشرق الزراعى إلى الغرب الصناعى كما استمرت الهجرة الداخلية بعد الحرب نظرا للظروف السياسية أما في آسيا فقد ظهر تيار للهجرة من الصين إلى منشوريا ومازال هذا التيار مستمرا ، وفى الهند وجد تيار لهجرة الذكور من الغرب إلى الشمال الشرقي ، وتيار آخر لهجرة النساء من الشرق إلى الغرب .

وفى الاتحاد السوفيتي ظهر تيار ضخم للهجرة – من الغرب إلى الشرق – من روسيا الاوروبيه إلى آسيا السوفيتيه عبر جبال اورال وقد بدأ هذا التيار منذ اواخر القرن الماضى واستمر حتى الحرب الأولى ، وقد اخذت الحكومة بعد الثورة البلشفية تعمل على اعادة توزيع السكان في الاتحاد السوفيتي وتهجيرهم ولكنها لم تصادف نجاحا في هذا المضمار إلا منذ ١٩٢٩ .

<u>اثر الهجرة الريفية إلى الحضر :</u>

من المسلم به أن تركيب السكان من ريفيين وحضريين يحظى باهتمام الدارسين في علم السكان والعلوم الإنسانية عامة ، حيث تجد أن الهجرة الداخلية بين الريف والحضر تؤدى إلى زيادة نسبة الإناث على الذكور في بعض المدن ذات الصناعات الخفيفة التي تجذب الإناث اليها من الريف أو زيادة نسبة الذكور في بعض المدن ذات الصناعات الثقيلة بل أن زيادة نسبة سكان الحضر على حساب سكان الريف يعتبر عاملا سكانيا هاما من ناحية علاقة التحضر بالخصوبة

ومن المهم أن نذكر أن الحضرية نفسها لا يحددها مجرد السكنى في القريـــة أو المدينة بل اختلاف القيم وانتشار وسائل الترفيه وانواع المهن الموجودة (٩) .

كما أن تزايد سكان المناطق الحضرية وعلى الاخص بسبب الاخذ بنظـــام الزراعة الاليه في بعض الدول وكان نتيجة لتوفير الايدى العاملة التي اخذت تـنزح للمدن بحثا عن العمل علاوة على تمتع المدن في العصور الحديثة بخاصة جـــذب قوية من اجل هذا تصبح دراسة الهجرة الحضرية ضرورة ملحة لمواجهة المشاكل المترتبة على الهجرة المتزايدة ، ويذكر علماء الاجتماع بعض هذه الاثـــار ومـــن امثلتها :

[١] تتميز العلاقات بين الأشخاص بانها ذات طابع سطحى في اغلب الاحيان .

[٢] بزيادة سكان المدينة تزداد الخدمات بـــها فتصبـــح بدورهـــا اكـــثر جذبـــا للمهاجرين ، أما اثر المدينة فيبدو اكثر وضوحا بالنسبة للجيل الثاني مـــن المهاجرين (أما الجيل الأول فيحتفظ بالرواسب الريفية إلى حـــد مـــا) ولا تتوقف الحضرية على عدد السكان بل على شيوع المميزات الحضرية كمـــا انه من ناحية أخري لا يلزم أن تكون المناطق الحضرية منـــاطق صناعيـــة بالضرورة .

[٣] أن ازدياد تدفق الهجرة الريفية إلى الحضر يضطر الدول بمرور الوقت إلـــى ادخال بعض أساليب الحياة الحضرية إلى المناطق الريفية للحد من تيـــارات الهجرة منها .

[٤] تشيع في المدينة المسئولية الفردية والحراك الرأسى ، والافقى ، فالمدينـــة تشجع الفردية وتتشعب فيها علاقات الأشـــخاص مـــع جماعـــات وهيئـــات مختلفة عوض الاقتصار على إطار العائلة ومجتمع القرية المحـــدودة كمـــا

يتمتع الأشخاص بمرونة الحـــراك الرأســـى – الافقـــى داخـــل المنـــاطق الحضرية.

[٥] أن عوامل التغير الاجتماعي السريع في الحضر تفرض على سكان المدينـــة سرعة التوافق معها كما أن الطبقات في المدينةلا تقوم على الوراثه بل هى طبقات مفتوحة تتسع علاقات الأشخاص فيها بالمرونة للمواقف المختلفـــة ويقل ويضعف الاهتمام بالقيم والتقاليد التي وتسود في المجتمع الريفـــى ، حيث يزداد اثر البيئة (الريفية) على الإنسان ويغلب التجانس والاعتمـــاد على الطبيعة بينما تمثل الحضرية طريقة متميزه للحياه .

[٦] يسود في المدينة عادة التخصص وتعقد الحياة الحضرية كما يـــزداد حجـــم السوق ويزداد الاهتمام بالتخطيط وتسود غالبا الحرية فـــي العلاقـــة بيـــن (الجنسين) وهكذا تصبح المدينة نموذجا معقدا من المجتمعـــات المحليـــة داخل بناء ايكولوجى اكثر عاما داخل المجتمع القومى .

ويتفق Lee , Kuznets , Thomas , Stone في أن الهجرة تـــؤدى إلى العديد من المشاكل الاجتماعية وترتبط بـــالظروف الاجتماعيـــة والاقتصاديـــة الوثيقة الصلة بالتغيرات في البناء الاجتماعي والاقتصادي وبالتغيرات التكنولوجية وترتبط بالميكانزيمات الأساسية للتوافق بصفة عامه فالهجرة تؤثر على الأوضـــاع السكانية والاجتماعية والاقتصادية فتسيطر على نموها وعلى سيرها كذلك نتيجـــة لظهور مشكلات اجتماعية واقتصادية . بعينها .

ويتفق Kuznets & Stone في انه ليســـت كـــل الـــهجرات الداخليـــة بالضرورة استجابة لظروف اقتصادية ولكن مضمون الهجرة يشـــير إلـــى اهميـــة العلاقة بين اعادة توزيع السكان والتطور الاقتصادي .

والهجرة كذلك تؤدى إلى آثار هامه فهى – كما ذكرنا اداة للتغير الثقافى ونشر أنماط السلوك الجديدة – وبنظرة وظيفية – تصبح مجال اهتمام الدارسين للتغير الاجتماعي في المجتمعات المحلية ، فهى تساهم في التغيرات السكانية وفى التغيرات الاقتصادية والاجتماعية الهامة في المجتمعات الصغيرة الحجم .

ويذكر جلوكمان Gluckman اهمية العامل الاقتصادي في الهجرة ولكنه يبرز اهمية القرابة في تشجيع المهاجر القبلي على النزوح للمدينة حيث تختلف أنماط المعيشة الحضرية عنها في المنطقة النزوح إذ (يمشى) المهاجر على ارض مختلفة ويأكل الطعام في مواعيده ويقع تحت سيطرة سلطات مختلفة ويتحد باقران مختلفين ويشغل بادوات مختلفة في نسق مختلف من التنظيم فالمهاجر الأفريقى برغم بعده عن القبيلة فهو ليس بمنأى عن سلطتها .

كما يذكر Hanna عن الهجرة الحضرية في أفريقيا أن اهم العوامل التي جذبت المهاجرين إلى المدن رغبة المهاجرين في تحسين اوضاعهم الاقتصادية وجاذبية المدينة ولكنه يتفق مع Gutkind في انه من العسير أن نختار أي العوامل منفردة تؤدى إلى هجرة المكان بل أن الدوافع مركبة كما يذكر W, Derkolp اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية أو كما يقرر Mitchell أن العوامل الاقتصادية هامة ولكنها غير كافية لتفسير ظاهرة الهجرة التي تتدخل فيها عوامل اجتماعية وسيكولوجية كذلك ويذكر المؤلفان أن ما يخفف من أثار الهجرة الاتصال المستمر بين المهاجرين وبيئاتهم الأصلية كما في بعض اجزاء أفريقيا يرسل الآباء ابناؤهم لمواطنهم الأصلية الريفية بقصد اعدادهم اعدادا (طيبا) غير أن الأولاد بدورهم لا يتلقون اعدادا حضريا في المدينة لوجود الام التقليدية الموجهة ريفيا والتي لم تصقل خبرتها الحضرية .

ومن ثم فان التوافق للمعيشة الحضرية لا يشكل صعوبة بالنسبة لكل الافريقيين إذ لا يتضمن بالضرورة نبذا للقبلية أو تغيير دائم في الخبرات العملية فقد اقترب البون الذي كان قائما بين المعيشة الحضرية والريفية ولكن التغيير الاجتماعي يقف وراء الفروق الريفية الحضرية حين يتمسك المهاجر بالمعايير التقليدية الريفية الموروثه عبر الاجيال ويصطدم بمعايير البيئة الحضرية بعد نزوحه من القرية ، ويذكر ميشيل Mitchell في مقال هام عن الهجرة الافريقية بعنوان العمل والتحركات السكانية أن المنفعة متبادلة بين الرجل القبلي – في حاجته إلى المال – وصاحب المصنع – الذي يحتاج اليه ويقوم بتشغيله بالرغم من انها علاقة (وقتيه) أما (العلاقة) بين المهاجر وذويه فلا تنقطع فهو ينتقل (دوريا) بين البيئة القبلية والصناعية في مدة تتراوح بين كل عدة شهور وعدة سنوات ، ويرى العادلى أن مدة الهجرة والاقامة الدائمة في المدينة يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تحليل أي ظاهرة تخص المهاجرين حيث انه لا يمكن أن نفترض تحصر المهاجر لمجرد معيشته في مدينة وقد تعرض سوثال لتغيير المعايير وشبكة العلاقات الاجتماعية ، ولكنه يلفت النظر إلى اهمية ملاحظة سرعة التغيير في الأشخاص انفسهم ،

ذكرت بعض الدراسات – عن ظاهرة الهجرة – انه من الواضح (بصفة عامة) فيما يتعلق بالتحضر في أفريقيا أن القيم والعادات والمعتقدات المرتبطة ببعض أساسات البناء الاجتماعي تتغير ببطيء عن تغير البناء نفسه والاحوال السائدة تبرهن على هذه الحقيقة فان وجود عدد كبير من المهاجرين المعمرين في المدينة يدعم باستمرار المعتقدات التقليدية والعادات عوضا عن أن تفقد مدلولاتها البنائية في المدينة ،

ويذكر اندرسون Anderson انه لا يعسر اليوم أن نجد سلوكا حضريا في المناطق الريفية وخصائص ريفيه لدى الأشخاص والجماعات في المناطق الحضرية ويورد رأى R. Konig أن التحضر هو المشكلة الرئيسية في التغير الثقافى بوجه علم وان المدينة والقرية تتغيران في البناء والوظيفة وبذيوع التقدم التكنولوجى في مجال الزراعة وسهولة النقل والمواصلات ترتفع كذلك معدلات الهجرة إلى المراكز الحضرية وتتجه السياسة العمرانية في المدينة اليوم إلى توفير بعض المميزات الريفية في المدينة كالحدائق ، وهناك تأثير متبادل للقيم الحضرية والريفية يمكن ملاحظته ، قد شاع الامتزاج الثقافى والاجتماعي في مناطق ريفيه وحضريه يطلق عليها علماء الاجتماع Garden cities ويوصى اندرسون بانه ينبغي أن تأخذ في الاعتبار الخاصية الدينامية للتحضر ذاته .

ويقرر جورج وباركى (١٠) أن آثار الهجرة قد تكون سريعة جدا إذا انتقل ملايين الأشخاص خلال مدة وجيزة إذ تقترن الهجرة بالتغيرات الاجتماعية الكبرى والتقلبات الاقتصادية والاحداث القومية الهامه وهو يعترف بصعوبة دراسة الهجرة الداخلية وعدم دقة الإحصاءات الموجودة كما يوصى باعداد استقصاءات اجتماعية باختيار عينات - يمكن دراستها - من المهاجرين للحصول على صورة شاملة عن الموطن الاصلى والتحركات الوسيطية ومدة الاقامه في منطقة الجذب ... الخ .

ويطرح باركلى عددا من القضايا المتعلقة بالهجرة التي يمكن ابرازها في هذا المجال إذ أن التوزيع (المتغير) للاشخاص يعنى توزيع انشطتهم وبذلك يرتبط بانواع كثيرة من التغيير الاجتماعي والاقتصادي والفنى . كما يلفت النظر إلى أن هناك مظهرين من مظاهر توزيع السكان ينالا اهتماما خاصا وهما الاهتمام

العالمي نحو ازدياد النمو الحضرى والتغييرات في التركيب السكانى ، فالهجرة تؤدى إلى تغير تركيب السكان حيث تتصف بالانتقاء ، وهى تتحيز لفئات معينة من الأشخاص تمثل بدورها عناصر تستبعد من المجتمع المهاجر منه وتضاف إلى المجتمع المهاجر اليه ٠

ومن الملاحظ أن جداول التعداد لا تفصل بين فئات المهاجرين وغيرهم فتصبح الفئات غير واضحة لوجود روابط المصاهرة مع غير المهاجرين ، ويتغير التركيب العمرى إذا اضيف المهاجرين مع ابنائهم وامهاتهم ويحتفظ المهاجرون لمدد طويلة بخصائصهم المتميزة كذلك في المعيشة واللغة التعليم والتركيب العمرى ٠

ويشير باركلى إلى اهمية الهجرة الريفية إلى الحضر في الوقت الحاضر لذا يوصى بدراسة الاماكن الاهله بالمهاجرين وأماكن الجذب واثار الهجرة على تركيب السكان في المدينة واتجاه المهاجرين إلى طريقة حياة متحضرة وهو يقرر أن ثمة اقبال للذكور على الهجرة إلى المدينة في المراحل المبكرة للنمو الحضرى ومتى وصل المجتمع إلى درجة كبيرة من التحضر تصبح غالبية التحركات من مدينة إلى مدينة ، هذا علاوة على أن حركه المهاجرين للعودة إلى قراهم أو المدن الصغرى التي نزحوا منها (أى بيائتهم الأصلية) لا تكشف عنها معظم الدراسات ٠

وهناك بعض التغيرات التي تحدث في طبائع وعادات وطرق معيشة المهاجرين الريفيين ابان تكيفهم مع اوجه الحياة الحضرية حيث يعيش القروى مع اقاربه أو (بلدياته) سبقوه في الهجرة إلى المدينة ومن ثم يعتاد على العمل

وتناول الطعام والراحة في مواعيد معينه ويقبل النظم الصحيه ونظام المواصلات والازدحام والضجيج ولكنه (يحن) في الوقت نفسه إلى حياة القرية كما أن الجمعيات الممثلة للقرية في المدينة تؤدى خدمات متعددة للمهاجر (ازاء وجوده بالمدينة) ٠

وقد تعرضت الدراسات الاجتماعية والايكولوجية في السنوات الاخيرة لمشاكل التوزيع السكاني وابرزت حقائق عدة من بينها : أن الهجرة الريفية إلى المدينة وضغط المهاجرين على الخدمات الموجودة بها تؤدى إلى عدم كفايتها ٠ وان المهاجر يتعرض لتفكك علاقاته التقليدية ويبدأ عادة في التكيف والتوافق مع الحياة الحضرية ، كما أن التفكك بدوره يرجع لعوامل عديدة منها اتساع نطاق تقسيم العمل والتخصص واتساع نطاق الخدمات بسبب ازدياد النمو الحضرى واتساع دائرة المناطق المتخلفة في المدينة والتي يلجأ اليها المهاجرون عادة في اوائل فترات اقامتم بها ويزداد احتمال ظهور الأمراض النفسية والعصبية نتيجة لفشل بعض المهاجرين في التكيف مع الحياة الحضرية يضاف إلى ذلك اتساع نطاق الجريمة وتفكك الأسرة وممارسة الدعارة ٠

أما عن المناطق (المتخلفة) فتتميز بدورها بالقدم وانخفاض مستوى المعيشة وانخفاض مستوى السكان تعليميا واقتصاديا وعزلتها العمرانية والاجتماعية علاوة على انها قد تصبح وكرا للخارجين على القانون (١١) ٠

وفى دراسة Simpsn وينجر Yinger عن الاقليات ذكر انه حتى الحرب العالمية الأولى على الأقل كان هناك مليون زنجى نزحوا بدورهما من الريف الحضر في الجنوب واكثر من هذا العدد اتجه إلى الحضر شمالا وقد تولد

من جراء هذا النزوح مشاكل عديدة تتعلق بعدم التنظيم ، والأطفال غير الشرعيين علاوة على المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وما كان يعتبر حدثا مؤذيا في القرية اصبح يعتبر مجرد مشكلة اجتماعية في المدينة ، وبالرغم من وجود بعض من يعملون في الاعمال الشخصية ومهن الخدمات فان اعدادا متزايدة تشتغل في مهن فنيه أما الجيل الثاني من المهاجرين فيختلف في نظرته عن الجيل الأول من المهاجرين حيث يقل تمسكهم بالقاليد والعادات والطقوس الدينية التي تمارس داخل المنزل (١٢) ٠

كما انه ليس هناك شك في أن نزوح الأيدي العاملة وهجرتها من مختلف المناطق إلى المراكز الحضرية والصناعية يترك اثره (القوى) الواضح في حياة تلك المناطق ذاتها حيث تتناقص الأيدي العاملة الشابه وتتدهور الزراعة ، وتؤدى هجرة الشبان في بعض الاحيان الى شعورهم بالفردية والاستقلال ويؤثر هذا بدوره في ضعف الروابط العائلية والقيم التقليدية ٠

كما أن الهجرة الريفية إلى الحضر تؤدى إلى تغيير العادات ، والتقاليد وطرق المعيشة مما يؤدى إلى تغيرات اقتصادية واجتماعية مختلفة في هذه المناطق الحضرية ٠

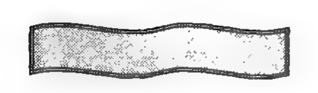
تذكر كتابات علماء الاجتماع أن عملية التمثيل Assinilation التي يحتوى بها أصحاب ثقافة معينة في تركيب ثقافي جديد لا يتم بطريقة عرضية وان المهاجرين في الوقت الحاضر لا يمكنهم احضار ثقافتهم معهم من ناحية كما انهم لا يشاركون في ثقافة بعينها في منطقة الجذب من ناحية أخري ٠

في دراسة Banton للمهاجرين إلى فريتون يثار الصراع بين الـــدور والمكانه الاجتماعية حيث تقوم على أساس مكتسب في مجتمع المدينة ويضعـــف اثر الدور والمكانه التقليدية فيصبح التنظيم الاجتماعي اكثر مرونه كما يضعف اثر القرابه وتحل محلها العلاقات التعاقدية .

وهنا تقوم الجمعية الاختيارية بتطوير بناء جديــد للــدور والمكانـــه أول الجملة وفى دراسة هامه قام بها كنيث ليتل K. Little عن التحضر فـــي غـــرب أفريقيا عن طريق دراسة اثر الجمعيات الاختيارية في التغير الاجتماعي يذكر انـــه من بين عوامل الجذب الاشتغال بالمناجم والتجارة . وان من عوامل الطرد كذلـــك الهرب من الضرائب وسوء المعاملة وسلطة الأسرة أو القبيلة أو المجتمع المحلـــى وقد استشهد في ذلك بالدراسات التي قام بها بانتون Banton وغيره من العلمـاء حيث اتضح أن المراكز الحضريه هى المراكز الرئيسية للجذب وان الهجرة تخلـــق اطارا قويا من العلاقات الاجتماعية بين المدينة والقريـــة يتضـــح فـــي الاتصـــال بالأقارب والزيارات المتبادلة بين المهاجرين وذويـــهم فـــي القريـــة أو المدينـــة والمساعدات التي ترسل للقرية والاقارب هناك وانهم قد يرســـلون ابنائـــهم فـــي القرية لكى يلتحقوا بمدارسها ، وقد ميز Elkan في هذا المجال بيـــن الـــهجرة الأفريقية والاوروبيه ففى أوروبا كان نمو المدن مصاحبا بنمو طبقة جديـــدة مـــن السكان هم العمال الصناعيين أما في أفريقيا فالمهاجرون إلى المناطق الصناعيـــة يفكرون في العودة أن آجلا أو علاجلا إلى قراهم ، أما الآثار الاجتماعية للـــهجرة الأفريقية فتبرز في هجرة هؤلاء الأشخاص لقراهم في وقت واحد إلى المدينة ممـــا يؤدى إلى تأخر الزراعة كما أن هؤلاء المهاجرين بدورهم لا يعتبرون عمالا مـــهرة في منطقة الجذب ولا يساهمون بالتالى في النمو الصناعى في مناطق النزوح .

أن المهاجر العائد إلى موطنه الاصلى يحـاول أن يكتسـب مـن طـرق المعيشة الحضرية مما يسهل له اوجه حياته المعيشية في هذا المواطن مرة أخري ومع أن هذه الحقيقة ليست عامه شأنها شأن كل الحقـائق المتعلقـة بـالمجتمع الانسانى فقد اتضح كذلك على سبيل المثال من دراسة المهاجرين إلى فريتـون Freetown أن المهاجر العائد ينتفع من معيشته الحضرية في تصميـم وتنظيـم منزله الريفى ٠

ويرى تومسون أن وجهة المهاجرين وصفاتهم الشخصية – في الـهجرة الداخلية – لم تدرس بعد كما ينبغي وان الهجرة الداخلية ترجع كذلك إلى الزيـادة السكانية في الريف وهكذا يبدو لنا اننا أمام ظاهرة متعدده الأبعاد ممـا يسـتلزم القيام بدراسات تتبعيه لها ٠



" ظاهرة الهجرة في المجتمع المصري "

أولا : الهجرة الداخلية وعودة المهاجرين

من الأمور الملفته للنظر خلال فترة الستينيات والسبعينيات زيادة معدل الهجرة الخارجية بصورة ملحوظة ، وغنى عن القول أن هذه الظاهرة لها مدلولات اجتماعية - اقتصادية - ثقافية كبيرة فالمصرى الذي كان مرتبطا عموما بالأرض والآهل اصبح يسعى سعيا حثيثا للهجرة الخارجية المؤقته أو الدائمة وبات مئات الالوف بل ملايين الأشخاص يستندون على النقود والسلع التي ترد لهم من الخارج وادى هذا إلى تحولات جذرية اصابت نسق القيم برمته في المجتمع وقد اتخذت الهجرة الخارجية عدة صور ومن ابرز هذه الصور ٠

١] الهجرة الدائمة وتفيد الاستقرار خارج حدود الوطن (والتجنس بجنسية البلد المضيف له) سواء هاجر الشخص بمفرده أو برفقة أسرته ٠ فهي هجرة تهدف للاستقرار الدائم خارج الوطن ٠

٢] الهجرة المؤقته (الاعارة أو العمل في الدول العربية والترفيه أو العلاج بالدول الغربية) ٠

١ - الهجرة الدائمة خارج الوطن :

ويهمنا أن نستعرض ملامح هذه الهجرة (الدائمة) في مصر وبخاصة منذ ١٩٦٢ وحتى ١٩٧٩ لنتعرف على اهم ملامحها :

أ] تركزت الهجرة أساسا في دول رئيسية هى بالترتيب الولايات المتحدة وكندا واستراليا ، والبرازيل ، (٩٧ %) ثم مجموعة الدول الأخرى (٣%) ٠

وحظيت سنوات ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٧٠ باكبر معدلات للهجرة الخارجية (٤١ % من جملة المهاجرين خلال هذه الفترة المعتمدة من ١٩٦٢ إلى ١٩٧٩) ٠

ب] اتضح أن نسبة المتزوجين تبلغ ٥١ % ويليهم العزاب ٤٣ % ثم الارامل والمطلقين ٠

جـ] الغالبية العظمى من المهاجرين (الأصليين) في الفترة من ١٩٦٢ / ١٩٧٩ تركزت في فئة العمر ٢٠ : ٤٠ سنه (٧٠%) ثم من ٤٠ : ٦٠ سنه (٢٠ %) فالشباب يتطلع دائما بطموحه إلى الغد المشرق والى المستقبل بالمقارنة بكبار السن ٠

د] أن الذين يعملون بالقطاع الحكومي والقطاع العام يمثلون نسبة كبيرة (٥٦ %) يليهم من لا يعملون ثم من يشتغلون بالقطاع الخاص ٠

هـ] أن أصحاب المهن الفنيه والعلمية يمثلون المعدل الاكبر بالنسبة لغيرهم - يليهم من لا عمل لهم ويليهم من يعملون بالاعمال الكتابيه ثم عمال الإنتاج كما أن حمله المؤهلات الجامعية والمتوسطة يمثلون ٦٠ % ٠

٢ - الهجرة المؤقتة للخارج :

وتشمل الهجرة الرسمية التي تتم بناء على طلب مؤسسات أو هيئات بالخارج مع الهيئات التي يعمل فيها الأشخاص المراد اعارتهم بصوره رسمية وقد حظيت دول الخليج لا سيما السعودية وليبيا والكويت بنسبة كبيرة من هؤلاء الأشخاص كما أن معظم هذه الشرائح المتجهة للعمل في القطاعات الرسمية كانت عادة تعار لفترات تتراوح بين ٣ : ٤ سنوات ٠

وقد كانت هيئات التدريس بالجامعات فضلا عن اقرانهم بالمدارس من الشرائح التي وجدت مجالا مناسب لها في الاعارات الرسميه وكانت كليات التجاره والاداب والتربيه والعلوم ٠ وهى كليات تعد اكثر اتصالا بفروع المعرفة النظرية والتعليمية منها للفروع الحرفية والتطبيقية (العملية) هى الكليات التي تخرج منها معظم افراد هذه الشرائح ٠

ويشتغل ٥٨ % من مجموعات الفئات المعارة للخارج بالتعليم والبحث العلمى وهى بهذه الكيفية اكثر الفئات اقبالا على الاعارة نظرا للتعاقد الرسمى بين المؤسسات التي يشتغلون بين جدرانها والمؤسسات المناظرة لها في البلدان العربية (كالعلاقة بين وزارة التربية والتعليم في مصر والوزارات المشرفة على قطاع التعليم في الدول العربية وبعض الدول الافريقية) مما يتيح فرصة تنظيم الاعارة لمن يرغبون في ذلك بصورة دورية منتظمة ، ويلى ذلك من يعملون بقطاعات الاقتصاد والصحة والزراعة ويصل معدلهم إلى ٢١ % من المجموع الكلى وبعبارة أخري فأن غالبية الشرائح التي تسعى وراء الاعارة للخارج تنتسب إلى قطاعات الخدمات اكثر منها للقطاعات الانتاجية ٠

أما عدد الذين يهاجرون للعمل خارج مصر (بصورة مؤقتة) وبموجب عقود عمل شخصية فيفوق معدلات (الاعارة) ولعل السبب في ذلك يرجع بدوره إلى حرية الحركة بالنسبة للعقود الشخصية وغنى عن القول أن العامل قد يضطر إلى الاستقالة من المؤسسة التي يعمل بها إذا وجد الفرصة سانحة للعمل بالدول النفطية مع وجود عراقيل تضعها إدارة المؤسسة التي يعمل بها للحيلولة دون سفره ويمكن بواسطة المؤشرات الاحصائية التالية الحصول على بعض ملامح هذا اللون من الوان الهجرة المؤقتة :

[أ] أن ٩٨ % من مجموع الأشخاص الذين يتعاقدون بصفة شخصية يتجهون بدورهم إلى الدول العربية وتصل نسبة من يقصدون السعودية ٧٠ % يليها الكويت ١٠ % ، ثم ليبيا ٥% وهذا يعني ٨٥ % ممن يتجهون للدول العربية يقصدون الدول البترولية وتعكس النسبة الضئيلة المتجهة للجمهورية الليبية اثر تدهور العلاقات السياسية بينها وبين مصر في خفض معدل الهجرة اليها أما الذين يقصدون الدول الأخرى واهمها الدول الافريقية فيتجهون إلى نيجيريا (٧٦ %) فاغندا وغانا (٨%) ٠

[ب] أن أصحاب المؤهلات العليا تصل نسبتهم إلى ٦٩ % يليهم ذوى الخبرة ٨ % ثم الثانوية الفنية ٥ % ويعكس هذا أن الاعلى تعليما أكثر رغبة في الحراك لتحسين مستواه المعيشى ٠

[ج] أن توزيع العقود الشخصية بحسب التخصص الذي يعمل في مجاله هؤلاء الأشخاص يوضح أن ١٦ % يعملون بالتجارة والاقتصاد ، ١٤% بالشئون الهندسية ثم تتوالى التخصصات الأخرى والأقل في معدلاتها من سابقاتها ٠

وتضطرد الزيادة في معدلات الهجرة المؤقته ففى مجال الاعارة ازداد معدلها من ٢٠.٠٠٠ سنه ١٩٧٢ إلى ٤١,٠٠٠ سنة ١٩٧٧ ، أي بنسبة تبلغ ١٠٥ % بينما اضطردت هذه الزيادة بالنسبة للعقود الشخصية من ٢٥,٠٠٠ سنة ١٩٧٦ إلى ٤٩,٠٠ سنة ١٩٧٧ بنسبة تصل إلى ٩٦ % في عام واحد فقط (١٢) ٠ ورب قائل أن معدلات الهجرة الدولية المؤقتة لا ينبغي أن تحتل الاهمية نفسها إلى تحتلها الهجرة الدائمة غير انه من الملاحظ اضطراد معدلات الهجرة المؤقته فاذا كان عددهم لم يزد عن ٥٨ ألف نسمة سنة ١٩٧٠ إلا انه اتجه إلى

المليون سنة ١٩٨٠ (بخلاف المرافقين من الاهل وذوى القربى) فضـــلا عــن اولئك الذين يعولهم المهاجر ويساعدهم ماديا وقد سمح هذا العدد بالتنوع الشــديد في التخصصات ، وهكذا بعد أن كانت التيارات الأولى لهجرة العمال المصرية تأخذ طابعا " انتقائيا " في النصف الثاني من الستينيات للمهن العلمية والكتابية والفنيــة فان موجات الهجرة في السبعينيات قد شملت كافة اقســام المــهن وكافــة فئــات العمالة الماهرة وغير الماهرة لمجرد تحسين الأوضــاع الاجتماعيــة والمعيشــية للشخص واسرته اساسا غير أن هذا الهدف ينمو بمرور الوقت ويتطلع المــــهاجر نحو الملكية الثابته (شراء عقارات وتأسيس مشــروعات) الامــر الــذي يدفــع المهاجر (المؤقت) إلى اطالة مدة بقائه في الخارج وهكذا يقع معظم المــهاجرون صرعى في " مصيدة الهجرة " ولا يعودون للوطن حتى يفكرون في الـــهجرة مــن جديد .

ويؤدى هذا بدوره للعديد من الاثار الاجتماعية فارتفـــاع اســعار الأرض الزراعية واراضى البناء والانتشار التلقائى للاستهلاك والــترفى وسـيادة حالــه يسيطر عليها اسلوب الاحباط الوطنى للعمل خارج الوطن – مهما كان العمل حقيرا أو متواضعا (طالما كان هناك فرق في الدخل والعائد وهامش الادخار) والــهروب الجماعى إلى الأنشطة الطفيلية المدره للدخــل والربــح الســريع وازديــاد حــدة المشكلات الأسرية نتيجة لغياب الزوج وقيام الأم بالدور المزدوج مما يضيف علــى كاهلها ثقلا هائلا في عملية التنشئة الاجتماعية تعد جميعها من مصاحبـــات هــذه الظاهرة السكانيـــــة .

ويذكر عبد الفضيل انه برغم أن عوامل الجذب قد لعبت الدور الاساســـى لهجرة العمالة للبلدان النفطية لتحسين الظروف المادية للمهاجر إلا اننا لا ينبغــي

أن ننسى العوامل " الطاردة " متمثلة في الأوضاع الاقتصادية المتردية في مصر في أعقاب هزيمة سنة ١٩٦٧ ، وتهجير سكان مدن منطقة القناة نتيجة للدمار الذي اصاب هذه المدن كان من بين الاسباب الرئيسية لعملية الهجرة الخارجية .

ومع أن حجم العمالة المهاجرة - إلى قوة العمل الكلية ليست كبيرة إلا أن هذه النسبة تضم عادة العمالة المهنية والمتخصصة بصفة رئيسية . الامر الذي أدى إلى ارتفاع اجور العمال المهرة في المجتمع بصورة مذهلة بل أن مصر تعد انشط البلدان المصدرة للعمالة للبلدان العربية النفطية نظرا لضخامة مواردها البشرية فضلا عن تمشى القوة العاملة مع مقتضيات الصناعية الحديثة بما يستلزمه من خبرة وتدريب ومهارة وقد قدر متوسط مدة الاقامة بالنسبة للمهاجر المصري ٣,٦ سنة في البلدان البترولية (١٣) .

ومع ذلك فان حصيلة النقد الأجنبي المتولدة من تحويلات دخول المهاجرين بالخارج ظلت تتصاعد منذ منتصف السبعينيات إذ اصبحت تحويلات العاملين بالخارج Workers remittances تشكل احد المصادر الرئيسية لتغذية حصيلة النقد الاجنبى المتاحة للاقتصاد الوطنى . وهكذا ظهرت شبكة جديدة في العلاقات الاقتصادية – السكانية بين البلدان المصدرة للنفط والمصدرة للعمالة وقد بلغ حجم تحويلات القوة العاملة المصرية المهاجرة للخارج عام ١٩٧٧ مبلغ ١٤٢٥ مليون دولار امريكى بالمقارنه بـ ٨٥ مليون دولار سنة ١٩٧٤ .

كما ارتفع إلى ١٩٥٠ سنة ١٩٧٩ ، وامكن بهذه المبالغ الإقلال من الاعتماد على القروض الخارجية كما كان من شأنها دفع الطاقة الادخارية للاقتصاد المصري .

وليس هناك شك أن للهجرة الخارجية اثارها السلبية التي يلمح اليها البعض والتي سبق أن اشرنا اليها اجمالا من قبل فهجرة العناصر الفنية عادة يحرم المجتمع من عناصر كانت يمكن أن تسهم في دفع خطط التنمية كما أن اضطراد الهجرة بهذه الصورة جعل الهجرة في حد ذاتها مطمع للشباب فافقدهم الحافز على العمل لمصلحة المجتمع الذي تكبد الكثير من أجل تأهيلهم وقد افصحت الدراسات التي استشهد بها عبد الفضيل أن ٩٥ % من العمالة المهاجرة للخارج هم من أصحاب الخبرات الطويلة (بالعمل) مما أثر على تنفيذ البرامج والخطط في المؤسسات الانتاجية والخدمية ، هذا فضلا عن اهتمام الفئات المهاجرة باستيراد السلع الاستهلاكية والمظهرية وانتشار الاستهلاك الترفي المستورد والانفاق البذخي في بعض الاحيان الامر الذي يضر بالاقتصاد الوطني في احدى دول العالم الثالث تهتم اساسا بالضرورات ثم بالكماليات وسلع الرفاهية .

بل أن هذه الهجرة في نهاية الامر لم تخلص مصر من فائض اليد العاملة فقد اتجه إلى الهجرة الخارجية العمالة الفنيه ونصف الفنيه عادة بمعدلات تفوق ما عداها من الفئات العاملة كما أن معدل البطاله في مصر والبالغ نحو ١١ % لم ينخفض رغم زيادة معدلات الهجرة للخارج (١٤) .

ويذكر جلال أمين واليزابيث تايلور في دراستهم النقدية للبحوث والدراسات الخاصة بهجرة العمالة المصرية إلى الخارج أن تقديرات عدد المصريين المهاجرين تتباين بصوره واضحه ففي عام ١٩٨١ قدرت المجالس القوميه المتخصصة عددهم بـ ٨٣١ ألف نسمه ، ووثيقة الخطه الخمسية (٨٢ - ١٩٨٧) عددهم بما يتراوح بين ١,٨ : ٢ مليون نسمه ، ووزارة الخارجية

بحوالي ٣،٤ مليون ، والعدد الأخير يقترب من تقدير وزارة شئون الهجرة الـذي جاء سنة ١٩٨٢ مستندا على ما يبدو على تقدير وزارة الخارجيـــة حيــث قــدر عددهم كذلك بـــ ٣ ملايين نسمة .

والجــدول التالى يوضح تقديـــر وزارة الخارجيـــة المصريـــة للجاليـــات المصرية بالخارج سنة ١٩٨٢ .

جــدول رقـــم (٣٠)

الجاليـــات المصرية بالخـــارج عـــام ١٩٨٢

البلد	العدد (بالالف)	البلد	العدد (بالالف)
العراق	١،٢٥٠	عمان	١١،٥
السعودية	٨٠٠ر	المغرب	١١.٥
ليبيا	٣٠٠ر	باقي الدول العربية	١٩،١
الكويت	٢٠٠ر	الولايات المتحدة	٢٠٠
الإمارات	١٥٠ر	إنجلترا	٧٠
الأردن	١٢٥ر	كندا	٦٠
الجزائر	٣٥ر	استراليا	٥٠
قطر	٢٥	ايطاليا	٣٠
السودان	٢٠	باقي الدول العربية	٥١،٥
سوريا	١٥	اليمن (ش)	١٢
المجمـــوع			٣٣٨١

ويتضح لنا من الجدول أن العراق كانت تستحوذ على ما يزيد على $\frac{1}{3}$ المهاجرين المصريين حيث استعانت بهم ابان حربها مع إيران سواء في دفع عجلة الإنتاج أو في خطوط المواجهة والقتال .

وتشكل العراق والسعودية ثم ليبيا والكويت اكثر من نصف القوة المهاجرة ثم تأتى الدول العربية الأخرى كالاردن والجزائر وسوريا والسودان واليمن والمغرب وباقى الدول الشقيقة لتشكل معا معدلا اقل وتأتى في ذيل القائمة بالنسبة للهجرة الخارجية المؤقتة الدول النفطيه الصغيرة كالامارات وقطر وعمان وهى بحكم صغر حجمها وكثافتها السكانية الضئيلة تستقطب قوة عامله اقل من سابقاتها .

وبالنسبة للهجره الدائمه تأتى الولايات المتحدة ، كانجلترا وكندا ، واستراليا على رأس القائمة ، ويلى ذلك ايطاليا ، وباقى الدول الغربية ، ورغم أن هذه الأرقام تقريبيه إلا انها تعطى بدورها مؤشرات هامه لفهم تيارات الهجرة الخارجية للدول العربية والدول الاجنبية الأخرى في بداية حقبة الثمانينيات قبل أن تعود فصائل مختلفه مرة أخري إلى ارض الوطن .

وقد بلغ عدد المهاجرين سنة ١٩٨٦ $\frac{1}{4}$ ٢ مليون وفى سنة ١٩٨٧ انخفض إلى اقل من ٢ مليون وفى ١٩٩٤ بلغ ٢,٦ مليون رغم عودة $\frac{1}{2}$ مليون بعد ازمة الخليج سنة ١٩٩٠ وقد قدرت تحويلات العاملين بالخارج سنة ١٩٩٣ بالمليون جنية ١٦٧٣٢ بالمقارنه بـ ١٦٧ في علم ١٩٧٤ وكذلك بـ ٢٨١٤ سنة ١٩٨٤ .

الهجـــرة العائـــدة :

ابرزت الدراسات التي وفرتها النتائج الأولية للاسر المعيشيه في مشـروع الهجرة الخارجية الذي قام به الجهاز المركزي للتعبئة العامه والاحصاء بالتعـاون مع صندوق الأنشطة السكانية النتائج التالية ، والتي توفر صـــورة كاملـه عــن تيارات الهجرة التي بدأت تعود للوطن بعد أن بدأ سوق العمل في هـــذه البلـدان يزخر بابناء هذه الدول نفسها مما جعل فرص العثور على عمل منتظم تقل إلى حد كبير .

[١] الغالبية الساحقه من العائدين من الذكـــور ٩٦,٤ % أمـا نسـبة الإنـاث العائدات فتبلغ ٣,٦ % فالهجرة للخارج كانت هجرة للذكـور فـي المحـل الأول ، فالذكر اكثر قدرة على تحمل تبعات الغربة بينما تقابل الانثى بعراقيل مختلفة .

[٢] كانت اكبر معدلات الهجرة العائدة من ريف الوجه البحري (٢٩,٨ %) ثم ريف الوجه القبلي (٢١,٩ %) ثم اقليم القاهرة الكبرى (٢٠,٧%) ثـم حضر الوجه البحري ((١٣,٢%) ويلـى ذلـك حضـر الوجـه القبلـي (٧,٥%) ، فالاسكندرية ((٦,٩%) .

[٣] أكبر الشرائح العائدة كانت قبل سفرها تنتمى لفئة العمـر ٢٠ – ٣٠ سـنه ونسبتها ٤٣,٤ % ثم ٣٠ – ٤٠ سنه ٣٢,٧% ، ويلى هـــذه ٤٠ – ٥٠ ١٦,٣% ، وهى الفئات الشابه التي تشكل لب القوه العاملة ٢٠ : ٤٠ سنة ونسبتها معا ٩٣,٤ % مما يؤثر بدوره على سوق العـمـل فـي مصـر ، ويؤدى – في حالة عدم تشغيل هـذه القـوة العاملـة – إلـى مشـاكل اقتصادية واجتماعية خطيرة نتيجة لذلك .

[٤] قد اتضح أن ٥١,٢% من الأميين والذين يجهلون القراءة والكتابة قبل سفرهم بالمقارنة بـ ٢٣,٦% ممن حصلوا على شهادات متوسطة أو فوق المتوسطة فضلا عن ١٩,٩% ممن كانوا يحملون شهادات جامعية فأعلى ، وهذا يعنى أن الهجرة كانت هجرة عشوائية في السنوات الاخيرة .

[٥] كان ٦٤,٧% قبل سفرهم يعملون بأجر نقدى ويعملون لدى اقاربهم فضلا عن ٢٢,٤% كانوا أصحاب عمل ، وهذا يعنى أن عدم ثبات الاجر في حالة العمل لدى اقارب وكون بعضهم أصحاب مشروعات صغيرة مما يعني انهم لم يحصلوا على ما يشبع احتياجاتهم ويرضى طموحهم مما يدفعهم بدورهم للتفكير في الهجرة .

[٦] كانت اكبر المعدلات العائدة من الخارج ممن كانوا يشتغلون بمهنة عمال انتاج وتشغيل فضلا عن الفطه (٤٩,٨ %) يليهم أصحاب المهن الفنيه والعملية (٢٢,٨%) ويلى ذلك الزراع ، والذين يعملون بالصيد (١١,١%).

[٧] معظم الفئات العائدة عادة سنة ١٩٨٤ : ١٩٨٥ ((٣٠,٥%) ويليهم من عادوا سنة ١٩٨٦ : ١٩٨٧ (٢٧%) ثم من عادوا سنة ١٩٨٢ : ١٩٨٣ (١٧,٩%) .

[٨] ابرز اسباب العودة هى الاسباب العائلية ويصل معدلها إلى (٤١,٩) ثم انتهاء فترة التعاقد (٢٠,٨%) ثم خفض المؤسسة التي يعمل بها – أو الشخص الذي يعمل لديه – للراتب (١٦,٧%) ثم استغناء جهة العمل ١٢,٢% ، فالاسباب الصحيه ومعدلها ٦,٧% .

[٩] تفصح اجمالى عدد السنوات التي قضاها الأشخاص بالخارج عن أن اكبر نسبة تخص من قضوا سنه واحدة فقط ٣١,٥% علما بأن معظم من

يهاجروا للخارج يضعوا في حسباتهم عادة قضاء اكبر عدد من السنوات لزياده مدخراتهم غير انهم ما يلبثوا أن يعودوا احيانا مرغمين ثم من قضوا اقل من سنه ١٨,٣% ، ومن قضوا ٢ سنه ١٨,٢% ، وهو ما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه من ظهور منغصات ثم من قضوا ٤ سنوات (١١,٣%) ، ثم ٣ سنوات (٨,٤%) ، وهكذا في ٦٨ % من هؤلاء الأشخاص اقل من ٣ سنوات خارج القطر ثم عادوا ادراجهم ٠

[١٠] يفصح البيان الخاص بآخر دولة عملوا بها بالخارج انها كانت دولة العراق في ٣٩,٧% من الحالات ، وهو ما يوضح اثر حالة الحرب فضلا عن سوء المعامله مما عجل بعودتهم ، ثم السعودية ٣٠,٦% ، ومن الواضح أن بعض من يتجهون اليها يذهبون تحت ستار الحج والعمرة وما يلبثوا أن يستمروا فيها للعمل ، وحين يفشلون في الحصول على العمل الثابت والاجر المجزى فانهم يعودون ادراجهم مرة أخري أو تقوم الاجهزة المسئولة بترحيلهم ٠

وهكذا تبدو لنا صورة الهجرة العائدة التي بدأت تياراتها تعود إلى مصر منذ مطلع الثمانينيات ، وزادت معدلاتها في السنوات الاخيرة ، ومما زاد من حجم المشكلة عودة الكثيرين بعد غزو العراق للكويت ومعظمهم قد فقدوا مدخراتهم نتيجة للهروب المفاجيء بعد اقتحام الجيش العراقى لاراضى الكويت ٠

وقد صوحبت عوده المهاجرين سنة ١٩٩٠ بارتفاع معدلات التضخم وتفاقم ازمه البطاله في المجتمع المصري ولولا حكمه القياده السياسية لما امكن التغلب على موجه الغلاء المصاحبة لعودة هذه الاعداد الكبيرة إلى وطنها فقد حاولت في خططها الاقتصادية ٩٢ / ٩٣ ٩٦/١٩٩٧ خلق ٢٥٠ ألف فرصة

عمل سنويا مع تشجيع القطاع الخاص لخلق فرص فعليه للشباب والشرائح العائدة فضلا عن المساعدة في تملك الشباب لاراضى في المناطق المستصلحة ومساكن في المدن الجديدة ، مع توفير قاعدة معلوماتيه حديثة عن الاعداد المهاجره والعائده من الخارج ، وقد صاحب الهجرة العائدة انتشار الاعمال الطفيليه والمهن الهامشية كالسمسرة وارتفاع أجور عمال الزراعة نتيجة لرفض عمال الزراعة بعد عودتهم العمل في المهنة الأصلية (١٥) .

<u>الهجـره الداخليـة :</u>

تعنى الهجرة الداخلية اتجاه السكان من بعض المناطق إلى مناطق أخرى داخل الوطن وقد ازداد معدلات الهجرة في مصر بصوره كبيره منذ الربع الأول من القرن العشرين ومن الواضح أن تيارات الهجرة الداخلية إلى العاصمة وقد فاقت كل التوقعات المحسوبة ، ففى احياء روض الفرج وباب الشعرية بلغت الكثافة السكانية في الـ كم٢ ٨١ ألف ، و ٩٤ ألف نسمة على التوالى في ١٩٩٣/١/١ ، كما أن حى الجمرك في الإسكندرية بلغت كثافة السكان به ١٢٧ ألف نسمه /كم٢ ، ولك أن تتصور نمط الحياة الاجتماعية والثقافية في هذه الأحياء – السكنية في هذه المدن ، وهكذا تعانى مصر مع غيرها من بلدان العالم الثالث من هذا النمو " السرطانى " للمدن (العاصمية) .

غير اننا انصافا للحق نذكر أن نتائج تعداد ١٩٧٦ قد أوضحت ظاهرة ديموجرافية جديرة بالدراسة هى تباطوء موجه التزايد السريع في عدد سكان محافظة القاهرة إذ بلغ معدل النمو السنوي ١,٨ % في مقابل ٤,١% في الفترة من ١٩٦٠ – ١٩٦٦ (التي كانت تمثل ذروة التزايد في عدد سكان القاهرة نتيجة لحركة الهجرة السريعة) ، وقد يعزى ذلك إلى جهود التنمية الاقتصادية

الراميه إلى انشاء المصانع حول القاهرة - في النصف الأول من الستينات - فضلا عن أن مدينة القاهرة - في النصف الأول من الستينات - كانت تستقطب اليد العاملة غير انها عجزت في نهاية المطاف عن استيعاب الفئات الوافدة اليها نتيجة لازمة الاسكان الحادة مع القصور الواضح في اداء مؤسسات الخدمات العاصمية لوظيفتها بكيفية تشبع احتياجات السكان فيها في الوقت نفسه ،

ولذلك فان دراسة الهجرة تعد ركيزة أساسية لفهم الكثير من الظواهر الاجتماعية فليس بخاف انه يتعذر تماما أن تدرس أنماط الحياة الاجتماعية في مجتمعنا - شأنه في ذلك شأن غيره من المجتمعات دون أن تعطى هذه الظاهرة الاجتماعية نصيبها الوافر من الدراسة والاهتمام غير اننا نلفت النظر قبل أن نفصل القول في هذه الظاهرة انه يعسر علينا أن نفصلها عن البناء الاجتماعي والثقافي التي تشب في احضانه ،

ولا جدال أن هناك ازديادا واضحا في مصر في سكان المناطق الحضرية على حساب المناطق الريفية وتوضح الإحصاءات المختلفة ازدياد معدل سكان الحضر على حساب المناطق الريفية وتوضح الإحصاءات المختلفة ازدياد معدل سكان الحضر على حساب الريف فقد بلغت نسبة سكان الحضر في ١٩٣٧ ٢٥% ثم تطورت هذه النسبة إلى اكثر من ٤٣ % في الوقت الحاضر ،

والزيادة الكلية في الفترة من ٤٧ - ١٩٦٠ قد بلغ معدلها اكثر من ٣ اضعاف الفترة من ١٧ - ١٩٢٧ أما الهجرة الصافيه فقد انخفضت معدلاتها في نهاية الحقبة المذكورة وهذا يوضح لنا دور الهجرة الصافيه في زيادة معدل السكان في العاصمه وهذه الهجرة المتزايدة إلى مدينة القاهرة لها دلالاتها

المختلفة نظرا لما يترتب عليها من آثار اجتماعية وثقافيه فقد لاحظ " خبراء " علم الاجتماع والاجرام في ج٠م٠ع أن ظاهرة الجريمة احدى الظواهر المصاحبه لظاهرة الهجرة بالاضافة إلى مشكلات أخرى في الاسكان والازدحام والضغط على المواصلات بل أن نظرة لتوزيع صافى هجرة الذكور من والى محافظة القاهرة حسب فئات السن في عام ١٩٦٠ يوضح لنا أن ما يقرب من نصف صافى هجرة الذكور يقع في فئة السن ٢٠ - ٣٩ سنه فالعاصمه تمتص معظم المهاجرين اليها من الذكور (في سن العماله) الذين قد يهاجرون اليها بغية الحصول على عمل وأجر مناسبين (١٦) ٠

وقد خرج حسن الساعاتى (١٧) من دراسته عن التصنيع والعمران في مدينة الإسكندرية بنتيجة مشابهة مؤداها إلى الهجرة من الريف تمد الصناعة في المدينة بعمال معظمهم في انشط فترات حياتهم فالاعمار الصغيرة انسب الاعمار للهجرة ويمكن أن نتبين من الدراسات السكانية أن صافى الهجرة إلى القاهرة بالنسبة للذكور في عام ١٩٦٠ اعلى منه بالنسبة للاناث ٠

ويرجع صبحى عبد الحكيم السبب في زيادة صافى الهجرة للقاهرة بين عامى ١٩٣٧ ، ١٩٤٧ إلى الظروف المصاحبة للحرب الثانيه كما يرجع السبب في ضحالة الهجرة من ١٩٢٧ : ١٩٣٧ إلى الظروف المصاحبه للكساد العالمي في ذلك الوقت وقد اتضح أن اكثر المحافظات ارسالا للمهاجرين إلى القاهرة المنوفية ثم الغربية والشرقية ٠ أما محافظات الوجه القبلي كاسيوط وسوهاج فالنازحين منها يتجهون إلى محافظة الجيزة أو إلى الإسكندرية والقليوبية ٠

ويذكر عبد الحكم أن الهجرة الداخلية تسهم في نمـــو ســكان القــاهرة بدرجة تكاد تكـــون ثابته منذ عام ١٩٢٧ فبينما بلغ معدل الهجرة إلى القـــاهرة في ١٩١٧ (٢٠%) إلى جملة سكان المدينـــة ففـــي عــــام ١٩٢٧ بلـــغ المعدل (٢٨,٤%) وفـــي ١٩٣٧ (٢٦,٢%) وفـــي ١٩٤٧(٢٨,٣%) وفـــي ١٩٦٠(٢٨,٤%) ولا يجارى القاهرة في جذبها الديموجرافى ســوى الســويس والجيزة فالسويس هى اشد مناطق الجذب البشرى في الجمهورية عـــام ١٩٦٠ ، أما الجيزة فقد لوحظ لاول مرة في سنة ١٩٦٠ أن معدل النزوح اليـــها زاد عـــن عدد المهاجرين منها بمقدار ٣٢٩٥٩ شخص ، كما أن عامل المسافة distance لعب دورا هاما في جذب القاهرة للمهاجرين من جنوب الدلتا ، فبينما اتجه معظـم المهاجرين من محافظة البحيرة على سبيل المثال إلـــى الإســكندرية فـــان معظـم المهاجرين يأتون إلى القاهرة من مصر العليا ٣١% بينما نزح من مصر الســـفلي ٧,٨% من جملة الهجرة الصافيه إلى القاهرة فهي اقرب مناطق الجذب البشـــرى بالنسبة للمهاجرين من الموقع الاول .

وقد كشفت الدراسات الاجتماعية أن القاهرة تستأثر باعداد هائلـــة مــن المهاجرين نظرا لانها عاصمة البلاد ، علاوة على كونها مركز صناعى على جانب كبير من الاهمية ومن الملفت للنظر كما اوضح حسن الساعاتى في دراسته عـــن التصنيع والعمران في الإسكندرية أن عامل الطرد الرئيسى الذي يتحكم في الهجرة إلى المدن (وبخاصة القاهرة والإسكندرية) يتمثل في الازدحام الشديد بالمســاكن في المناطق الريفية والذى يتضح في الانخفاض الشديد في مستوى المعيشة بها .

وقد أوضحت الدراسة أن هجرة القرويين إلى المدن ترتبط ارتباطا وثيقــا بعدم رضائهم عن الحياة في القرى فضلا عن مغريات المدينة وجذبها .

وتذكر الدراسات أن القاهرة من المحافظات الجاذبة بل انها اكثرها جذبا للسكان ، أما بالنسبة للمحافظات الطاردة فان النسبة المئوية لصافي الهجرة - بالنقصان - من اسوان في تعداد ١٩١٧ تبلغ ٣,٦ ثم ترتفع هذه النسبة إلى ٩,٣ % في تعداد ١٩٤٧ ، وتقل قليلا في تعداد ١٩٦٠ فتصل إلى ٨,٩% حيث يعلل انخفاض النسبة بوجود المشروعات الانشائية الجديدة في المنطقة والتي استوعبت اعداد ضخمة من الأيدي العاملة من خارج اسوان نفسها كما تبدو المحافظات التي ظلت جاذبة للمهاجرين في التعدادات الخمسة ١٩١٧ ، ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٧ ، ١٩٦٠ (القاهرة - الإسكندرية - البحر الاحمر - سيناء - السويس) أما المحافظات الطاردة فهي (دمياط - الدقهلية - المنوفية - الفيوم - أسيوط - سوهاج - قنا - اسوان - الصحراء الغربية والجنوبية) (١٨) ٠

ويقرر تاير سكدر Scudder أن الهجرة (النوبية) في الستينيات تعتبر نموذجا للهجرة العمالية ذات الدافع الاقتصادي ٠

وقد اتضح من احدى الدراسات التي تعرضت للآثار الاقتصادية والديموجرافية والاجتماعية للهجرة بمحافظة اسوان أن هجرة الذكور إلى خارج المحافظة يصحبها عودة (سنوية) في معظم الاحيان لزيارة الاهل أو الزواج كما تقيم الزوجة في القرية ويتردد المهاجر لزيارتها دوريا (في الغالب) حيث يتضح من بيانات تعداد ١٩٦٠ أن عدد الرجال المتزوجين والبالغ عددهم ٧٣٤٩٤ شخصا يقابلهم ٧٨٥٨٣ انثى متزوجه مما يوضح هجرة الأزواج الذكور ، وانه إلى جانب الهجرة (الداخلة) إلى المحافظة توجد هجرة (خارجة) من المحافظة كذلك (١٩) ٠

وقد اتضح من الدراسة الانثروبولوجية للواحات التي تؤلف وحدة اجتماعية اقتصادية متماسكة أن حجم العائلات تقلص نتيجة لانفصال الشبان مما أدى إلى ضعف تأثير العائلة علاوة على ضعف التنظيم السياسى الذي يقوم على أساس السن وعلى مبدأ البدنة (٢٠) ٠

وربما كان التكافل الاجتماعي الذي يربط المهاجر بأهله وعشيرته في القرية واحد من ابرز الآثار الاجتماعية للهجرة النوبية على سبيل المثال ، وتعد (الحوالات البريدية) صورة من صور هذا التكافل وهذه عبارة عن النقود الشهرية التي يرسلها ابناء النوبة يعملون خارج النوبة (سواء في المدن المصرية أو السودانية) إلى ذويهم المقيمين في النوبة – هذه النقود تعتبر جزءا من النشاط الاقتصادي الرئيسى الذي تقوم عليه حياة النوبيين الاقتصادية بداخل النوبة وفى دراسة محمد رياض عن كروسكو في النوبة القديمة – احدى قرى النوبة – تبين أن اكثر من نصف مجموع سكان القرية قد هاجروا منها إلى السودان (٥٢% من جملة المهاجرين) والى مصر (٤٨% من جملتهم) وقد اسهمت الدراسة في حصر الحوالات البريدية والواردة للقرية خلال ١٢ شهرا ومن الطريف أن قيمة الحوالات البريدية الواردة من مصر كانت توازى ٧٥% من جملة المبالغ المرسلة للقرية ٠

ومن الواضح في احصاء سنة ١٩٧٦ أن المراكز الحضرية الجاذبة تمثلت في القاهرة والجيزة والإسكندرية والقليوبية والسويس وبورسعيد والاسماعيلية ويعد التيار المتجه إلى القاهرة الكبرى اكبر التيارات حجما وتغذيه تيارات فرعيه في معظم المحافظات ما عدا السويس والمحافظات الصحراوية ٠

أما التيار المتجه للسويس فيغذيه تياران في جنوب الصعيد ومنطقة شرق الدلتا .

وهناك كذلك ثلاث تيارات فرعيه احدها من قنا إلى اسوان والثانى من جنوب الدلتا إلى شمالها والثالث من جنوب الصعيد إلى البحر الاحمر وسيناء .

أما مناطق الطرد الرئيسية فكانت محافظات المنوفية وسوهاج والدقهلية وقنا واسيوط ، وتحتل محافظة المنوفية المركز الأول كمنطقة ارسال للمهاجرين في تعداد سنة ١٩٧٦ بسبب ارتفاع الكثافة السكانية فيها .

وقد ابرز تعداد سنة ١٩٧٦ أن المناطق الحضرية قد استقبلت ٩٠% من جملة المهاجرين بينما استقبل الريف ١٠% تقريبا كما تبرز البيانات انه من مجموع المهاجرين للقاهرة والجيزة والقليوبية والإسكندرية سنة ١٩٧٦ وعددهم ٢,٦ مليون نسمة كانت نسبة المهاجرين من المناطق الحضرية إلى هذه المدن ٦٨ % ، والمهاجرين في المناطق الريفية ٣٢% .

وقد اتضح أن ٦٠,٧ % من جملة المهاجرين في المدن اتجهوا للمناطق الحضرية التابعه للقاهرة الكبرى كما أن ٥٩% من مهاجرى الريف اتجهوا إلى ذات الاقليم .

وقد بلغ عدد المهاجرين هجرة داخلية سنة ١٩٧٦ ٣,٦ مليون نسمه اجتذبت القاهرة الكبرى وحدها ٢,١ مليون نسمة بنسبة تصل إلى ٦٠,٢ % من

جملة المهاجرين وهو ما يوضح الثقل النسبى للقاهرة وتوابعها حيث تعتبر محافظات المنوفية الغربية والشرقية والقليوبية في مقدمة محافظات الوجه البحري واسيوط وسوهاج في مقدمة محافظات الوجه القبلي ٠

وتحتل الجيزة المرتبة الأولى في استقبال المهاجرين الخارجين من القاهرة فهي الامتداد الطبيعى لمحافظة القاهرة وهو الامر الذي يتضح في التعدادات المختلفة التي تبرز الاهمية التي تحتلها محافظة الجيزة التي يوجد بها اكبر جامعاتنا والعديد ن المؤسسات الهامه فضلا عن الخدمات الصحية والترفيهية والمؤسسات الانتاجية التي تستقر بها (٢١) ٠

ومنذ حقبه السبعينيات بدأت عملية انشاء المدن الجديدة التي جذبت المهاجرين اليها سواء من داخل العواصم أو حتى من المناطق القريبة منها وكان الهدف منها تخفيف الضغط على المدن الام ٠

أما المعدلات التي يستعين بها الدارس في موضوع الهجرة فهي :

معدل الهجرة ويعبر معدل الهجرة عن عدد المهاجرين الذين يصلون إلى مكان ما لكل ١٠٠٠ من السكان وفى هذا المكان في سنه معينه ٠

- ومعدل الهجرة الداخلية هو حاصل قسمة عدد المهاجرين الوافدين على اجمالى السكان في المنطقة /

$$\frac{\text{عدد المهاجرين الوافدين} \times ١٠٠٠}{\text{اجمالى سكان المكان}}$$

- وعلى سبيل المثال فان معدل الهجرة الداخلية في السويد ١٩٩١ هو

$$\frac{٧١٩ \times ١٠٠٠}{٧١٠٢٠٠} = \text{١ في الألف}$$

وفى بعض الدول تلعب الهجرة الداخلية دورا هاما كما هـــو الحـــال فـــي بعض بلدان العالم المتقدم والنامى •

- <u>معدل الهجرة الخارجية</u> : معدل الهجرة للخارج هو عدد المـــهاجرين الذيـــن يغادرون منطقتهم الاصليه لكل ١٠٠٠ من السكان في سنه معينه

أي عدد المهاجرين × ١٠٠٠
____
اجمالي السكان في المنطقة الأصلية

وكان معدل الهجرة الخارجية في قبرص سنة ١٩٩١ ١ لكل ١٠٠٠ مـــن القبارصه ، وفي السنوات الاخيرة حدثت طفرة كبيرة في الهجرة من قبرص إلـــى أوروبا حيث تقدم نحو مليون شخص يطلب الاقامه في الغرب لاسيما فى المانيا •

- الهجرة الصافيه وهى محصلة عمليتى الهجرة للداخل والخارج لكل ١٠٠٠ أي

عدد المهاجرين الوافدين – عدد المهاجرين النازحين × ١٠٠٠
____
إجمالي السكـــــان

واذا تطرقنا اخيرا للنزوح إلى المدن العمرانية الجديـــدة التـــي اسســـتها الدولة لامتصاص الفائض السكاني في المدن المزدحمة بالسكان فان الجدول التالى يمكن أن يوفر لنا بيانات هامه في هذا الشأن (جدول رقم ٣١) •

جـــدول رقم (٣١)

عدد السكان في المدن العمرانية الجديدة

طبقا للنتائج الأولية لتعداد ١٩٩٦ مقارنا بنتائج تعداد ١٩٨٦

م	المحافظة	المدينة	عدد السكان ١٩٩٦			عدد السكان ١٩٨٦
			ذكور	إناث	جملة	
١	القاهرة	الامل	١٧٧٢٥	١٧٠٩٤	٣٤٨١٩	--
		القاهرة الجديدة				
		مدينة بـــــــدر	١٢٣	١٢٥	٢٤٨	--
		مدينة ١٥ مايو	٣٣٤٧٧	٣٢٣٨٨	٦٥٨٦٥	٢٤١٠٦
		مدينة الشروق	-	-	-	-
		مدينة السلام	١٨٦٨٧٩	١٧٩٤٣٨	٣٦٦٣١٧	١٣٩٠٧٧
		الجملة	٢٣٨٢٠٤	٢٢٩٠٤٥	٤٦٧٢٤٩	١٦٣١٨٣
٢	الإسكندرية	مدينة برج العرب الجديدة	٣٩٧٢	٣٠٨٣	٧٠٥٥	--
٣	دمياط	دمياط الجديدة	٣٩١٧	٢٦٠٠	٦٥١٧	٧٠
٤	الشرقية	مدينة الصالحية الجديدة	٤٤٧٩	٣٦٥٤	٨١٣٣	٤٦٤
		مدينة العاشر من رمضان	٢٦٩٣٨	٢٠٩٠١	٤٧٨٣٩	٨٥٠٩
		الجملة	٣١٤١٧	٢٤٥٥٥	٥٥٩٧٢	٨٩٧٣
٥	القليوبية	مدينة العبور	٥١٩	٤٧٢	٩٩١	١٠٣٧

[تابع] عدد السكان في المدن العمرانية الجديدة

طبقا للنتائج الأولية لتعداد ١٩٩٦ مقارنا بنتائج تعداد ١٩٨٦

م	المحافظة	المدينة	عدد السكان ١٩٩٦			عدد السكان ١٩٨٦
			ذكور	إناث	جملة	
٦	المنوفية	مدينة السادات : المدينة السكنية	٩٢٣٠	٧٠٨٢	١٦١١٢	
		المزارع	١٧٠٥	١١٩٢	٢٨٩٧	
		الجملة	١٠٩٣٥	٨٢٧٤	١٩٢٠٩	٦٦٩
٧	البحيرة	غرب النوبارية	١٢٨٦٥	١٣٠٥٩	٢٥٩٢٤	٢٥٧٥٤
٨	الجيزة	مدينة ٦ اكتوبر	١٩٩٧٧	١٥٥٠٠	٣٥٤٧٧	٥٢٨
٩	بني سويف	مدينة بني سويف الجديدة	٧٤	١٢٩	٢٠٣	-
١٠	المنيا	مدينة المنيا الجديدة	٦٨	-	٦٨	-
		جملة الجمهورية	٣٢١٩٤٨	٢٩٦٧١٧	٦١٨٦٦٥	٢٠٠٢١٤

المصدر: الجهاز المركزي للتعبئة - التعداد العام للسكان والاسكان سنه ١٩٩٦

ويوضح الجدول السابق أن السكان ١٩٩٦ قد بلغوا بهذه المـدن نحـو ٦١٩ ألف نسمه بالمقارنة بـ ٢٠٠,٠٠٠ سنه ١٩٨٦ وان المدن الجديـدة فـي محافظة القاهرة تتفوق على غيرها ٤٦٧ ألف نسمه مقارنـه بـ ١٥٢ لبـاقى الجمهورية غير أن هذه الأرقام مازالت لا تحقق الهدف المرجو منها حتى الان .

[[المصـــــــادر]]

[١] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى - دراسات في علـــم الســكان - دار المعارف - القاهرة - ١٩٧٧ ص ٦٦ : ص ٧٣ ٠

[٢] يسرى الجوهرى - مبادىء جغرافية السكان - دار الطلبة العرب - بيروت - ١٩٦٩ - ص١٨٩ : ص ٢١٠ ٠

[٣] محمد السيد غلاب ، محمد صبحى عبد الحكيم - السكان - مكتبة الانجلــو - القاهرة - ١٩٦٣ - ص ١٦٣ ٠

[٤] جوبـــرج - الفـــروق الريفيــة الحضريـــة فـــي محمـــد الجوهـــرى واخرون (محررون) ميادين علم الاجتماع - دار المعـــارف القـــاهرة - ١٩٧٠ - ص ١٣٨ : ص ١٥١ ٠

[٥] وارين تومسون ودافيد لويس - مشكلات السكان ترجمة راشد البـراوى - مكتبة الانجلو - القاهرة ١٩٦٨ ص ٧٤١ : ص ٧٥٩ ٠

[٦] محمد السيد غلاب وصبحى عبد الحكيم - المصدر لالســـابق ص ١٢٠ : ص ١٤٥ ٠

[٧] محمد عاطف غيث - دراسات انسانية واجتماعيـــة - ١٩٦٥ ص١١٩ : ص١٥٢ ٠

[٨] فاروق العادلى - الاتجاهات المعاصرة في الانثروبولوجيـا الاجتماعيــة - المجلة الاجتماعية القومية - العدد الثاني ص ٢٤٣ ٠

[٩] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى - المصدر الســـابق ص ١٠٧ : ص ١٠٩ ٠

[١٠] جورج وباركلى – أساليب تحليل البيانات السكانية – ترجمه سيد زغلول واخرون – القاهرة ١٩٦٨ ص ٣٧١ : ص ٣٨٢ .

[١١] محمد عاطف غيث – المشاكل الاجتماعيـــة والســلوك الانحرافـــى – دار المعارف – القاهرة – ١٩٦٥ ص ٩٧ : ص ١١٢ .

[١٢] الجهاز المركزي للتعبئة – الملامح الرئيسية لحركـــة الـــهجرة المؤقتـــة للمصريين في ٣١ / ١٢ / ١٩٧٧ . وانظر الجهاز المركزي للتعبئــة – الهجرة الخارجية خلال ١٩٧٩ / ١٩٨٠ .

[١٣] محمود عبد الفضيل – تأملات في المسالة الاقتصاديـــة المصريـــة ســنة ١٩٨٣ – الفصل الأول . وانظر كذلك ابراهيم سعد الدين ومحمود عبــد الفضيل انتقال العماله العربية – بيروت – ١٩٨٣ .

[١٤] محمود عبد الفضيل – النفط والجــودة العربيـــة – القـــاهرة – ١٩٨٢ – الفصل الثاني والفصل الثالث . وانظر كذلك الجهاز المركزي للتعبئـــة – عبد الرحيم شلبى – المؤتمر الاقليمى للتنمية واستخدام وهجرة القـــوى البشرية – القاهرة – ١٩٨٨ .

[١٥] الجهاز المركزي للتعبئة – الهجرة الخارجية كظاهرة سكانية – القـــاهرة – ١٩٩٤ ص ١٠ : ص ٦٩ .

[١٦] مجدى محمد شرع – دراسة توزيع صافى الـــهجرة القـــاهرة – المركـــز الديموجرافى لشمال أفريقيا – القاهرة ١٩٦٤ .

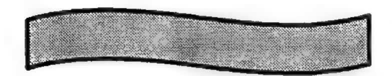
[١٧] التصنيع والعمران – القاهرة – ١٩٥٨ ص ٢٣٧ .

[١٨] فهمى حسن وعلى سـيد احمـد – القـاهرة سـكانا وامكانـا المركـز الديموجرافى لشمال أفريقيا – القاهرة – ١٩٦٦ ، ص ١١ : ص ٢٣ .

[١٩] ركابى عبد الله قاسم – الآثار الاقتصادية والديموجرافية للهجرة بمحافظـة اسوان – المركز الديموجرافى لشمال أفريقيا – القـاهرة ١٩٦٤ ص ٩ : ص ١٦ .

[٢٠] احمد ابو زيد – البناء الاجتماعي ج٢ – الكتاب العربي – القاهرة ١٩٦٧ ص ٧٧ .

[٢١] المركز القومـى للبحوث الاجتماعية والجنائيـة – المسـح الاجتمـاعي الشامل للمجتمع المصري – ٥٢ – ١٩٨٠ – القـاهرة ١٩٨٥ ص٥٧ : ص ٧٣ .



الفصل التاسع

تنظيـــم الأســـــرة

تعد قضية تنظيم الأسرة من القضايا الهامة التي ينشغل بها علماء السكان ، ويشير Birth Control إلى عملية الحد من النسل وانجاب الأطفال .

أما تنظيم الأسرة الذي يشــار اليـه بــالمصطلح الانجلـيزى Family planning فهو انجاب الأطفال بصورة منظمة على فترات متباعدة مــع مراعـاة الظروف الاجتماعية – الاقتصادية للأسرة ، كما يشار اليه بالمصطلح Planning familial .

وتنظيم الأسرة يتضمن معنى التحديد بمعنى عـــدم تـرك ولادة الأطفـال عرضة للصدفة وبهذا المعنى فانه لا علاقة للمصطلح بالنظرية المالتسية الجديـدة الخاصة بالتضخم السكاني بل هناك بالنسبة لكل اسرة حدا اقصى مـن الأطفـال لا يمكن تجاوزه إلا على حساب توازنها الاقتصادي والاجتماعي والنفسى ايضا،ولـذا تعتبر وسيلة الدعاية لتنظيم الأسرة مجدية إذا التزمت بتبصير النــاس بـالظروف الاجتماعية – الاقتصادية واذا توفر لمن يقومون بالعمل فيها البيانات الدقيقة عـن المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية – الثقافيه – الجنسية الخاصة بالسـكان المـراد اقناعهم ، ويمكن أن تقوم مراكز تنظيم الأسرة بدورها في هـذا الشـأن غـير أن مهمتها ليست بالمهمة الهينه إذ ينبغي على فريق الاطباء والباحثين الاجتمـاعيين والنفسيين اقناع الأسرة الزواجيه (الزوج والزوجه) ، ولذلك ينبغي معالجة كـل اسرة بطريقة خاصة وكلما امكن التعرف على ظروفها وتقوية الروابط بين فريـق العمل الأسرة كلما كانت النتائج افضل .

ومما لا شك فيه أن تنظيم الأسرة يخضع الزيادة السكانية غير المخططة في العصر الحديث للتنظيم وهو يمثل بدوره دفعة غير مباشرة لعجلة التنمية الاجتماعية ، فقد استشعرت العديد من الحكومات خطورة الزيادة السكانية تلك التي عبر عنها اربعة من ثمانية من الفائزين بجائزة نوبل إذ ذكروا حين سئلوا عما يواجه العالم من اخطار أن الازدحام السكاني هو اعظم هذه الأخطار ومن اهم النتائج لذلك أن اهتمت غالبية الحكومات بتنفيذ برامج تنظيم الأسرة وان ارتبط هذا الاهتمام بازدياد معدل التعليم ، وازدياد الرعاية الصحية ، واشتغال المرأة وارتفاع متوسط الدخل ،

وتنظيم الأسرة هو في نهاية الامر احد مؤشرات التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بل انه كذلك احد اثارها ،

وقد بدأت بلدان العالم الثالث تتجه إلى تنظيم الأسرة باعتباره الاسلوب الأمثل للحد من معدلات المواليد المرتفعة وفي جنوب أفريقيا ومصر وتونس توجد برامج حكوميه لتنظيم الأسرة وفي الصين واليابان توجد برامج - نشيطه - كذلك ، وتعتبر الهند الان من اكثر الدول التي تخصص ميزانيات لبرنامج تنظيم الأسرة وفي ماليزيا بدأ برنامجا حكوميا لمواجهة المشكلة السكانية منذ عام ١٩٦٦ ، كما بدأ انشاء وحدات تنظيم الأسرة في كوريا الجنوبية منذ ١٩٦٣ أما في باكستان فقد كان حجم المبالغ المخصصه للمشروع نحو ٠٠ مليون دولار في الستينيات وازداد بعد ذلك إلى ٧٥ مليون دولار (١) ،

ولقد تطرف العالم الغربي في ممارسة وسائل منع الحمل خلال المائة عاما الماضية بالدرجة التي اثر بها تأثيرا واضحا على نمو السكان ، ولقد وصل

الامر ببعض بلدان غرب أوروبا أن اصبحت فيه زيادة المواليد على الوفيات طفيفة جدا ، وهكذا انخفضت الزيادة الطبيعية بصورة ملحوظه في غرب أوروبا كما حدث في النمسا وفرنسا في بعض السنوات التي ارتفعت فيها معدلات الوفيات على المواليد خلال الثلاثينيات من هذا القرن ٠

وفى إنجلترا انخفض متوسط عدد المواليد من ٧ أطفال في منتصف القرن التاسع عشر إلى ٣ أطفال في بداية هذا القرن ثم إلى طفل أو اثنين بعد الحرب الأولى بالنسبة للأسرة ٠

ومعظم هذه البلدان قد اقدمت على سياسة تنظيم الأسرة منذ وقت مبكر مما أدى إلى الاضطراد المستمر لمن يستخدمون وسائل ضبط النسل فقد ارتفعت النسبة في إنجلترا على سبيل المثال من ٤٠% خلال فترة الحرب الأولى إلى ٦٦ % في نهاية الثلاثينات بين المتزوجين ٠ ولقد اوضح احد البحوث التي اجريت في الولايات المتحدة الامريكية في نهاية الثلاثينيات أن ممارسة وسائل منع الحمل تعمل على خفض المواليد بنسب تتراوح بين ٨٤% بين الثريات ، ٥٥% بين الفقيرات ، ٢٤% بين الفقيرات جدا وهذه النتائج قد تأكدت نتيجة للعديد من الابحاث الأخرى التي اجريت في بلدان مختلفة ٠

وبرهنت على أن ممارسة هذه الوسائل ليست عملية ميكانيكية بل انها تكتسب معناها الاجتماعي من استخدامها بشكل متسع في المجتمع ، ويزداد الاهتمام بها بارتفاع متوسط دخل الفرد (في المجتمع) كما انها تزداد انتشارا بين الطبقات الثرية ، اكثر من الطبقة الفقيرة وبين الزوجات المتعلمات عنها بين غير المتعلمات ، ففى دراسة اجريت في الولايات المتحدة اتضح أن ٨٤% من

الزوجات المتعلمات تعليما جامعيا يمارسن وسيلة من وسائل ضبط النسـل وان ٧٩% ممن يزيد دخل ازواجهن عـن ٦٠٠٠ دولار يمارسـن تنظيـم الأسـرة بالمقارنه بـ ٥٨ % ممن تقل دخول ازواجهن عن ٣٠٠٠ دولار ٠

وقد أوضحت الدراسات التي تناولت ظاهرة تنظيم الأسرة فـي المجتمـع المصري انه كلما ارتفع مستوى تعليم المرأة أدى ذلك إلى تفكيرهـا فـي تنظيـم نسلها كما أن ارتفاع مستواها الاقتصادي والاجتماعي من العوامل المساعدة علـى ذلك (٢) ٠

كما أوضحت الدراسات أن هناك ارتباطا ايجابيا وطرديا بيـن المسـتوى التعليمى المرتفع وتعليم المرأة بخاصة اشتغالها وعمرها وبين تنظيم النسل ، وقـد أوضحت الدراسات السكانية أن نحو ١٧ % من مجمـوع السـيدات المتزوجـات يقمن بتنظيم النسل باستخدام الوسائل الحديثة لمنع الحمل فـي مصرفـي الوقـت الحاضر ٠

وتتميز السياسات المنفذه لتنظيم الأسرة بالتضافر بين الجـهود الذاتيـه والحكومية في هذا المجال نتيجة لادراك الجهات المعنيه بالتأثير الخطير للزيـادة السكانية على التنمية الاقتصادية والاجتماعية كما ازداد الاهتمام باجراء البحـوث والدراسات الاجتماعية في مجال السكان حيث ازداد الاقتناع بالتأثير الخطير الـذي يمارسه النمو السكاني على التنمية الاقتصادية والاجتماعية ٠

أما العقبات العامة التي تواجه برامج تنظيم الأسرة فتتمثـل فـي القيـم والمعتقدات التقليدية التي ترفض فكرة التنظيم وتمجد عمليـة الانجـاب بالنسـبة

للأسرة أو العصبية والدولة كما أن العقبه الثانيه تتمثل في تفسير بعض رجـال الدين للشريعة الدينيه بصورة يفهم منها معارضتها لعملية التنظيم .

أما العقبات الأخرى فتتمثل في نقص الإمكانيات الطبية من اطباء ومعدات هذا إلى جانب العقبات الادارية من دعاية وبرامج اعلاميه وغيرها مـع نقـص الأيدي المدربة على تنفيذ البرامج بصورة جديه (٣) .

[أ] وسائـــل منع الحمـــل : Contraceptives

وهى الوسائل التي تستخدم عادة بقصد عدم الانجاب كما يشمل الوسـائل التي تمنع التبويض Protection against pregnancy للتحكم فـي الاخصـاب سواء كانت وسائل صناعية أو غير صناعية (شعبيه) .

ومن الجلى انه قد شاعت بعض وسائل منع الحمل لدى الشعوب المصرية والصينيه واليابانيه والرومانية . أما البدايات الحديثه فـترجع إلـى مـا نشـره فرانسيس بليت الانجليزى عام ١٨٢٣ في مؤلفه " ايضاح وبراهين مبدأ السكان " ويتضمن حق الأسرة الفقيرة في ضبط نسلها ومن بعده نولتون في كتابة " ثمـار الفلسفة " .

وقد قام وايلد عام ١٨٣٨ باختراع اللولب الواقى مما احدث ثـورة فـي وسائل منع الحمل ، وفى العام نفسه ادخل جالتون – احـد تلاميـذ دارون – لاول مرة مصطلح تحسين النسل حيث يستبدل الانتقاء الطبيعى بمراعاة قواعد الصحـة والطاقة وقوة الشخصية ، .. الخ ، لتحسين وتطوير الصفات الإنسانية .

وفى عام ١٨٧٨ افتتحت هولندا أول عيادة طبيه لتعليم استخدام وسائل منع الحمل بينما اصدرت الولايات المتحدة سنة ١٨٧٠ قانونا يحظر انتشار وسائل منع الحمل (قانون كومستوك) كما ظلت الكنيسة الكاثوليكية تعارض بشدة استخدام هذه الوسائل التي بدت في نظرها عملا مضادا للطبيعة وبالتالي يخالف ارداة الله ٠

وفى جزيرة " ياب " التي تقع في المحيط الهادى كان النساء يسخرون من موانع الحمل (الانجليزية) التي ادخلها اليابانيون وكن يلجأن في الوقت نفسه إلى الإجهاض لان النساء لا يردن أن ينجبن قبل بلوغ سن الثلاثين أما الفترة التي تسبق ذلك ، فيعتبرونها فترة شبابهن المبكر التي جرى العرف على لا تنشغل النساء فيها باعباء الولادة ٠

ومن بين الوسائل المستخدمة لمنع الحمل في مصر والكثير من دول العالم الثالث ما يعرف باسم فترة الامان ، واطالة فترة الرضاعة ، واللولب والتعقيم والاقراص فضلا عن الوسائل (الشعبيه) المتداولة ٠

[ب] الوسائل المستخدمة لمنع الانجاب (الاجهاض) :

يعرض الإجهاض طبيا بانه انتهاء الحمل قبل الاسبوع الثامن والعشرين أي في السبعة الاشهر الأولى من بداية الحمل أو خلال الستة اشهر الأولى فقط بدلا من سبعة ٠

وينقسم الاجهاض بدوره الى :

[١] الإجهاض نتيجة لظروف مرضيه تتعلق بالام أو الجنين ٠

[٢] الإجهاض العمدى : ويعرف بانه اخراج الحمل من الرحم في غـير موعده الطبيعى عمدا وبلا ضرورة وبأى وسيلة من الوسائل ·

وتبيح بعض الدول الإجهاض بينما تحرم بعض الدول الإجهاض تحريمـا تماما وبدون استثناءات كبوليفيا وكولومبيا ، والفيلبين وهناك مجموعة أخري من البلدان التي تستثنى فيها بعض حالات لأنقاذ ألام أو حالات الحمل السفاح كمصـر وإيران·

وهناك تقدير عفوى يوضح انه في كل سنه في السبعينيات كانت تحـدث اكثر من ٢٥ مليون حالة اجهاض عمدى (شرعي وغير شرعى) منـها نحـو ٦ مليون بالاتحاد السوفيتي ، ٥ مليون حالة سنويا في الصيـن ، ٢ مليـون حالـه لليابان ، ٥ مليون للهند ، وفى المانيا حوالي ٢ مليون ، مع اننا نعتقد أن الرقـم الفعلي لمن يمارسن الإجهاض سنويا كان يزيد عن هذا الرقم المعلن (٤) ·

ممارسـة تنظيم الاسـرة في العالـم :

مما لا شك فيه أن العمل في مجال تنظيم الأسرة يستلزم تكـاتف جـهود الخبراء في مجال الخدمة الاجتماعية والارشاد النفسى وجهود الاطباء في مجـالات الطب النساء والأطفال والعقم والطب العقلى والنفسى ، وهكذا تتحول مراكز تنظيـم الأسرة إلى مراكز للتخطيط الأسري ، ومن ناحية أخري فان الحمـلات الدعائيـة لتنظيم الأسرة تعد غير كافيه إذ لابد من تنمية الصلة الشخصيه بين فريق العمـل من جهة والازواج والزيجات الذين يستمرون في تجاهل استخدام وسـائل ضبـط النسل من جهة أخري للتعرض على الدوافع التي تجعلهم يتخذون هـذا الموقـف

فمن المعروف انه حتى وقت قريب كانت هذه المسألة يتم بحثها سرا مع الأفـراد المعنيين في الهند على سبيل المثال ٠

وقد أوضحت الدراسات أن ممارسة أساليب منع الحمل تنتشر في جميـــع انحاء العالم دون استثناء ففي أوروبا يعتمد اساســا علــى الإجـهاض – ســواء القانونى أو غير القانونى – ويلى ذلك " الحبوب " أما في آســـيا فـــان الوســيلة الأساسية هى " اللولب " ثم التعقيم واخيرا الحبوب وفى نهاية الســـتينيات قـــدرت عدد حالات الاجهاض في العالم بحوالي ٣٠ مليون حاله وقدر عدد من يستخدمون الوسائل (الصناعية) الأخرى بحوالي ٢٥ مليون حالة هذا بخلاف طـــرق منـــع الحمل (غير الصناعية) مع اننا نعتقد أن هذه الأرقام اقل بكثير مـــن المعـــدلات الفعلية التي تمارس هذه الوسائل في عالم اليوم ٠

استخدام وسائل منع الحمل في مصر :

بالرغم من أن وسائل منع الحمل كانت معروفة في العصر الفرعونـــى إلا أن البداية الحقيقية المنتظمه كانت في عام ١٩٣٧ حين طلبت الجمعية الطبية مـــن دار الافتاء معرفة رأى الدين في هذه المسألة واجابت الدار بانــــه لا مـــانع مـــن استخدام وسيلة مأمونة في حالة العجز عن التربية أو الخوف على صحة الزوجـــة ، وفى عام ١٩٥٤ ازداد اهتمام الدولة بهذة القضية فتأسست جمعيـــــة المســـائل السكانية " وتأسس عام ١٩٦٥ المجلس الاعلى لتنظيم الأسرة وبينما تعثرت هـــذه الدعوة لظروف حرب ١٩٦٧ فان المجلس ما لبث أن امتد بخدماته حتى بلغ عـــدد وحدات تنظيم الأسرة سنة ١٩٨٠ نحو ٣٧٠٠ وحدة إلى جانب ٣٥٠٠ صيدليـــة بل أن الدولة قد تبنت سنة ١٩٧٢ أول سياسية قومية لتنظيم الأسرة كما تأســـت

عام ١٩٧٩ لجنة عليا للاعلام السكاني كما يعبر الجدول التالى عـــن اســتخدام وسائل تنظيم الأسرة سنة ٢٠٠١ في مجموعة من دول العالم ٠

جـدول رقـم (٣٢)

استخدام النساء وسائل تنظيم الاسره

في مجموعه من دول العالم سنة ٢٠٠١

البلد	%	البلد	%
ايطاليا	٩١	مالاوى	٢٣
الصين	٨٤	رواندا	٢١
اسبانيا	٨٠	هايتى	١٨
كوريا الجنوبية	٧٩	اوغندا	١٥
البرازيل	٧٧	اثيوبيا	١٠
نيوزيلاند	٧٥	ارتريا	٨
فرنسا	٧٥	موازامبيق	٦
كوستاريكا	٧٥	غينيا	٦
كندا	٧٥	نيجيريا	٦
تايلاند	٧٢	تشاد	٤
كوبا	٧٠	افغانستان	٢
روسيا	٦٧	انجولا	١

المصدر : Aword of Difference pop. Action plan . 2001

يتضح لنا من هذا الجدول أن هناك فجوه بين الدول التي ترتفـــع فيـــها نسبة السيدات المستخدمات لوسائل منع الحمل وتلك التي تقل فيها هذه النسبة ؛

ولا يمكن الفرق في توفير الوسائل بل أن الفرق يتمثل اساسا في اختــلاف انساق القيم في المجموعة الأولى (باستثناء الصين حيث يتم اجبار السكان علــى استخدام هذه الوسائل) عنها في المجموعة الثانية ٠

وباستثناء بعض الدول التي ينخفض فيها الدخل مقارنه بجاراتها مثل كوبا وتايلاند والبرازيل وكوريا الجنوبيه فإن معظم الدول التي ترتفـــع فيـــها معـــدلات استخدام وسائل منع الحمل تتسم بمستوى معيشى طيب وتزداد فيها معدلات تعليـــم واشتغال المرأة ٠

والملفت للنظر أن معظم الدول التي تنخفض فيـــها الممارســـة كـــانجولا وافغانستان وتشاد هى من الدول الفقيرة التي تسود فيها القيم التقليدية التي تقـف عائقا في سبيل التنمية وتنخفض فيها مكانه الانثى ويزداد فيها الاعتداد بالعصبيـــة والعزوه بينما يتاح للرجل فيها الزواج باكثر من زوجة ٠

كما يعبر الجدول التالى رقم (٣٣) معدل انتشار وسائل منع الحمـــل فـــي المجتمع المصري سنة ١٩٩٥ ٠

جـدول رقـــم (٣٣)

معدل انتشار وسائل منع الحمل سنة ١٩٩٥ فى مصـــر

المنطقة	%
المحافظات الحضرية	٥٨,١
الوجه البحري	٥٥,٤
حضر	٥٩,١
ريف	٥٣,٨
الوجه القبلي	٣٢,١
حضر	٤٩,٩
ريف	٢٤
محافظات الحدود	٤٤
اجمالى الحضر	٥٦,٤
اجمالى الريف	٤٠,٥
الإجمالي	٤٧,٩

المصدر : تقرير التنمية البشرية – ١٩٩٦ – ص ١٥٥

ويتضح من هذا الجدول أن حضر الوجه البحري وحضر المحافظات قـــد حققا اعلى نسب الانتشار لوائل منع الحمـــل ٥٩,١ ، ٥٨,١ علـــى التوالـــى وان الوجه القبلي قد حقق اقل نسب الممارسه ٣٢,١ % ويعد ريف الوجه القبلي الأقل نسبه إذ تصل إلى ٢٤% فقط .

ومن الواضح هنا أن المناطق الحضرية تستحوذ على اعلى النسب حيث يزداد الوعي وتزداد مشاركة المرأة في العمل خارج المنزل وفى اوجه النشـــاط الاجتماعي والثقافى والاسهام في الجمعيات الاهليه والانديه والانشطة العامه ٠

وهذا يعنى أن تعليم الانثى وعملها خارج المنزل ووعيها وسياده المنـــاخ الديموقراطى داخل المنزل يؤدى إلى الاتفاق على تنظيم انجاب الأطفــال وحســاب التكلفة المرتبطة بالابناء قبل التفكير في الحمل والولادة ٠

جـــدول رقم (٣٤)

المقارنه بين السيدات المتزوجات

والممارسات لوسائل منع الحمل سنة ١٩٨٨ / ١٩٩٢

المحافظة	١٩٨٨	١٩٩٢
المحافظات الحضرية	٥٦	٥٩,١
القاهرة	٥٨,٩	٥٨,١
الإسكندرية	٥١,٦	٦٢,١
بورسعيد	٤٨,٢	٦٠,٥
السويس	٥٠,٣	٥٧,٣
الوجه البحري	٤١,٢	٥٣,٥
دمياط	٥٤,١	٥٣,٤
الدقهلية	٤١,٣	٥٢,٨
الشرقية	٣٥,٢	٤٩,٢
القليوبيه	٤٢,٣	٥٧,٩
كفر الشيخ	٤١,٧	٤٧,٢
المحافظة	١٩٩٨	١٩٩٢

الغربية	٥٠,١	٥٥,٩
المنوفية	٤٣,٩	٥٥,٧
البحيرة	٣٢,٥	٥٤,٧
الاسماعيلية	٤٣,٤	٥٠,٢
الوجه القبلي	٢٢,١	٣١,٤
الجيزة	٥٤,٧	٤٩,٩
بني سويف	١٥,٣	٢٩,٢
الفيوم	٢٠,٢	٣٣,٣
المنيا	١٦,٦	٢١,٩
أسيوط	١٢,٧	٢٨,٢
سوهاج	١٦,٢	١٩,٨
قنا	١٢,٢	٢٤,٧
اسوان	١٨,٦	٣١,٩
الإجمالي	٣٧,٨	٤٧,١

المصدر :: المسح السكاني الصحي مصر ١٩٩٢ ، اصدار المجلس القومي للسكان معهد تطوير الموارد (ماكرو) مارس ١٩٩٣ ، ص ٣٧ .

ومن الواضح هنا ارتفاع النسبة سنه ١٩٩٢ مقارنه بسنة ١٩٨٨ من ٣٧,٨ % إلى ٤٧,١ مما يعنى أن الاتجاهات والقيم اصبحت في مصلحة التنظيم وبخاصة في المناطق الحضرية .

(*) تنظيم الأسرة في مصر :

الوعـــي – الممارسة :

من المعروف أن الاتجاه نحو تنظيم الأسرة يقصد به معرفة رأى النـــاس في التنظيم كما أن المقصود بالوعى بتنظيم الأسرة هــو ادراك الإنســان لماهيــة التنظيم في ضوء الظروف والاوضاع الاجتماعية والاقتصاديـــة والثقافيــة التــي يحياها ويعيش فيها الإنسان واسرته وفـــى إطـــار البيئـــة الاجتماعيـــة والنظـــم الاجتماعية القائمه ، إذ يختلف الموقف من التنظيم باختلاف الخصائص الإنســانية كالسن ، والنوع ، والمهنة ، والمستوى التعليمى ، والوضـــع الطبقـــى ، ونـــوع المهنة ، وغيرها من الخصائص كما أن التنظيم هو نتـــاج لخصوصيـــة الزمـــان والمكان والمناخ الاجتماعي والثقافى الذي يعيش في ظله الإنسان .

ومن المعروف أن الوعي بالمسألة السكانية والوعي بقضية تنظيم الأسرة يعكس وعيا بالوجود الاجتماعي (بكـــل تنوعـــه) وبـــدور التخطيـــط الأســـري والاجتماعي في القضية السكانية ، وهو بدوره انعكاس لطبيعـــة العلاقـــات داخـــل النظام الأسري في المجتمع وبموقع الأسرة في البناء الاجتماعي برمته ، وبعبـــارة أخري فالوعى والادراك هنا يعكس الوضع الطبقى والخصائص العصرية والنوعيـــة ، والتعليمية والمهنية والثقافية التي تعيش في ظلها الأسرة ووجودها الاجتمـــاعي كما يعبر الاختلاف بين الوعي باهمية التنظيم وممارسته عن اتساع الفجوة بيـــن الادراك والعقل .. بين القول والعمل .. بين الواجب والواقع .

(*) قام بهذه الدراسة . ثروت اسحق : في دراسات ســكانية – المجلــد ١٥ – العــدد ٧٧ – يناير / مارس ١٩٩٣ .

أما الممارسة فهي استخدام وسائل منع الحمل يقصد تنظيم عملية الانجاب بصورة فعلية بالنظر إلى امكانيات الأسرة والظروف الاجتماعية القائمه .

١ - أهمية الدراسة المعروضة :

يشير تنظيم الأسرة إذا إلى أن لكل اسرة حدا اقصى من الأطفال لا يمكن تجاوزه إلا على حساب امكانياتها الاقتصادية - الاجتماعية - الجسدية - والنفسية ، ولذا يعتبر ادراك المسألة السكانية والوعى بقضية تنظيم الأسرة ضروريا إذا تضمن ذلك تبصير الناس بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الثقافيه والجنسية الخاصة بالسكان (المراد اقناعهم) ومن هذا المنطلق تصبح وظيفة التخطيط السكاني Population planning التحكم الواعى في حجم وتوزيع وخصائص السكان - في ضوء دفع عجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع - مع الاهتمام بالتعليم ، وتوفير فرص العمل (لاسيما للاناث) ، وزيادة فاعلية المشاركة السياسية والاهتمام بالعدالة الاجتماعية ، ومد مظلة التأمينات الاجتماعية للشرائح الفقيرة ، وكفالة حقوق الطفل والقضاء على التفاوت بين الطبقات (*) .

(*) فى سنة ١٩٧٠ بلغ عدد سكان الكرة الأرضية ٣,٥ بليون نسمة غير أن الإنسان سيضيف ٣,٥ بليون أخري حتى سنة ٢٠٠٥ ومعظم الزيادة من نصيب العالم الثالث وحده ، أما العالم العربي فقد ارتفع حجم سكانه من ١٦٧ مليون نسمة سنة ١٩٨١ إلى ما يزيد على ٢٠٠ مليون نسمة في مطلع التسعينيات . ومعظم الزيادة السكانية هى من نصيب الدول العربية الفقيرة كالسودان والصومال وجيبوتى واليمن وغيرها ..

وقد قفز عدد سكان مصر من ٣٥ مليون نسمة سنة ١٩٧٣ إلـــى ٤٩ مليون نسمة سنة ١٩٨٥ ثم إلى ٥٦ مليون نسمة ســـنة ١٩٩٠ أي أن حجـم السكان قد ازداد نحو ٢١ مليون نسمة في ١٧ عاما فقط .

ومع أن البعض يعتبرون المسألة السكانية في مصر قضية وليست مشكلة وان هذه القضية أن هى إلا نتيجة للمشكلات الاقتصادية والتفاوت في توزيع الدخل إلا أن البعض الأخر يعول على أن نسق القيم في بلدان العالم الثالث – ومن بينــها مصر – يشجع على ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية التي تبلغ من ٣٠ إلى ٣٥ فـــي الآلف في بعض البلدان العربية كسوريا والاردن وغيرها ، ومـــن٢٠ : ٢٥ فـــي الآلف في مصر .

والملفت للنظر أن نتيجة الحروب التـــي اجتازتــها مصــر منــذ نهايـة الاربعينيات والتخبط في السياسات الاجتماعية – الاقتصادية ازداد حجم الدين كمـا أن هذا العجز الجارى في ميزان المدفوعات ظل يثقل كاهل المجتمـع بالالتزامـات ويدفع المجتمع لطلب المزيد من القروض ، ومن هناك تبدو الحاجه ماسـة لربـط المسألة السكانية بالمتغيرات الاجتماعية – الاقتصادية مما يدعم الجهود المبذولـة لتخفيض معدل المواليد والوصول بعدد السكان إلى الحد الذي يسهل توظيفه لدفـع عجلة التنمية الاجتماعية والاقتصاديـــة .

والواقع انه مع أن القضية السكانية لا تتحول إلى مشـــكلة إلا فـــي ظـل تخلف البنية الاجتماعية – الاقتصادية وتدنـــى البنيـة الأساسـية والتضـارب والقصور في السياسة الاجتماعية بصفة عامة والسكانية بصفـــة خاصـة فانــها واحدة من ابرز التحديات الاجتماعية نتيجة لانخفاض الناتج المحلى .

٢ – اشكاليـــة الدراســـة الراهنـــة :

خلال سنة ١٩٨٩ قامت مؤسسة اليونسكو بتكليف قسم طب المجتمـــع والبيئة بكلية الطب – جامعة عين شمس – باجراء دراسة عـــن ظـــاهرة تنظيـم الأسرة في المجتمع المصري ، وقد شرف الباحث بالمشاركة مع اعضـــاء هيئـة التدريس بقسم طب المجتمع في اعداد الاطار التصورى والاجـــراءات المنهجيـة للدراسة ، ما شرف بمهمة الاعداد للعمل الميدانى وتدريب الباحثين والمشاركة في الاشراف على مراحله المختلفة ، وتدريب فريق البحث الميدانى المكون من بعـض المعيدين والمدرسين المساعدين بقسم الاجتماع ومعهد الدراسات والبحوث البيئيـة وكلية الطب بجامعة عين شمس فضلا عن ثلاثة مـــن الاخصـــائيين الاجتمـــاعيين الذين تم تدريبهم وشاركوا في تطبيق استمارة المقابلة (*) .

وقد بلغ عدد الباحثين اثنى عشر باحثا اختيروا بعنايـــة بـــهدف تجربـة صحيفة الاستبيان وتطبيقها في محافظتين من المحافظات الريفية – الحضريـــة ، هما محافظتى المنيا والقليوبية في صيف ١٩٩٠ .

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن الاتجاهات المتعلقة بتنظيم الأســـرة ، وعن معدل الممارسة في ريف وحضر الوجهين القبلي والبحرى ودراسة العلاقـــة بين الوعي والممارسة مع تحليل ابعاد الفجوة القائمة بين الوعي والممارســـة أن وجدت .

(*) يود الباحث هنا أن يعبر عن شكره وتقديره للدور الذي قام به الاستاذ الدكتور / ماهر مهران والجهد الذي قام به السيد / الدكتور / محمد الديك– ممثل اليونســكو لاتمـــام هذه الدراسة .

والواقع أن وجود هوه بين المعرفة والممارسة تشكل مشكلة حقيقية في المجتمع ٠

كما أن هناك هوه مماثلة بين الوجه القبلي والوجه البحري تكشف عن اختلاف الوعي بين صعيد مصر والوجه البحري ويعنى ذلك أن ادراك الوجود الاجتماعي وما يرتبط به من وعى يختلف نتيجة لتخلف البنية في الوجه القبلي نظرا لحرمان هذه المناطق من ثمار التنمية الاجتماعية والاقتصادية إذا قورنت بالوجه البحري ٠

أما الهوه بين الريف والحضر فتمثل مشكلة أخري لا يجوز التهوين منها فالقرية المحرومة من الخدمات والتي يعانى سكانها من تدنى أساليب الإنتاج تجسد مشاكل الفقر والاميه وتدنى الخصائص الاجتماعية للسكان فيها ٠

وتنهض دراستنا - كما ذكرنا - على تصور اساسى مؤداه أن الوعي يتأثر تماما بالوجود الاجتماعي وان الادراك المتصل بالمسألة السكانية يتصل بالشروط البيئية والاوضاع المادية التي يعيش في ظلها الناس كأوضاعهم الطبقية ومهنهم ومستواهم التعليمي والمنطقة التي نشأوا فيها - ريفية كانت ام حضرية - والتي تؤثر فيهم ٠

وهناك عدة تساؤلات تثيرها الدراسة الراهنة من بينها :

١ - ماهى الأبعاد المتعلقة بتنظيم الأسرة في المجتمع المصري ؟

٢ - هل هناك فجوة بين الوعي بالمسألة السكانية وبأهمية تنظيم الأسرة في مصر وبين الاستخدام الفعلي لاساليب منع الحمل ؟

٣ - هل هناك فرق بين الموافقة وممارسة تنظيم الأسرة على مستوى :

أ] الأزواج والزوجات في الأسرة ٠

ب] الوجهين القبلي والبحرى ٠

ج] المناطق الريفية والحضرية ٠

د] حقبتى السبعينيات والتسعينيات ٠

- المجال الزمنى : بدأ الاعداد لمشروع الدراسة منذ منتصف سنة ١٩٨٩ ، كما تم اعداد الاستمارة وتجربتها في النصف الأول من سنة ١٩٩٠ واجريت الدراسة الميدانية في صيف سنة ١٩٩٠ ، واستغرقت مراجعة الاستمارات والعمليات الاحصائية واستخراج النتائج بنحو ٦ شهور (حتى نهاية سنة ١٩٩٠) ٠
- المجال البشرى : سكان محافظتى القليوبية والمنيا ٠
- المجال الجغرافى : في القليوبية ، وقع الاختيار في حضر القليوبية على مدينة بنها (منطقتى الموالح والمنشية) ووقع الاختيار على قريتين هما قرية جمجرة والحو فيين ٠

أما في محافظة المنيا فوقع الاختيار على مدينة سمالوط (منطقتى المساكن الشعبية ومساكن الزراعة) ووقع الاختيار على قرية الطيبة وتوابعها (الزكايبية والكيلانى) للقيام بالدراسة الحقلية ٠

العينـــــة :

٥٥٦ أسرة منها ٢٧٥ بالوجه القبلي ، ٢٨١ بالوجه البحـــري ، وقــد طبقت الاستمارة على الزوجين حسبما يتضح من الجدول التالى :

جـدول رقـــم (٣٥)

المنطقة	الاقليـــــم					
	المنيا		القليوبية		المجموع	
	زوج	زوجه	زوج	زوجه	زوج	زوجه
حضر	١٣٥	١٣٥	١٤٦	١٤٦	٢٨١	٢٨١
ريف	١٤٠	١٤٠	١٣٥	١٣٥	٢٧٥	٢٧٥
المجموع	٢٧٥	٢٧٥	٢٨١	٢٨١	٥٥٦	٥٥٦

الأدوات :

استخدمت صحيفة الاستبيان حيث اشتملت الاستمارة في صورتها النهائية بعد تجربتها على ٣٦ سؤالا للزوج طبقت بواسطة باحثين شبان بينمـــا اشــتملت استمارة الزوجة على ٣٧ سؤالا ثم تطبيقها بواسطة باحثات ميدانيات حرصا علــى العادات والتقاليد السائدة في المناطق الريفية على وجه الخصوص ، وقد استعانت هيئة البحث باحد الخبراء للاشراف على عمليات " التكويد" والتفريغ وتم استخراج الارتباطات بواسطة الحاسب الآلي بعد ذلك (*)

(*) يتوجه الباحث بالشكر والامتنان للسيد الدكتور المرحوم / رفقى فارس رئيس قسم طب الصناعات بكلية الطب جامعة عين شمس الذي تولى الاشراف على البحث والدكتــورة منها الجعفرى المدرس المساعد بطب عين شمس لجهدها في اخراج الدراســـة فــي صورتها النهائية .

٣ - نـــوع الدراســـة :

هى دراسة وصفية مقارنة بين الريف والحضر وبين عينة الوجه القبلي والبحرى في التسعينات غير اننا حاولنا أن نقارن النتائج الهامه مع مثيلتها في السبعينيات حيث قمنا بفحص استمارتى الدراستين (في السبعينيات والتسعينيات) واستخرجنا منهما الجوانب المشتركة التة تفيد في عملية المقارنة وطبيعى أن تختلف صياغة بعض الاسئلة بصورة بسيطة غير انها تعبر عن المضمون نفسه في نهاية الامر مما يسهل عملية المقارنة ٠

امثلة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية المؤثرة في نسق القيم وتشكيل الاتجاه وممارسة تنظيم الأسرة ، هناك مجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت في الربع قرن الأخير واثرت بصورة كبيرة في نسق القيم في المجتمع المصري بصفة عامة وفى تشكيل الاتجاه والممارسة المتعلقة بتنظيم الأسرة بصفة خاصة من بينها الهجرة الخارجية ، والانفتاح الاقتصادي والتعليم الرسمى وغير الرسمي وانتصار مصر في حرب اكتوبر وازدياد معدل التصنيع والتحضر وقد ادت هذه المتغيرات وغيرها إلى تحولات اجتماعية واقتصادية في بنية المجتمع وانساقه الاجتماعية بصفة عامه والاتجاهات المتعلقة بالخصوبة والسلوك الإنجابي بصفة خاصة ٠

ولسنا بمعرض الحديث عن جميع المتغيرات المجتمعية التي حدثت في السنوات الاخيرة بل سنعرض لبعض المتغيرات المحورية أثناء عرضنا للدراسة الميدانية المتعلقه بتنظيم الأسرة والاتجاهات المتعلقة بها في الريف والحضر ٠

مناقشة النتائج الدراسة :

تفصح نتائج الدراسة الراهنة عن أن القضية السكانية – وهى افراز للبنيه الاجتماعية كما انها من ابرز محدداتها – تحتل موقعا متميزا في النظام الأسري ، وفى النسق الثقافي وفى تفكير الناس في المجتمع وفى الوقت الذي تتدنى الخصائص الاجتماعية والديموجرافية والاقتصادية للسكان تتحول قضية السكان إلى واحدة من التحديات الاجتماعية الكبرى في المجتمع .

غير أن هناك تحديا اشد خطورة يلحق بهذه القضية حين تتسع الفجوة بين الوعي بالمسألة السكانية والتخطيط السكاني ودور تنظيم الأسرة في المجتمع وبين الاستخدام الفعلى لوسائل منع الحمل في الأسرة ، وفى الحالة الاخيرة يصبح من واجب الباحث أن يحلل هذه الفجوة بين الفكر والقول من جهة وبين الممارسة الفعلية للوسائل الصناعية من جهة أخري ، كما يستحسن أن يقارن بين الثقافات الفرعيه في المجتمع (كالريف والحضر ، والوجه القبلي والبحرى) والازواج والزوجات داخل الأسرة ، وان يمتد بنظره للمقارنه بين سنوات مختلفة في حالة تشابه الظروف والمتغيرات موضوع الدراسة .

ولا ينبغي أن يفهم من هذا اننا نجزم بان ممارسة التنظيم هو السبيل الاوحد للتعامل مع الظاهرة السكانية ، غير اننا نفترض أن يتسق ادراك اهمية التنظيم مع الممارسة الفعلية له وان تتسق الموافقة اللفظية مع الاستخدام العملى لوسائل منع الحمل في الأسرة وان تتسق اتجاهات الأزواج مع الزوجات .

[١] الخصائـــص السكانية :

[أ] بالنسبة للمهن المختلفة توجد دلالة على مستوى ٠,٠١ بين من يستخدمون ومن لا يستخدمون وسائل منع الحمل لصالح من يستخدمون في مجال مهن الخدمات ، والمهن الفنيه ، والحرف اليدوية ، واعمال البناء ، بينما توجد دلالة عند مستوى ٠,٠٥ لصالح من لا يستخدمون في مهنة الزراعة وبعبارة أخري فان عمال الزراعة اقل اقبالا على التنظيم من عمال المهن غير الزراعية أما بالنسبة للزوجات العاملات (خارج المنزل) فقد اتضح أن هناك دلالة عند مستوى ٠,٠١ بالنسبة لمن تستخدمن وهو ما يوضح العلاقة بين عمل المرأة والتنظيم .

[ب] كما انه بالنسبة للتعليم بمقارنه من يستخدمون من الأزواج ومن لا يستخدمون وسائل منع الحمل اتضح انه لا توجد دلالة بالنسبة للامى ولمن يقرأ ويكتب ، بينما توجد دلالة عند مستوى ٠,٠٥ للمراحل الابتدائية والاعدادية ، كما توجد دلالة عند مستوى ٠,٠١ بالنسبة للازواج الذين حصلوا على شهادات متوسطة أو عليا بالمقارنة بمن لا يستخدمون ، أما عن تعليم الزوجة فقد ثبت كذلك انه لا توجد دلالة بالنسبة للاميات والمنمات بالقراءة والكتابه (متصلة باستخدام الوسائل)، بينما اتضح انه توجد دلالة عند مستوى ٠,٠١ بالنسبة للزوجات المتعلمات في مراحل التعليم المختلفة والاقبال على التنظيم حيث تصل قيمته إلى ٦,٢ في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية ، كما بلغ ٥,١ في مرحلة التعليم العالى وبعبارة أخري فان الزوجه المتعلمه اكثر اقبالا على التنظيم من غير المتعلمات .

[٢] الريف والحضر في الوجهين القبلي والبحري :

[أ] الواقع انه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية بين ريف المنيا وريف القليوبية بالنسبة لظاهرة الوعي بتنظيم الأسرة كحل للمشكلة السكانية وكذلك بين حضر المنيا والقليوبية كحل للمشكلة السكانية وكذلك بين حضر المنيا والقليوبية إلا أن هناك فروق ذات دلالة احصائية مقدارها ٠,٠١ بين ريف المنيا وريف القليوبية وبين حضر المنيا وحضر القليوبية لصالح ريف وحضر المنيا بمعنى أن عينة ريف وحضر المنيا كانت اقل وعيا بالتنظيم كحل للمشكلة السكانية بالمقارنة بريف وحضر القليوبية ، كما أن عدم الوعي بالنسبة للدرجة الكلية في صالح الوجه القبلي عموما حيث تصل قيمته إلى ٢,١ وتوجد دلالة عند مستوى ٠,٠١ .

ويعد هذا انعكاسا للظروف الاقتصادية والاجتماعيةوالثقافية التي تشكل بدورها نسق القيم التقليدى في الجزء الجنوبى من ارض مصر ٠

وتكشف المقارنه بين الريف والحضر عن أن هناك فروق ذات دلالة بين غير المدركين بانه يمكن حل المشكلة السكانية من خلال تنظيم الأسرة في الريف والحضر عند مستوى ٠,٠٥ بمعنى أن غير الواعين بدور تنظيم الأسرة اكثر اتصالا بالريف عنها بالحضر وتفصح المقارنه بين اعتبار تنظيم الأسرة هو الحل للمشكلة السكانية عن عدم وجود فروق ذات دلالة بين الريف والحضر ٠

فالجميع يقررون بانهم على دراية بهذا بينما يوجد فرق ذات دلالة عندما تصل إلى مرحلة الممارسة الفعلية عند مستوى ٠,٠٥ لصالح الحضريين بمعنى أن الحضريين يدركون اهمية التنظيم ويمارسونه باكثر مما يفعل الريفيين الذين قد

يجاهرون بالوعي ويعرفون نسبيا عن الممارسة ، فمعدل الوعي باهمية الظاهرة في الريف ٧٦,٢ % والممارسة ٣٢,٨% وتبلغ قيمته ٢,١ ، ويوجد فرق ، ذات دلالة عند مستوى ٠,٠٥ يعكس الفجوة بين الادراك والوعي والممارسة في الريف بصفة عامة (في الوجهين البحري والقبلي) ٠

[ب] بالنسبة للموافقة التي ابداها افراد العينة على تنظيم الأسرة فقد اتضح أن هناك فروق ذات دلالة بين ريف المنيا وريف القليوبية حيث بلغت قيمتها ١,٨٩ ويوجد فروق ذات دلالة عند مستوى ٠٠٠٥ بمعنى أن عينه ريف القليوبية اشد موافقة على تنظيم الأسرة من ريف المنيا . بينما لم توجد فروقا تذكر بين عينة حضر المنيا وحضر القليوبية ، وبالنسبة لغير الموافقين فقد اتضح أن هناك فروق ذات دلالة لصالح ريف المنيا (بالمقارنة بريف القليوبية) عند مستوى ٠٠٠٥ وحضر المنيا (بالمقارنة بحضر القليوبية) عند مستوى ٠٠,٠١ بمعنى أن عدم الموافقة اشد اتصالا بريف وحضر الوجه القبلي بالمقارنة بريف وحضر الوجه البحري ، كما اتضح بالنسبة للدرجة الكلية أن هناك فرق ذات دلالة في الموافقة على تنظيم الأسرة لصالح محافظة القليوبية عند مستوى ٠٠,٥ وفرق ذات دلالة لغير الموافقين لصالح عينه المنيا ٠

ويؤكد هذا ما سبق أن ذكرناه من أن الموافقة اللفظة اكثر ترددا بين اسر الوجه البحري وان عدم الموافقة اكثر ترددا بين اسر الوجه القبلي حيث تزداد اهمية العصبية وقيمة العزوة بين السكان ٠

[٣] المقارنه بين الأزواج والزوجات :

بالنسبة لموافقة الأزواج والزوجات على تنظيم الأسرة اتضح انه لا توجد فروق ذات دلالة بالنسبة للازواج بين ريف المنيا وريف القليوبية كما اتضح انه لا توجد فروق ذات دلالة بين الأزواج في حضر المنيار وحضر القليوبية ، بينما

توجد فروق ذات دلالة بين غير الموافقين لصالح عينة المنيا سواء بين ريف المنيا وريف القليوبية أو بين حضر المنيا وحضر القليوبية عند مستوى ٠٠٠١ لصالح محافظة المنيا أما بالنسبة للدرجة الكلية فقد اتضح انه لا توجد فروقا تذكر بين الأزواج في المنيا (في الريف والحضر) والازواج في القليوبية (في الريف والحضر) ٠

غير أن هناك فرقا ذو دلالة بالنسبة للدرجة الكلية لغير الموافقين بين الأزواج في المنيا (الريف والحضر) والازواج في القليوبية (الريف والحضر) لصالح المنيا عند مستوى ٠٠٠١ بمعنى أن غير الموافقين اكثر اتصالا بالوجه القبلي عنها بالوجه البحري وغير خاف أن نسق القيم التقليدى في الصعيد يؤكد على سرية وخصوصية موضوع تنظيم الأسرة من جهة كما يؤكد على أن للأسرة قيمها الخاصة التي تتعلق بامكان عدم الموافقة على التنظيم باعتباره يهدد تماسك العصبية ويقلل من هيمنتها ومكانتها بمرور الوقت ٠

وتفصح المقارنة بين الأزواج والزوجات عن عدم وجود فروقا ذو دلالة بين الزوجات الموافقات على التنظيم سواء بين ريف المنيا وريف القليوبية أو بين حضر المنيا وحضر القليوبية غير أن هناك فروقا بين الزوجات غير الموافقات في ريف المنيا وبين غير الموافقات في ريف القليوبية حيث تصل قيمة ت إلى ٦,٢% وهناك فرق ذات دلالة عند مستوى ٠٠٠١ لصالح المنيا كما أن هذا الفرق يزداد في حضر المنيا وحضر القليوبية بالنسبة لغير الموافقات لصالح المنيا حيث تصل قيمة ت إلى ٩.٩ عند مستوى ٠٠٠٠١ وبينما لم تظهر هناك فروقا تذكر بين الزوجات الموافقات بين محافظة المنيا (الريف والحضر) والزوجات في القليوبية (الريف والحضر) فان هذا الفرق يزداد وضوحا بالنسبة لغير الموافقات لصالح المنيا وتبلغ قيمة ت ٦,٣ عند مستوى ٠,٠٠١ وبعبارة أخري فان غير الموافقات اكثر اتصالا بالوجه القبلي منها في الوجه البحري حيث

تقف القيم والاتجاهات التقليدية احيانا في وجه الموافقة على تنظيم الأسرة ، والملفت للنظر انه يوجد فرقا ذو دلالة احصائية بين الأزواج والزوجات في حضر المنيا وبالنسبه لعدم الموافقة على التنظيم لصالح الأزواج وكذلك يوجد فرق ذات دلالة احصائية بين الأزواج ، والزوجات في ريف القليوبية بالنسبة لعدم الموافقة لصالح الأزواج . كما أن هناك فرقا ذو دلالة احصائية بين الأزواج و والزوجات في حضر القليوبية بالنسبة لعدم الموافقة عند مستوى ٠,٠١ لصالح الأزواج وبعبارة أخري فالزوج في ريف وحضر القليوبية وحضر المنيا اشد تمسكا بعدم الموافقة من الانثى ولعل تغيب ريف المنيا هنا يحمل مجاملة للباحثين الذكور اكثر منها تعبيرا عن موقف مخالف للمناطق الثلاث السابق الاعلان عنها (*) .

وغير خاف أن الزوج يعتبر نفسه محقا ومسئولا عادة عن قضية عدم الموافقة فهو صاحب القرار – وبخاصة في حالة الرفض والاكثر دراية بامور دينه ودنياه والاكثر انشغالا بقضية العصبية والتماسك القبلي عن زوجته .

تعقيب :

ربما أمكن تفسير ازدياد نسبة من ينظمون اسرهم في العينة عن مثيلتها في الجمهورية ، وفى مسح الخصوبة القومى إلى ارتفاع معدل الأزواج المتعلمين (للمرحلة الثانوية فاعلى) والمشتغلين بالمهن الفنيه من ارتفاع معدل الزوجات المتعلمات والمشتغلات باجر خارج المنزل في العينه عنها على مستوى الجمهورية في تعداد سنة ١٩٨٦ ويرجع هذا نسبيا إلى تأثير التحضر ومصاحباته كما أن القرى المدروسة قد تعرضت للتغيرات المجتمعية إذ خضعت لآثار الانفتاح

(*) هناك جمعيه تطوعيه تعمل على توعيه الزوجات ومساعدتهم على استخدام وسائل منع الحمل .

الاقتصادي والهجرة الخارجية ، ففى قرية الطيبة التابعة لمحافظة المنيا والتي شهدت معدلات كبيرة للهجرة للبلدان العربية لا تخطيء العين وجود عشرات البيوت التي شيدت على ارض زراعية على الطراز الحديث فضلا عن انتشار محلات " السوبر ماركت " التي تبيع الدجاج المثلج والعصائر وغيرها ، وفي بنها وسمالوط يتلاحظ انعدام التجانس داخل الأحياء حيث تتجاوز المساكن اللوكس ونصف اللوكس تجاورها العشش الفقيرة كما يزخر الشارع بخليط غير متجانس من العربات " الكارو " والعربات الحديثة. فأثار الازدواجيه الحضرية لا تخفى عن عين الملاحظ .

والملفت للنظر أن الأسر هنا لا تفكر عادة في التنظيم إلا بعد أن يتضخم حجمها إذ أن نسبة الأسر التي يزيد حجمها الان عن ستة افراد تصل إلى نحو نصف مجموع الأسر في العينه المدروسة (٤٦,٢) وهى بالتالى اسر كبيرة الحجم . للاساليب الصناعية لمنع الحمل التي ربما ازداد تأثيرها في الوجه القبلي أي في جنوب مصر عنها في الشمال .

ورغم أن الهجرة الخارجية بقصد العمل فى البلدان العربية قد باعدت في الواقع بين الزوجين مما يقلل من فرص الانجاب عادة لاسيما لدى الشرائح الفقيرة خاصة إلا أن العودة السنوية للزوج والتحسن المستمر في مستواه المادى وامية الزوجين أو انخفاض مستواهما التعليمى ، وعدم اشتغال المراة قد ساعد على زيادة معدل الانجاب في القرية والاحياء الشعبية (في المدينة) على حد سواء ، بينما تشجع الضغوط الاقتصادية في هذه المناطق عنها من لم تساعدهم ظروفهم على الهجرة على اعتبار الطفل وحدة يمكن استغلالها – بتشغيلها – لمواجهة متطلبات المعيشة .

وقد كشفت نتائج الدراسة الميدانيــة علــى أن الزوجيــن الحضريــن المتعلمين والعاملين بخاصة في مجال المهن غير الزراعية ، والذيــن يحصلــون على اجر مرتفع اكثر ميلا للتنظيم من اقرانهم الريفيين الاميين الذين تزوجوا فــي سن مبكرة وبخاصة حين يعمل الأزواج عادة بالزراعة (لدى الغير أو في حـــدود مليكاتهم القزميه) بينما تستقر الزوجات داخل المنزل ومن الواضــح أن اسـلوب الإنتاج القائم ونسق القيم التقليدى يشجع عمل الأبناء في سن صغيرة ٠

ومن الأمور الطريفة التي استرعت النظر في قريـــة الطيبــة أن بعــض النسوة اللاتى كان مستواهن التعليمى مرتفعا قليلا عن ازواجـــهن (حيــث يتــم الزواج هنا لاسباب اجتماعية كزواج الاقارب او بقصد الاقتران بالمـــهاجر العــائد المقتدر ماديا) قد استخدمن أساليب منع الحمل (كالحبوب والاقراص الموضعيــه بصفة خاصة) بينما اعتقد الأزواج أن عدم الحمل هنا يرجع لاسباب خارجة عــن الارادة أو لا ذنب لزوجاتهم فيه ، ولسان حال الزوجه هنا انه طالمـــا أن الــزوج يصر على عدم التنظيم وانها تتحمل بصفة خاصة تبعات القادم الجديد فلا منـــاص من أن تتخذ قرارها دون أن تحيطه علما به ٠

غير اننا في النهاية نلفت النظر إلى انه من العبث التفكير في زيادة معــدل التنظيم دون التفكير في الارتباط الفعال بين الممارسة والخصـــائص الاجتماعيــة والسكانية وانه يتعذر تغيير الاتجاه المتعلق بتنظيم الأسرة دون تغيير نسق القيـــم والظروف الاجتماعية والاقتصادية المصاحبة والمحيطة بـــها ، فتنظيـم الأســرة والتخطيط السكاني يتصلان بالتنمية الاجتماعية الاقتصادية والثقافية ولا ينفصـــلان

عن التغييرات المادية الهيكلية التي تتفاعل والتكوين الاجتماعي الاقتصادي ونسق القيم برمته في المجتمع المصري .

كما انه مما لاشك فيه انه بينما تعد المسألة السكانية هنا انعكاسا لبنية اجتماعية متخلفة نتيجة لتدني الخصائص السكانية والاجتماعية ، وبطء معدل التنمية وانخفاض دخل الفرد ، وازدياد التفاوت الطبقي ، والخلل في معايير العدالة الاجتماعية والتخبط في السياسات الاجتماعية والتخطيط السكاني فان نقص معدل التنظيم يؤدى في الوقت نفسه إلى زيادة معاناة الفقراء وتفاقم المشكلات في الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع .

فتنظيم الأسرة في حالة تدني الانتاج تمثل تحديا بالنسبة للبلدان الناميه التي تعاني من تدني خصائصها الاجتماعية والسكانية وهي ترمز لتحدى الفئات الفقيرة التي تعتبر الأولاد وحدة اقتصادية فتعارض توصيات الدولة الخاصة بتنظيم الانجاب .

ويهمنا في النهاية أن نشير إلى خدمات تنظيم الأسرة في الدول العربية والاسلامية التي تحصل جميعا في تنظيم الأسرة فيها على مساعدات من الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة وهى افغانستان ، والجزائر والبحرين ، ومصر ، والعراق والسودان وسوراي وتونس ، واليمن حيث يصل اجمالي سكان هذه البلدان ٢٠٤ مليون نسمة في مطلع التسعينيات وانتشر في هذه البلدان ٦٦٣ عياده ويصل عدد الزوجات المتقبلات لخدمات تنظيم الأسرة ١،٠٩٦.٧١٣ بينما تم تحصر ٢٠٤,٣,٥٢ زوجه من المتقبلات الجدد لتنظيم الأسرة حيث يصل عدد العاملين في جمعيات تنظيم الأسرة ٢٢٧٧ .

والحقيقة أن هذا النشاط المتصل بجمعيات تنظيم الأسرة واللجنة التنفيذية لاقليم العالم العربي يتصل كذلك بمجموعة من المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تعكس بدايه انطلاق التخطيط السكاني في هذه البلدان حيث يصل اجمالى الناتج الوطنى بالنسبة للفرد بها (بيانات ١٩٩٢) ١٠٧٠ دولار ، ومعدل معرفة الإناث للقراءة والكتابة ٣٠% بما يعكس إلى حد ما وعيا باهمية التنظيم بينما يصل معدل انتشار الوسائل الحديثة لتنظيم الأسرة ٣٠% كذلك بينما لا يتعدى معدل وفيات الأطفال الرضع في الألف ٥٦ وهو ما يعكس التحسن النسبى في الخدمات التعليمية والصحية فضلا عن ارتفاع الدخل في بعض هذه الدول .(٥) .

المصـــــادر

[١] السيد الحسينى – عرض لمشكلة تنظيم الأسرة في الدراسة إلى قـام بـها قسم الاجتماع بكلية الاداب جامعة عين شمس وكلية التربية بعنوان تنظيـم الأسرة في المجتمع المصري – ١٩٧٧ .

[٢] عبد الحميد لطفى وحسن الساعاتى – دراسات فـي علـم السـكان – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٧ – الفصل السادس .

[٣] السيد الحسينى – تنظيم الأسرة نظره عالميه فـي دراسـات سـكانية – اكتوبر – ١٩٧٥ .

[٤] نادية حليم – الإجهاض في مصر – دراسـات سـكانية ابريـل – يونيـو ١٩٧٩ .

[٥] الاتحـاد الدولي لتنظيم الأسرة – نشره سـنة ١٩٩٤ – لنـدن – ١٩٩٤ ص ٣٥ .

الفصل العاشر

السياسات السكانية

أولا : السكان والسياسة الاجتماعية :

إذا اردنا أن نتكلم عن السياسة الاجتماعية في المجال السكاني فلابـــد أن نراعى هنا اهمية النظرة الكلية والشاملة مـــن جهـــة وتعـــدد الاســـباب وترابطها من جهة أخري (١) ٠

والدارس لعلم السكان لابد أن يلم بابعاد الظواهـــر الســـكانية أو بعبارة أخري وضعها في السياق المجتمعي الذي لا يمكن فهمها إلا مـــن خلاله ٠ ويعنى هذا أن هذا الظاهرة تتبادل التأثير والتأثر مع كافة الأبعاد المجتمعية الأخرى والبنائية وهذا يعني ايضا أن اعتبارها متغيرا مســـتقلا ليس صحيحا واعتبارها متغـــيرا تابعـــا ايضـــا ليـــس حقيقيـــا فالنســـق الديموجرافى جوهر البناء الاجتماعي وبدونه لا يتحقق وجود البناء بينمـــا تعد النظم الأساسية المكونة لهذا النسق المجتمعى (من مواليد ووفيـــات وهجرة وحجم وتوزيع وخصائص اجتماعية اقتصادية) محصله للعلاقـــات الثابتة المستقرة وللدور والمكانة والطبقة الاجتماعيـــة وبـــاقى الانســـاق الأساسية – كالنسق القرابى والاقتصادي والسياسى والايكولوجى والقيمى – في المجتمع (التي تشابك بدورها معا) وانطلاقا من هذه الفرضية فان الظاهرة السكانية لا تتحدد في البلـــدان المتقدمـــة اقتصاديـــا أو البلـــدان المتخلفة اجتماعيا من خلال حجم وكثافة السكان فحسب بـــل مـــن خـــلال الأبعاد الاجتماعية للظاهرة السكانية ومن ثم فان التحـــولات الاجتماعيـــة الاقتصادية هى السبيل الوحيد الذي يمكن من خلاله التأثير في الظواهـــر

السكانية التي يمكن أن تشارك بدورها في القيام بالتغير المقصود لتحقيق الأهداف المطلوبة ٠

وهذا ما تعبر عنه ايرين ٠ ب ٠ توبير في مقالها عن النمو السكاني في البلدان النامية حيث تذكر أن الجانب الخطير لمشكلات السكان العديدة في عالمنا هي مشكلة التوقيت فلو امكننا الاسراع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية لما كان النمو السريع للسكان مشكلة كبرى غير انه إذا كانت المهمة الأساسية انجاز هذا النمو الاقتصادي السريع فان النمو السكاني يقف عائقا في طريق تحقيق هذا الهدف فبعد أن ركزت الإنسانية جهودها للتغلب على الموت وتحسين الظروف الصحية ومقاومة الأمراض واطالة متوسط عمر الإنسان وانخفضت معدلات الوفيات في البلدان المختلفة بدأت الان رنه التشاؤم من الانفجار السكاني وبخاصة في بلدان العالم الثالث ٠ واصبح الرجل العادى فيها يشكو من النقص في متوسط السعرات الحرارية للفرد * ومن العجز عن تعليم الأولاد أو الحصول على العمل المناسب لهؤلاء الأولاد ومن اضطراره إلى تقسيم ارضه قطعا صغيره (كلما زاد عدد الاحياء من اولاده) حيث ترتبط الزيادة السكانية في البلدان النامية بنقص الغذاء وعدم كفاية الدخل ، والامية ، وسوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والاعتماد اساسا على الزراعة في المجال الاقتصادي – اكثر من غيرها من الأنشطة الاقتصادية الأخرى مع استخدام التكنولوجيا الزراعية البسيطة مما يجعل الإنتاج الزراعى قاصرا في نهاية الامر عن اشباع حاجات السكان فيها ٠ وقد دعا هذا انزلى كول إلى القول بضرورة الاسراع بعملية التصنيع ٠ ويتطلب هذا في نظره بصيرة نافذة لتعبئة الموارد وتوزيعها ، ورفع

مستوى الاستثمار ،وزيادة نصيب الفرد من معدات الإنتاج ، وزيادة رأس المال المستغل لتحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية وحين تنخفض الخصوبة في رأى كول سيؤدى هذا إلى زيادة نصيب الفرد من الاستهلاك مما يرفع مستوى التغذية وبالتالي مستوى الإنتاج والى القضاء على روح التخاذل والتواكل وحفز الرغبة للعمل (ويعنى هذا تغيير القيم المتصلة بالنشاط الاقتصادي ـ وبالتالي نسق القيم في المجتمع) واذ ذاك يصبح عدد المستهلكين اقل من عدد المنتجين ويزيد نصيب الفرد من الدخل زيادة مطردة ، ويعتقد كول أن جميع الدول التي قطعت شوطا بعيدا في نشاطها الصناعى قد قلت فيها الخصوبة بنسبة لا تقل عن ٥٠% عما كانت عليه قبل مرحلة التصنيع ، وان دفع حركة التصنيع سيؤدى من تلقاء نفسه لخفض الخصوبة في اى مجتمع ، والمشكلة الأساسية في العالم الثالث هى ثالوث الفقر ، والامية وعدم القدرة على الاستغلال الأمثل للموارد المادية والبشرية ، حيث تمتص الزيادة السكانية اى زيادة في دخل هذه البلدان وهكذا يرتبط الفقر والتخلف مع النقص في الخدمات ، وتخلف نمو الإنتاج وزيادة معدل الهجرة الخارجية ، والحرمان من المشاركة السياسية ، وترى ايرين توبير أن حل المشكلة السكانية يتم أما بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتحسين مستوى المعيشة أو بالعمل على خفض معدلات المواليد ، ويرى البعض اهمية استخدام الحل الأول والثانى معا لمواجهة المشكلة في بلد كمصر فالمدخل النموى يمكن أن يؤدى إلى زيادة فرص العمل وزيادة الدخل يؤدى إلى اعادة توزيع السكان على الرقعة المتاحة في مصر ، وسيؤدى هذا إلى زيادة الاهتمام بالتنمية القومية والاقليمية إلى جانب العمل على نشر برامج تنظيم الأسرة ٠

كما يعنى ذلك ضرورة الاهتمام بتنمية الموارد البشرية والمادية والاهتمام بتحقيق مستوى مقبول ومرضى للخدمات الصحية والتعليمية علاوة على خلق مجالات جديدة للانتاج لزيادة الدخل القومي إلى جانب دفع عجلة التعليم الاساسي للتغلب على مشكلة الامية في المجتمع ٠ اى أن المشكلة الأساسية ليست هى المشكلة السكانية بل هى بطء التحولات الاجتماعية والاقتصادية للنهوض بالمجتمع نفسه فما من شك أن تخفيض معدل النمو السكاني لن يؤدى إلى تحول مصر – أو اى بلد آخر – إلى دولة متقدمة في حين اننا لو تغلبنا على عوامل التخلف فان مظاهر عديدة للتخلف متختفى ومن بين هذه العوامل المشكلة السكانية (٣) ٠

وحين يتعرض الباحث للجانب التنموى في السياسة السكانية فانه يمتد بنظرة إلى العلاقة بين الموارد البشرية وغير البشرية في عملية التنمية من جهة والى الجانب المادى وغير المادى في هذه العملية من جهة أخري حيث انه يهدف إلى تحسين نوعية الحياة الاجتماعية الاقتصادية – الثقافية – والمادية فمن المعروف أن حصر الموارد في عملية التنمية يتضمن الموارد البشرية (السكان وخصائصهم الفيزيقية والاجتماعية والثقافية) والموارد غير البشرية (الموارد الطبيعية والمساحة المنزرعة ومصادر الطاقة المتاحة) ويقصد بالجانب المادى في عملية التنمية القطاعات الاقتصادية الانتاجية الموجودة والتى تدر عائدا ماديا مباشرا كالزراعة والصناعة بينما يتضمن الجانب غير المادى كافة الخدمات الموجودة والتى تدر عائدا غير مباشر " كالخدمات التعليمية والصحية وغيرها " واذا كان المقصود من التنمية السكانية الاسراع

بعملية التغير الاجتماعي – الاقتصادي – الثقافي الموجه فانـــه يتضمـــن كذلك تحسين الخصائص السكانية مثل زيادة نســـبة التعليـم والاهتمـــام بمتوسط العمر وخفض معدل الوفيات (وخاصة بالنسبة للأطفال ويعنـــى هذا أن التنمية تتضمن تحسين نوع الحياة التي يحياها السكان (الغالبيـــة العظمى منهم أو القاعدة السكانية العريضة) واشاعة الرغبـــة فيـــهم ، ويفهم من هذا أن القضية السكانية والتنمية تعنى اساسا أن النـــاس هــم أساس عملية التنمية وهدفها الرئيسى فهم القاعدة الانتاجيـــة والخدميـــة التي تشكل لب التنمية في المجتمع غير أن الترشيد لاغنى عنه في هـــذه الحالة لتوجيه العنصر البشرى وغير البشرى بل والتنظيم الاجتمـاعي ـ الاقتصادي برمته ليحقق الأهداف المرجوة ويعنى ذلك الاهتمـــام بزيـــادة القوة العاملةفى المجتمع (التي يقع على عاتقها رعاية فئة صغار وكبـــار السن) ويعنى هذا ايضا من بين اشياء أخري الاهتمام بتنظيم الأســـرة ـ لترشيد عملية الانجاب ـ ومشاركة المرأة في قوة العمـــل الانتاجيـــة ـ لزيادة دخل الأسرة ـ والاهتمام بالتعليم مما يؤدى إلى ترشـــيد الإنتـــاج والاستهلاك ورفع المستوى الاجتماعي للأسرة فيؤدى بدوره إلـــى رفـــع سن الزواج وانقاص حجم الأسرة وغنى عن القول أن تحقيـــق العدالـــة الاجتماعية في توزيع الدخل والملكية ـ يعد من الامـــور اللازمـــة لكـــى تحقق استراتيجية التنمية اهدافها المرجوة .

ومن الامور التي ينبغى أن نلفت النظر اليها أن التصنيع (وهـــو عملية اجتماعية متسعة المحتوى ولا تعنى فقط مجـــرد دخـــول الآلات) يؤدى إلى اشاعة الكثير من اوجه التغير الاجتماعي الامر الـــذي ينعكـــس بدوره على زيادة معدل الدخل وسيادة القيم التـــي تشـــجع علـــى تنظيـــم

الأسرة ، ويحفز المرأة على الخروج للمشاركة الاقتصادية إلى جانب الرجل جنبا إلى جنب ويصاحب التصنيع عادة الاهتمام بتحسين الخدمات المقدمة وبخاصة للطبقة العاملة بأسرها وهذه التغيرات الاجتماعية تلازم كذلك تصنيع الريف وميكنة الزراعة حيث يؤدى ذلك إلى تغيير القيم التقليدية وسيادة القيم التي تحث على الحريةوالديموقراطية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، ومما لا شك فيه أن العالم الثالث يحاول أن يجرى بخطى حثيثة ليعوض ما فاته في هذا المضمار غير انه لطول ما تعرض من استنزاف لموارده البشرية والمادية معا ولشدة ما يعاني من قيود التبعية الاجتماعية والاقتصادية ـ التي فرضتها عليه التراكمات التاريخية في صورة اعراض الفقر والتخلف قد اصطدم بتشوه الهيكل السكاني نتيجة لازدياد عبء الاعالة ـ التي تئن تحت وطأتها القوة العاملة ـ نتيجة للزيادة السكانية الهائلة مع تخلف الاساليب الانتاجية والابتعاد عن الترشيد والتخطيط ويؤدى هذا بدوره إلى ازدياد العقبات التي تقف في وجه العملية التنموية بالنسبة للكثير من هذه البلدان ·

ومن الملاحظ في الدول النامية عموما أن إنتاج الغذاء يتزايد بشكل عام إلا أن الإنتاج على مستوى الفرد لا يزيد بالمعدل نفسه بل يظل ثابتا تقريبا بينما يقدر نصيب الفرد في الدول المتقدمة بأكثر من ثلاث أمثال قرينه في الدول النامية ·

ثانيا : السياسات السكانية في العالم :

يذكر فيليب هاوسر في مؤلفة التقليدي عن السكان والسياسات الدولية أن مالتس حين حرر كتابة سنه ١٧٩٨ قد آثار عاصفة من الجدل

السياسي عن ظاهرة النمو السكاني تعدت حدود انجلـــترا وتمثلــت فــي المقوله التي مؤداها أن النمو السكاني اسرع من كل الجــهود المبذولـــه لتوفير وسائل العيش (الزراعية في الاساس) ٠

وربما لفت ذلك النظر إلى اهمية العمـــل علـــى رفـــع مســتوى المعيشة والبحث عن مصادر أخري بخلاف المصادر الزراعيـــة وانــبرت المؤسسات والوكالات الدولية بعد الحرب الثانية لوضع برامج مدروســـه للمساعدة المادية موجهة للشعوب الفقيره التي تركها الاستعمار كارها في منتصف القرن الماضي وحاولت بدورها الخروج من مأزق الفقر والتخلف الاجتماعي والاقتصادي دون جدوى ٠

ومع أفول الحرب البارده في نهاية الثمانينيات احست كـــل مـــن الدول المتقدمة والاقل تقدما بأن العالم لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهايــة مقسما إلى دول ثريه متضائله في احجام السكان فيها ودول فقيره تتضخم فيها احجام السكان ٠

وقد تجلى تطلع سكان الدول المتخلفة إلى مستويات اعلـــى مـــن المعيشة واضحا في البرامج التي اعدتها تلك الدول للتنميـــة الاقتصاديــة ففي معظم الدول النامية تبذل الحكومات جهودا متنوعه لزيادة الإنتاج أمـا الدول المتقدمة صناعيا فانها أمنت على تلك الجهود لادراكها بأن الفــروق الكبيرة في مستويات المعيشة بين الدول تؤدى للتوتــرات الدوليـــة ممـــا ينعكس بدوره على هذه الدول المتقدمة في ظل الاتصال السريع الذي جعل العالم يتحول إلى قرية كونيه كبيرة (٤) ٠

وقد تكيفت سياسات الهجره إلى الدول الصناعية مع المصـــالح الاقتصادية لها وتحددت الأعداد المهاجرة اليها على ضـــوء احتياجاتـــها الفعلية للافاده من اليد العاملة حيث تضمنت الشروط العديد من المحددات المرتبطة بالسن والتعليم والمهنة والمســتوى الاجتمــاعي والاقتصــادي وغيرها أما الدول النامية فقد شجعت الهجرة منها لإفساح المجال أمــام الشرائح الشابة والصفوات المثقفه لتأمين مستقبلها طالما أن الأوضـــاع الاجتماعية والاقتصادية فيها لا تتيح لها ذلك .

وقد شهدت فترة ما بين الحربين سياسات ســـكانية تقيـد مـن حركات الهجرة من بعض البلدان أو تلزم اتباعها بالعوده اليها من الخارج وكانت صيحه " المجال الحيوى " احد عناصر هذه السياسه في المانيـــا وايطاليا واليابان .

وقد ظهرت كذلك سياسات أخري لاستبعاد جنسيات بعينــها فــي الوقت نفسه كاستبعاد استراليا للآسيويين ، وسياسات التمييز التي اتبعتها الولايات المتحدة إبان الحرب الباردة ضد المهاجرين من جنوب وشـــرق اوربا وبعض بلدان آسيا .

وتشير السياسات السكانية كما هو معروف إلى السياسات التـــي ترسمها الدوله في مجال الظواهر السكانية وتتحدد موقفها من الخصوبـــة وتنظيم الأسرة والهجرة والطلاق ، واوجه الرعاية الصحية والاجتماعيـــة المقدمه للامومة والطفولة والشباب وكبار السن وغيرها ، ومن الواضـــح انها تتم في اطار سياسه عامه اكثر شمولا في الأقطار التي تتبناها .

ويشير البعض إلى أن لبعض السياسات السكانية آثارها الدولية إذ أن السياسات التي تركز على خفض الوفيات والإبقاء على معدل الخصوبة دون تغيير بعينه يترتب عليها اضطراد النمو السكاني مما يجعلها تلجأ مكرهة للديون الخارجية بالشروط التي تفرضها عليها الهيئات المانحة والمؤسسات الدولية .

وبعض الدول لا يملك سياسة سكانية محدده بل قد تصل القرارات والتوجهات إلى حد التناقض أو عدم الوضوح كما أن بعض القرارات الاقتصادية والاجتماعية لها اثارها السكانية الهامة كاجراءات التأمين الاجتماعي ضد الفقر والبطالة والحوادث والشيخوخه والضرائب التصاعدية والتعليم الاجبارى وقوانين العمل وغيرها .

ويذكر هاوسر انه حتى بداية الستينيات لم تعرف الولايات المتحدة سياسة سكانية صريحة ، وقد اكدت من خلال القوانين الصادره في ١٩٢١ وقانون الهجره سنه ١٩٢٤ وقانون الهجرة والجنسية سنه ١٩٥٢ على حصص المهاجرين اليها (٥) أما الانفتاح النسبي الذي حدث في النصف الثاني من القرن المنصرم وبخاصة بعد انتهاء الحرب البارده فكان له ما يبرره باعتبار أن الولايات المتحدة أصبحت القطب الأوحد كما أن الهجرة الانتقائية التي تسمح بها قد وفرت عليها آلاف الملايين من الدولارات في الوقت نفسه إذ أمدتها بأفضل العناصر التي سمح لها بالهجرة إليها (٦) .

وقد خصص الاجتماع الثلاثيني لمؤسسه نورمان هوايت هـاريس بشيكاغو في نوفمبر سنه ١٩٥٤ لبحث موضـوع السـكان والسياسـة الدولية وكان المشتركون في هذا الاجتماع ينتسبون إلى جميـع العلـوم الاجتماعية امثال جـون ديرانـد ، وفرانـك نوتشـتين ، وكوزنتـس ، وويتنسكى ، وهاجن ، ودوروثى توماس ، وجوزيف سبنجلر ، وكنجزلـى دافيز ، وفرانك لوريمر ، وايرين تاوبر ، وكونيسى رايت •

ويلفت ووينتسسكى (٧) النظر إلى أن الدول النامية التي يضطرد حجم السكان فيها عليها أن تعى أن السباق ليـس بيـن نمـو السـكان والموارد الطبيعية بل انه بين الفن الانتاجى والسياسة بمعناهـا الواسـع وفى ابتكارية وانتاجيه العمل كذلك •

ويشير سيمون كوزنتس (٨) إلى أن السياسة السـكانية تتـأثر بالتفاوت الطبقى داخل الأقطار نفسها إذ أن الفروق الممكنه * في مـدى عدم المساواة في توزيع الدخل وفرص الاستهلاك بين سكان كل دوله لـها اثرها الكبير وان هذا يقتضى تخفيف التفاوت الطبقى في الدول الناميـة ودعم العداله الاجتماعية الامر الذي يؤدى للاسراع بعجله التنمية •

أما كنجزلى دافيز (٩) فيرى أن العديد من الدول يربط بين حجـم السكان والقوة الوطنيه حيث يضع ٣ اعتبارات من شأنها أن تؤكـد دور الحجم في الاستقلالية والاعتماد على الذات وهي :

[١] أن الحجم الكلى للسكان هو العامل الأول في تحديد حجم القوة العاملة ومن المستحيل أن تستعيض هذه الدول عن العمل بعوامل الإنتاج الأخرى ٠

[٢] انه كلما زاد حجم السكان في ظل نظام اقتصادي واحد اتسعت فرص الإنتاج والتسويق على نطاق واسع ٠

[٣] أن وفره السكان شرط ضرورى لانشاء جيش كبير ولتعويض ما يتعرض له الجيش من خسائر ٠

وهذا يعنى في نظر دافيز أن هذه الدول ترى انه إذا تساوت النواحى الأخرى فان ضخامه السكان تعد مصدرا للقوة أما إذا ضمرت النواحى الأخرى فقد تصبح مصدر ضعف ويضيف دافيز انه ليس ثمه ارتباط بين كثافة السكان والعدد المطلق لهؤلاء السكان إذ أن بعض البلاد الصغيره تبدو مكتظه وبعضها ليس كذلك كما أن مشكلة اكتظاظ السكان ليست مقصوره على البلدان غير الغربية إذ يمكن أن نلحظها في ايطاليا واليونان والمكسيك وسلفادور غير أن الصين والهند وباكستان واندونيسيا ومصر تعد من الامثله المحوريه لهذا الاكتظاظ السكاني ٠

وهناك العديد من الدول التي قد تتحاشى فيها الدوله حث السكان على اتباع وسائل لتنظيم الأسرة والحد من الزيادة السكانية خشية أن تمس انساق القيم التقليدية فيها التي تشجع ارتفاع معدل الخصوبة السكانية فتصدم مشاعر الشعوب فيها ٠

ويذكر شريف سونكو Sherief Sonoko (١٠) في مقاله عن الخصوبة والثقافة في أفريقيا جنوب الصحراء أن غانا كانت أول دوله

هناك تلتزم بسياسة سكانية منذ نهاية الستينيات وكان الهدف منها الحد من معدلات المواليد والزيادة السكانية ومع هذا فان اشتغال النساء بالعمل الزراعي وتدني دورهن في المجتمع يجعل دورهن عاده سلبيا من حيث المشاركة في القرارات الأسرية ويذكر ماسيمو باكشي Massimo.L. Bacci في مقاله عن السياسات السكانية من منظور مقارن (١١) أن قضية النمو السكاني ذاتها لم تكن امراً تاخذه الدول الغربية في الحسبان فبينما كانت ايطاليا والمانيا في الثلاثينيات تطور سياساتها السكانية فان فرنسا كان يتملكها القلق نتيجة لتدهور النمو السكاني كما كانت روسيا والولايات المتحدة مع بطء النمو السكاني في الثلاثنيات يعانيان من معدل وفيات منخفض في الوقت نفسه ٠

وهو يذكر أن أول تجربه خاصة باتباع سياسه للتقليل من معدلات المواليد والنمو السكاني في العالم بدأت في اليابان بعد الحرب الثانية كما تقبلت الهند سياسة مشابهة منذ سنه ١٩٥٢ وفي البداية ركزت الحكومة على ربط التنمية بتنظيم الأسرة كما حدث في الخطة الاولى والثانية (١٩٥١ / ١٩٦١) أما في الخطة الثالثة والرابعة فاكتفت الهند بنشر مراكز تنظيم الأسرة بينما استهدفت الخطة الخمسية الخامسة ١٩٧١ /١٩٧٦ تحقيق معدل نمو سكانى منخفض (٢٥ في الألف بحلول سنه ١٩٨٤) واسرعت باتباع طريقه التعقيم (وبخاصة على الفقراء) غير أن غياب استراتيجية واضحة وعدم كفاية الاستثمارات وغيرها لم يؤدى للوصول إلى الغرض المستهدف وبخاصة حين ضعفت العلاقة بين التنمية والسياسة السكانية وقد ارتبطت السياسة السكانية في الصين منذ سنه ١٩٥٦ بالحث على دفع معدلات الإنتاج مع

الاهتمام بتشجيع الزواج المتأخر بيد أن هذا السياسة صوحبت بـاجراءات قمعية لتنظيم النسل وبخاصة منذ مطلع الستينات وقد بدأت بعض الـدول الاسيوية مثل باكستان وتايوان وسـنغافوره وكوريـا الجنوبيـة برامـج لتشجيع تنظيم الأسرة بدعم من الافـراد إلـى جـانب توفـر الاشـراف والمساعدات الحكومية في هذه البرامج ٠

وزادادت في العقدين الاخيرين درجة التدخل الحكومى المباشـر في السياسات السكانية وعلى الاخص في السياسـات المتعلقـة بخفـض الخصوبة في جميع انحاء العالم وطبقا لدراسة قامت بها الامـم المتحـدة اتضح أن النسبة المئوية للدول ذات النمو السكاني العالى جدا قـد زادت من ٢٨% سنه ١٩٧٤ إلى ٤٣% سنه ١٩٩١ بينما ارتفعت نسبه الدول المحبذه لخفض النمو السكاني من ٢٥% سنه ١٩٧٤ إلـى ٣٨% عـام ١٩٩١ ٠ وبالنسبة للدول التي توصف معدلات الخصوبة بها بأنها عاليه جدا كانت ٣٥% سنه ١٩٧٤ واصبحت ٤٦% سنه ١٩٩١ ٠

وخلال هذه الفتره فان النسبة المئويـة للـدول ذات السياسـات المؤيدة بشكل مباشر للتخطيط والتنظيم للأسرة قد ارتفعت من ٥٢% إلـى ٧٦% ٠

وتختلف طبيعة السياسات ودرجة التدخل الحكومـي مـن بقعـه لاخرى في العالم وطالما ارتبطت هذه السياسـات بالتنميـة الاجتماعيـة والمشاركة الشعبية نجحت هذه السياسات السكانية في تحقيق الأهـداف المرجوه منها ففى اندونيسيا يرجع هذا النشاط إلى التأييد النشـط علـى

كافة المستويات (بدءا من قـــاده المجتمعـات المحليــة حتــى رئيــس الدولة) ٠

كما تعد المكسيك واحده من الدول القليله في أمريكــا اللاتينيــة التي تتميز بسياسة رسمية للحد من زيادة الســكان أمــا فــي الــبرازيل وكولومبيا فقد ابتعدت الحكومات عن التدخل المباشر بل أن تدخل القطــاع الخاص اصبح ملموسا في تجارب بعض الدول الاسيوية وكذلك في أمريكا اللاتينية ٠

وينبغى أن نذكر انه بالنسبة للصين فان سياسة الطفــل الواحــد رغم انسجامها مع سياسة الدوله فانها تقابل بعقبات ثقافية وبخاصة فــي المناطق الريفية ، كما ينبغي الإشارة إلى أن القضية لا ينبغي أن تقتصــو على السياسة الحكومية المفروضه من اعلى بل تتصــل بمــدى الوعــي ومعدلات التعليم والعمل وبخاصة بالنسبة للمرأة ومشاركة الناس وانــها لا ترتبط بقضية تنظيم الأسرة فقط بل تمتد إلى قضايــا الــهجرة وتحســين الصحة الانجابية وغيرها من المحاور الهامة ٠

ثالثا : نحو سياسة سكانية في المجتمع المصــــري :

إذا عدنا إلى احصاءات السكان الاقتصادية في مصر في الفـــترة من ١٨٩٧ حتى ١٩٥٠ لتكشف لنا أن مساحة الارض الزراعية قد زادت بمقدار ١٢% بينما زاد السكان خلال هذه الفترة بنسبة ١١٠% أما عــن متوسط دخل الفرد فاذا تتبعنا مؤشرات الدخل مــن ٥٢ : ١٩٧١ فاننــا نلاحظ ارتفاعه من ٣٥ جنيها عام ١٩٥٢ إلى ٧٩ جنيها عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ كما زاد الإنتاج القومى بمعدل سنوى يتراوح بين ٥ : ٧% بينمــا

زاد الإنتاج الصناعى بنسبة لا تتعدى ١١/ في الفترة مــن ٥٢: ١٩٧٨ ، وقد ازداد عدد السكان في الفترة من ١٩٥٢ : ١٩٧٦ بنسبة ٧٨% بينما ارتفعت المساحة المحصولية بنســـبة لا تتعــدى ٢١% وزادت مســاحة الارض بنسبة ١٦% فقط ولم يرتفع متوسط انتاج الفـــدان خــلال هــذه الفترة إلا بنسبة محدودة ،

ولو حسبنا معدل الزيادة السكـــانية فـــي الفــترة مــن ١٧ : ١٩٧٠ لوجدناها ٢٤٠% بينما زادت المساحة المحصولية بما يلا يتعـدى ٥٩% (٢) ،

هل تعانى مصر من مشكلة سكانية ؟

والاجابة نعم تعانى مصر من مشكلة سكانية تتمثل فضلا عن ذلك في الأبعاد التالية :

أ] سوء توزيع السكان إذ تبلغ مساحة الجزء المأهول من الســكان ٣,٦ من مساحة الجمهورية ورغم الجهود التي قامت بها الدولـه في اضافة مساحات جديدة في توشكى والعوينات وغيرهـــا فمــا زالت المساحة تقل عن ٥% ،

ب] ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية فقــد كـــانت ٢٧,٤ ســنه ١٩٥٢ بالمقارنة بـــ ٣٠,٥ سنه ١٩٨١ ، وان كانت قد وصلـــت إلـــى ٢١,٨ سنه ١٩٩٤ ،

جـــ] أن السكان يزيدون بمتوسط ١,٢ مليون نسمه سنويا (حيث قدر عدد و ٤٣,٤ م سنة ١٩٨١ ثم ٥٩,٣ م سنه ١٩٩٦ ،

د] أن المدن العاصمية كالقاهرة والاسكندرية تستأثران بكثافة سكانية عالية تصل إلى ٢٧,٥ ألف نسمه في كم٢ سنة ٨٢ بل أن بعض احياء هذه المدن العاصمية تزيد كثافتها السكانية عن ١٤٠ ألف نسمه في الكم٢ وقد بلغ عدد سكان القاهرة في احصاء ١٩٩٦ ٦,٨م٠ والاسكندرية ٣,٣م ويصل اجمالى سكان المناطق الحضرية سنه ١٩٩٦ ١١ مليون نسمه ٠

هـ] أن تأكل الارض الزراعية هى احدى الاثار الهامة لتركز سكان المناطق الحضرية على حساب الريف حيث يقدر التأكل بنحو ٨٥ كيلو مترا مربعا في العام ، ويزيد رغم وجود قوانين تجرم البناء على ارض زراعية ٠

و] هناك نسبة عالية من الأطفال تزيد عن ٤٠% من مجموع السكان تقل أعمارهم عن ١٥ عاما مما يشير إلى ازدياد العبء على البالغين في سن الإنتاج ، وقد افصح احصاء ١٩٧٦ أن كل مائة فرد في قوة العمل يعولون ٢٨٠ فردا مما يشير إلى كبر نسبة الاعالة الاقتصادية في المجتمع واذا كان احصاء سنه ١٩٩٦ قد اوضح أن القاعدة السكانية تبلغ نحو ٣٥% إلا انها لا تزال كبيرة مقارنة بالدول العربية ٠

ز] من الملاحظ تدنى خصائص السكان الاجتماعية والاقتصادية ومن مؤشرات هذا الانخفاض في الخصائص :

١] أن ٢٦% من مجموع السكان ١٩٧٦ ــ ممن يدخلون في قوة العمل الفعلية ــ هم فقط الذين يشتغلون وينتجون وهو ما يوضح ازدياد عبء الاعالة وانخفاض دخل الفرد كما تلاحظ وجود تناقص

فيإجمالى قوة العمل من عام لاخر خلال السنوات ١٩٩١ / ١٩٩٢ وكانت قوة العمل سنه ١٩٩٣ ٢٩,٦% .

٢] أن نسبة الإناث التي تسهم في النشاط الاقتصادي إلى اجمالى القوة العاملة لا تتعدى ٨% سنه ١٩٧٦ ، ١١% سنه ١٩٨٦ ويمثلن ٦,٧ سنه ١٩٧٦ من اجمالى النساء و ١٠,٤% سنه ١٩٨٦ وهو ما يوضح الدور السلبى المرأة في عملية الإنتاج وهى التي تشكل نصف مجموع السكان تقريبا في الإحصاءات المختلفة (١٢) .

٣] ضآلة نسبة من يعملون بالصناعة في الإحصاءات المختلفة بالمقارنة بمن يعملون بالزراعة والخدمات مما يعكس انخفاض معدلات الإنتاج وقد بلغت هذه النسبة سنه ١٩٩٥ حسب تقرير التنمية البشرية ١٨,٥% .

٤] أن نسبة الامية لازالت كبيرة فهى تبلغ ٥٦% من جملة السكان الذين تزيد أعمارهم عن ١٠ سنوات في احصاء سنة ١٩٧٦ وهى تبلغ ٤١% سنه ١٩٩٢ وهى نسبة كبيرة للغاية كما بلغت ٣٩% سنه ١٩٩٦ .

٥] لا تتعدى فئة كبار السن (٦٥ سنه فاكثر) ٥,١% من جملة السكان سنه ١٩٩٦ الامر الذي يعكس انخفاض متوسط عمر الشخص نتيجة لنقص الرعاية الصحية والخدمات الأخرى المقدمة وبخاصة في المناطق الريفية الحدودية .

٦] تؤدى الزيادة السكانية وارتفاع معدل الزيادة الطبيعية لازدياد ضغط السكان على الخدمات التعليمية والصحية والاسكان وغيرها من المرافق الحيوية .

٧] انخفــاض الدخــل فقد قدر تقرير التنميــة البشــرية انــه فــي ١٩٩٤ / ١٩٩٥ كان نصيب الفرد بالجنيه ٣٤٦١ وهــو ٢٦١٧ جنيه فقط للريف ٠

٨] أن السكان قد تضاعف حجمهم اكثر من خمس مرات تقريبا في اقل من ٩٠ سنه (٩,٦ مليون سنه ١٨٩٧ بالمقارنــة بـــ ٤٨,٣ مليون سنه ١٩٨٦) وهذا يعنى مع ضيق المساحة المأهوله التي تقل عن ٥% من المساحة الكلية لمصر غياب التخطيط الســكاني كما يزيد من الضغط على المساحة المأهوله نتيجة لبناء المســاكن والمؤسسات ٠

٩] ارتفاع معدل النمو السنوي للسكان من ١,٤ فــي مطلــع القــرن المنصرم إلى ٢,٨ في الفتره من ١٩٧٦ ــ ١٩٨٦ ٠

١٠] ارتفاع الكثافة السكانية للكم٢ في محافظـــات الجمهوريـــة ســنه ٢٠٠١ بصوره كبيره ففى القاهرة وحدها ٣٦ آلف نسمه بينمـــا تصل إلى ٩,٠٠٠ في بور سعيد و ٦,٠٠٠ في الجيزة للكم٢ فــاذا قارنا هذا بعام ١٩٩٦ فان القاهرة كان نصيبها ٣٣ آلف نســمه ، وبور سعيد ٨,٠٠٠ ، والجيزة ٥,٠٠٠ وهذا يعنى ببســاطة انــه خلال ٥ أعوام فقط ارتفعت الكثافة السكانية للكــم ٢ فــي بعــض المحافظات بصوره ملفته للنظر بينما هى في محافظـــات الحــدود ٠,٨ سنه ١٩٩٦ ثم ٠,٩ لسنه ٢٠٠٠ (١٣) ٠

١١] أن وفيات الأطفال الرضع اعلى في الوجه القبلي (٤٩ فيالالــف) عنها في عموم مصر سنه ١٩٩٣ (٣٨) واعلـــى فــي المنــاطق الريفية عنها في المناطق الحضرية وهى اعلى في ريــف الوجــه القبلي بالمقارنة بريف الوجه البحري كما أن معدل وفيات الأطفــال

دون الخامسة ترتفع في الوجه القبلي ٦٧ لكل ١٠٠٠ مولود حتى عنها في عموم مصر ٥١ سنه ١٩٩٣ .

وهو ما يدل على سوء الأوضاع الصحية من حيث الاهتمام بالطفولة في الوجه القبلي نتيجة للنقص في توفير بالمستشفيات والمراكز الصحية وسوء الأوضاع المعيشية وبخاصة في المناطق الريفية في الوجه القبلي إذ بينما تحصل ٥٩ أنثى على رعاية صحية في المحافظات الحضرية و ٤٢ في الوجه البحري تحصل ٢١ انثى في الوجه القبلي على هذه الخدمة ، ولم تتعدى حالات الولاده تحت اشراف صحى ٢٣ في ريف الوجه القبلي بالمقارنة بـ ٦٩ في المحافظات الحضرية (١٤) .

١٢] مازالت معدلات وفيات الامومه مرتفعه تصل إلى ١٧٤ لكل ١٠٠,٠٠٠ سنه ١٩٩٢ وهى تصل إلى ٥٥٠ في السودان ولكنها لا تتعدى ٨ حالات في الولايات المتحدة و ٥ حالات في السويد .

١٣] لا تتعدى نسبة الإناث المقيدات بالتعليم العالى ٣٢% سنه ١٩٩٤ وهى ما يعنى عدم تمكين الإناث من تحقيق فرصهن في التفوق .

١٤] هناك نسبة تقدر بـ ٢٣% سنه ١٩٩٥ / ١٩٩٦ من الفقراء ، ٧% يمثلون حالة الفقر الموقع حسب تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦ وهذه النسب الكبيرة تحثنا على مراعاه البعد الاجتماعي لتقليل التفاوت الطبقى .

١٥] أن قوة العمل في الريف تتمركز حول قطاع الزراعة إذ بلغت ٩٢% خلال السنوات ٩٠ -.١٩٩٢.وهو ما يعنى التكالب على العمل بالزراعة رغم تفتيت الرقعة الزراعية كما يعنى أن هذه القوة

العاملة امية في الاساس كما أن نسبة العمالة الزراعية إلى اجمالي قوة العمل قد بلغت ٦٢% ، ٥٩% ، ٦٠% خلال السنوات المشار اليها على التوالي ويعني هذا بوضوح اننا مازلنا امام القرية المصرية التقليدية التي تتدنى فيها الخصائص الاجتماعية وتستقطب الزراعة البسيطة بالاستعانة بالتكنولوجيا البدائية القوة العاملة الامية غير المدربة للعمل بالزراعة .

١٦] تتزايد اعداد العاطلين وبخاصة من أصحاب المؤهلات المتوسطه وفوق المتوسطه والمؤهليات العليا حيث تمثل هذه الفئات ٨٧% ، ٩١ ، ٩٧% خلال اعوام ٩٠ ، ٩١ ، ١٩٩٢ على التوالي .

نخلص من هذا إلى أن الخصائص الاجتماعية في المجتمع المصري تتميز بوجود قاعده سكانية كبيرة وترتفع الكثافة السكانية في المحافظات الحضرية بينما تتدنى الأوضاع في ريف الوجه القبلي ويقل الاهتمام بتمكين الانثى من حيث التعليم والعمل بينما ترتفع معدلات البطالة (١٥) .

فاذا استمرت الزيادة السكانية على حالتها الراهنة حتى ٢٠٢٥ فان المشكلة ستزداد تفاقما كما يتضح من الأبعاد الاتية :

أ] سيصل حجم السكان إلى نحو ١٤٣ مليون نسمة .

ب] سيصل حجم القوة العاملة إلى نحو ٥٣ مليون نسمه .

ج] يصبح من الصعوبة بمكان توفير المدخرات اللازمة لتحقيق اهداف التنمية وتتضائل بالتبعية المساحة الزراعية المخصصة

للشخص الواحد فضلا عن العديد من الاثار الأخرى التي يمكـــن استنتاجها بيسر وسهوله ٠

و] أن معدل الوفيات الخام في مصر قـــد انخفـض مـن نحـو ٢٨ فيالالف سنه ١٩٤٦ إلى ١١ في الآلـــف سنه ١٩٧٨ بينمـــا لم يشهد معدل المواليد انخفاضا يذكر فهو حوالي ٣٩ في الآلف (في الحالتين) بل لقد استمر معدل المواليد الخام في الارتفـــاع عقب حرب ١٩٧٣ وقد شهدت حقبه التســـعينيات الانخفـاض النسبي في معدل المواليد ليصبح ٢٩ في الآلف كمـــا انخفـض معدل الوفيات العام إلى ٧ سنه ١٩٩٤ ٠

ومن الامثلة الحية التي يمكن من خلالها تبع السياسة الســـكانية في مصر يأتي المؤتمر القومي للسكان الذي عقد في منتصف عام ١٩٨٣ وخرجت توصياته التي تبناها السيد رئيس الجمهورية متضمنـــة خطـوط هذه السياسة عن طريق اللجان المختلفة للمؤتمر (عام ١٩٨٤) ٠

وبينما اوصت لجنة الصحة على سبيل المثـــال باهميـــة تبصـير الناس بالاضرار الصحية التي تنجم عن عدم تنظيم الأسرة (بالنسبة لـلام والطفل والاسرة والبيئة) ، وتبسيط برامج الصحة والوراثة وتدريســـها بالمدارس ومعاهد التمريض والمراكز البحثية اوصت لجنة القطاع الاهلـى بالاهتمام بالخدمات الاهلية التطوعية في مجال تنظيم الأسرة مـــع العمـل على التغلب على المعوقات الادارية والاهتمام بالاعلام والوسائل الســمعية والبصرية بسبب تفشى الأمية مع الاهتمام بالحوافز (الإيجابية والسـلبية) كما أوصت (اللجان الاقتصادية) بتحقيق التوازن بين عدد السكان ــ في

المدى الطويل ـ والغذاء وترشيد الاستهلاك مع الاهتمام بزيادة القدرة على الإنتاج ، والقضاء على سوء التغذية ، والتوسع في الميكنة الزراعية والانتاج الحيواني ، واستصلاح الأراضي والاهتمام بالتقاوى المنتقاه . والاهتمام بالتنمية الصناعية مع اعادة النظر في قضية الدعم وترشيده بربطه بالخصوبة المعتدلة والاسرة الصغيرة) كما أن الموائمة بين الاجور في القطاع الحكومي والقطاع العام بمثيله في القطاع الخاص ودعم الصناعات الصغيرة لم تغض اللجنة الطرف عنها .

وقد أوصت لجنة الإعلام بالتفاعل بين العمل الاعلامي والتنمية (الشاملة) مع التركيز على قنوات الاتصال الجمعي والشخصي والاهتمام بالإعلام الريفي على أن يتكامل العمل الإعلامي مع الجهود الأخرى لتحسين الخدمة الصحية والتأكيد على العمل الاعلامي في المؤسسات واوصلت لجنة الإسكان بإعادة توزيع السكان من المناطق الزدحمة للمناطق وبناء المدن الجديدة مع الحرص على عدم تحويل المساكن لأغراض أخري غير السكن والتوسع في الإسكان التعاوني .

<u>وهناك ٣ مداخل يمكن من خلالها النظر للمشكلة السكانية في مصر :</u>

١] المدخل الأول هو ما تعارفنا على تسميته بتنظيم الأسرة ويمكن أن ينهض على الأبعاد الآتية :

أ) الاهتمام بنشر مراكز تنظيم الأسرة لتقديم وسائل منع الحمل وتشجيع الزوج والزوجه على استخدام الوسائل المناسبة على أن تتولى هذه المراكز تدريب الاطباء

وفريق العمل (الذي يجب أن يضم رجل الدين فضلا عن الاخصـــائى الاجتمـــاعي والنفـــس والزائـــرة الصحيـــة والممرضات ٠٠٠ الخ) مع الاهتمام بنشر هذه المراكـز في المؤسسات الصناعيـــة الكـــبرى والقـــرى والعـــزب والنجوع ٠

وغنى عن القل انه لابد من الاتصـــال الشـــخصى بالاسر التي ترفض تنظيم انجابها لاقناعها بجدى التنظيم بعد دراسة حالتها من وجهة النظر الصحيـــة والنفســية والاجتماعية كما يتطلب الامر التقييـــم الـــدورى لـــهذه المراكز ليسهل تدارك اوجه القصور التـــي تظـــهر اولاً بأول ٠

ب) استخدام الأنشطة الاعلامية والتعليمية عن طريق وسائل الاتصال الجمعى من راديو وتليفزيون وجرائد ومجـــلات على أن يتم ذلك بطريقة علميـــة لا تثـــير الســـخرية أو الحرج ويستلزم الأمر تعريف المواطن العـــادي بأعبـــاء المشكلة السكانية وخطورة هذه الزيـــادة فـــي الحـــاضر والمستقبل مع الإشارة إلى الأضرار الصحية التي يـؤدى اليها الإنجاب المستمر وعدم التنظيـــم ويقتضـــى هـــذا عرض رأى الدين في قضية تنظيم الأسرة دون لبـــس وفتح باب الحوار للرد علـــى التســـاؤلات التـــي تثـــار والاهتمام بنشر التربية السكانية للطلاب في المـــدارس والجامعات بصورة علمية لتنشئة جيـــل مـــن الشـــباب المؤمن بهذه القضية المصيرية ٠

٢] المدخل الذي يركز على تحسين الخصائص السكانية ويمكن أن يهتم هذا المدخل ببعض الأبعاد ومن امثلتها الأبعاد الاتية :

أ] تحسين مستوى التعليم والقضاء التدريجى على الامية ٠

ب] الاهتمام بخلق قوة عاملة من النساء (وبخاصة في الأنشطة غير الزراعية) ٠

ج] الاهتمام بحفز المرأة للمشاركة في اوجه النشاط الاجتماعي المختلفة مع الاهتمام بقضية تعليم واشتغال المرأة كذلك لخطورة الدور الذي يمكن أن تؤديه في التنمية ٠

د] اتساع مظلة التأمينات الاجتماعية والتغلب على مشكلات العجز والتأهيل المهنى والبطالة الموسمية ٠

هـ] رفع مستوى الخدمات الصحية والتعليمية والترفيهية والاسكان والمواصلات وغيرها من الخدمات المقدمة للمواطن ٠

و] تصنيع القرى والمناطق الصحراوية القريبة الإقلال من معدلات النزوح للمدن العاصمية ٠

ز] تنظيم الهجرة الخارجية بالصورة التي لا تؤثر على حاجة المجتمع مع الاهتمام بالمدارس الفنية الصناعية ٠

ح] الاهتمام بالرعاية الصحية المقدمة للحوامل والأطفال الرضع ومتابعة العقم والاجهاض وغيرها ٠

ط] الاهتمام بعمران القرية وضمان تزويدها بالمياه النقية والانارة والخدمات الترويحية ٠

ي] اقناع الأسر التي تكونت حديثا بالتخطيط لمستقبلها وتحسين احوالها مع اشباع طموح الشباب بالانشطة العلمية والاجتماعية ،

ك] الاهتمام بالتربية السكانية والنشاط الاعلامي الموجه لتوضيح ابعاد الظاهرة السكانية في العالم الثالث بصفة عامة ومجتمعنا بصفة خاصة ،

٣] المدخل التنموى :

ويقوم هذا المدخل على فرضية مؤداها أن المشكلة السكانية والحلول المقدمة بشأنها ينبغى أن تتجاوز قضية تنظيم الأسرة بمعناها الضيق إلى الاهتمام بالتنمية الاقتصادية بالمعنى المتسع للتغلب على المشكلة السكانية التي تعكس تخلف البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية ـ الثقافية كما تعكس بدورها تراكمات تاريخية بعينها وبينما تخلق التنمية مشروعات للعمالة يزداد متوسط الدخل غير فيرتفع مستوى المعيشة وتنخفض بالتالى معدلات الانجاب فيقل عبء الاعالة على القوة العاملة ويرتكز هذا المدخل من وجهة نظرنا على المقومات الاتية :

أ] الصناعة والمقصود بالاهتمام بها هنا وضع استراتيجية واضحة لتنمية الصناعة مع الاستغلال الامثل للموارد والامكانيات المتاحة بتدريب العمالة لتكوين قاعدة عمالية مدربة تدريبا عاليا مع التركيز على العمالة الفنية ،

ب] دعم الصناعات الصغيرة التي تمثل اساسا هاما فضلا عن الصناعات الثقيلة التي تتولاها الدولة والمقصود هنا

محاولة التوفيق بين الصناعة الكبيرة بما تعتمد عليه من تكثيف رأسمالي وانتاج نمطي واسع من ناحية والصناعة الصغيرة بما تستند اليه من تكثيف في قوة العمل واعتماد على أساليب انتاجية تقليدية ٠

ج] أن الآمر يستلزم اختيار التكنولوجيا وليس مجرد استيرادها ويتوقف نجاح التصنيع على إعادة بناء الهيكل الانتاجى وتقديم خدمات اجتماعية من جهة فضلا عن ارتباطه بزيادة الإنتاج الزراعى من جهة أخرى سواء بالتوسع الرأسى وزيادة الكفاية الانتاجية أو التوسع الافقى المتمثل في زيادة المساحة الصالحة للزراعة واذ ذاك ينبغى الاهتمام بمستلزمات الإنتاج وتنمية الموارد الأخرى من ثروة حيوانية وسمكية ودواجن وما اليها ٠

د] أن التنمية في مضمونها المتصل بتوزيع السكان ينبغى أن تحوى الاهتمام بانشاء مجموعة من المدن الجديدة في جميع محافظات مصر المزودة بالامكانيات الانتاجية والخدمية (مع استغلال مصادرها الطبيعية) سواء في شبه جزيرة سناء أو المنطقة الممتدة من الإسكندرية للسلوم بغية تخفيف الضغط السكاني على المناطق المأهولة فضلا عن الارتقاء بالمستوى الاجتماعي ــ الاقتصادي للأسرة مع الاهتمام بتصنيع الريف والميكنة الزراعية كخطوات أساسية لتنمية المناطق القروية٠

التوصيات التي خرج بها المؤتمر القومي للسكان :

لعل حل المشكلة يكمن عادة في المزاوجة بين هذه المداخل فالسياسة السكانية هى القضية المصيرية غير أن تحقيقها لا يتأتى إلا من خلال تحسين الخصائص الاجتماعية للسكان فضلا عن الاهتمام ببرنامج تنظيم الأسرة ٠

وفضلا عما سبق ذكره من توصيات نرى أن الجوانب والابعاد الاتية ينبغى أن تأخذ نصيبها من الاهتمام :

١] عمل برامج تدريبية مكثفة للعاملين في مراكز تنظيم الأسرة من اطباء واخصائيين ورجال دين وغيرهم لمناقشة هذه القضية وفتح باب الحوار لتذليل الصعوبات التي تواجههم بصفة دورية والرد على تساؤلاتهم وصقل خبراتهم ٠

٢] زيادة الحوافز المادية والادبية المقدمة في هذه المراكز بحيث تستند إلى تحقيق اهداف اكثر من مجرد بيع الوسائل ، ومن بين هذه الأهداف الاتصال الشخصى بالاسر الرافضة للتنظيم في المجتمع المحلى واقامة الندوات والعروض السينمائية والمسرحيات ٠٠٠ الخ ٠

٣] الاهتمام بتكثيف الإعلام المرتبطة بالقضية السكانية على أن يشترك في الندوات المقامة رجال الدين والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين الذين يلعبون دورا أساسيا في تغيير الاتجاهات التقليدية والتغلب على المعوقات ٠

٤] ادخال التربية السكانية في جميع مناهج التعليم المختلفة على أن يشترك في القيام بها فئات متخصصة في هذا الفرع من فروع المعرفة الإنسانية .

٥] اجراء المسوح الاجتماعية والديموجرافية عن السلوك الإنجابي والاهتمام بالتوعية وبالنواحى الصحية وبالنواحى السكانية المختلفة .

٦] الاهتمام بمحو الامية الوظيفى للرجال والنساء بصفة عامة .

٧] تشجيع الشباب على بذل الجهد لزيادة دخلهم وحفز شتى أساليب الطموح والترقى والمنافسة المختلفة .

٨] الاهتمام بقضية الإنتاج فهى القضية المحورية وغرسها في نفوس النشئ بواسطة التنشئة الاجتماعية لتجسيد خطورة هذا الهدف المرتبط بتحسين نوعية الحياة وبخاصة في المناطق غير الحضرية وسيؤدى هذا بدوره إلى رفع اجمالى الناتج القومى ومتوسط دخل الفرد .

٩] تهيئة المناخ الثقافى لقبول معدل المواليد المنخفض والتغلب على الاعتراضات التقليدية المتصلة بنسق القيم التقليدى وتتصل هذه التنمية اساسا بقضية الوعي ولا يمكن فصل هذا الوعي عن البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية الثقافية التي يشب في تربتها الطفل حيث يستلزم هذا تهيئة التنظيم الاجتماعي لاستجسان هذا النمط الفعلي من أنماط السلوك الإنجابي مع استخدام المساجد والكنائس لدعم الاتجاهات الرشيدة .

١٠] الاستعانة بالباحث الاجتماعي والنفسي المدرب والقيـــادات المحلية ــ وبخاصة في القرى والاحياء الشعبية لمناقشـــة هذه القضايا في المنطقة فضلا عن الاتصـــــال الشـــخصي بالاسر الرافضة فهذه الأبعاد تعد بدورها على اكبر جـــانب من الاهمية في المجتمعات النامية والاخـــذه فـــي التقـــدم كمجتمعنا المصري (١٦) ٠

والمتتبع للسياسة السكانية في مصر يجدها قد اقتصـــرت في الستينيات على معالجة آثار النمو السكاني وفي النصف الأول من السبعينيات على المدخل الاجتمـــاعي الاقتصــــادي لتخفيـــض الإنجاب بتحسين بعض المؤشرات فحســـب وتبلـــور ذلـــك منـــذ النصف الثاني من السبعينيات فيما يسمى بالمدخل التنموي فـــي شتى المجالات فلا يمكن الفصل بين العامل الســـكاني والتنميـــة الاجتماعية ــ الاقتصادية (١٧) ٠

الهـــرم السكاني

كنموذج لتصوير الواقع الديموجرافى

تنهض الدراسة العملية للسكان على أساس حقيقة أساسـية مؤداهـا أن المتغيرات الديموجرافية Demographic Variables ليست ثابته بـل تختلـف بحسب الزمان والمكان واذ ذاك فان الحجم والنوع والتوزيع المـهنى والتعليمـي وغيرها تختلف من عصر إلى عصر ومن حقبة زمنيه إلى حقبـة أخـري واذ ذاك فانه من السخف أن تبحث عن نظرية عامة تطبق في كـل زمـان ومكـان ومـن الضروري في الوقت نفسه أن نقتنع بان الظاهرة السكانية لا يتسنى دراسـتها إلا في ضوء البناء الاجتماعي Social structure والعوامل الثقافيـة Cultural factors في المجتمع الذي نقوم بدراسته ٠

وهذا يعنى أن السكان يتأثرون بوجودهم في بيئة معينة ، فيتفاعلون معها ايكولوجيا ، ويعملون في مناكبها فينشأ النسق الاقتصادي ويعيشون في تجمعـات قرابية فينشأ النسق القرابى ، ويتفقون على وجود ضوابط سـلوكيه فينشـأ مـا يعرف بنسق الضبط الاجتماعي ويلتزمون باطر قيمية في شتى مجـالات الحيـاة فيوجد نسق القيم ٠٠ الخ ٠ وعلى ذلك فقد سبق أن ذكرنا أن خصائص الطبيعيـة والاجتماعية التي جاءت بدورها مصاحبة للعوامل الطبيعية (كالسن والنـوع) أو والمتغيرات الاجتماعية و الثقافية (كالنواحى التعليميـة والمهنيـة) والزواجيـه والاقتصادية تؤثر بصورة أو باخرى على نمو السكان فهي تؤثر في معدل المواليد والوفيات والهجرة بل أن هذه العوامل تشكل عادة الهيكل الديموجرافى للمجتمع٠

غير أنه من نافل القول أن نذكر أن هـذه الخصـائص تعمـل مسـتقلة independent variables لتؤثر على نمو السكان في المجتمع فـهناك علاقـة تفاعليـة interactional بيـن الظـاهرة السـكانية Demographic phenomenon وبين الظواهر الأخرى فالسكان يتفاعلون مع البيئة الاجتماعيـة بصورة دائمة وحديثنا عن هذه العوامل ينبغي أن يفهم منه أن هـذه العوامـل لا تعمل إلا في ضوء الانساق الاجتماعية والثقافية والتاريخية كذلك غير أن تجزئتـها هنا تتم بقصد الدراسة العملية - فحسب وسنتحدث هنا عن بعض المتغيرات التـي تؤثر في معدل الخصوبة Fertility rate وعن تركيب السكان بحسب فئات السن أو العمر Age والنوع Sex ، والناحيـة الزواجيـه Marital ومـن هـذه المتغيرات الاجتماعية - الاقتصادية التي تتوقف على النظـام الاقتصـادي القـائم ونمط النظام الاقتصادي والذى يشمل متوسط الدخل Income والمهن السـائدة في المجتمع أو ما يسمى بالناحية المهنيـة Occupational status النظـام الأسري الذي يمثل نمط الأسرة The pattern of family السائد ومدى سـيادة نمط العائلة الممتدة والمركبة ، ثم التوزيع بينن الريف والحضـر أو مـا يسـمى بالتحضر (العمران) علاوة على بعض المتغيرات الأخرى .

والهرم السكاني يمكن أن يصور الواقع الديموجرافى للمجتمـع موضـوع الدراسة .

ومن المهم هنا أن نذكر أن الهرم السكاني يعتمد علـى توزيـع السـكان بحسب فئات السن والنوع فهما بجوهر هذا الشكل ، ومن المستحيل أن نـرى أي مجتمع انسانى يخلو من تمثيل الأطفال والشباب والشيوخ ، ومن غـير الطبيعـى كذلك أن نرى احد النوعين دون النوع الآخر .

وهذه التقسيمات الطبيعية توجد في أي مجتمع دون استثناء ختلفت معدلاتها من مجتمع لاخر ٠

ومن المسلم به كذلك أن ـاب وهم القوة العاملة في المجتمع وطاقتـــه الانتاجية وهم بدورهم يعولون ـر وكبار السن Dependents الذين يعتمـدون في اعالتهم على فئة الشباب التي ترعاهم وعلى عاتقها كذلك يقع عبء اعالتهم ٠

وقد أوضحت الدراسات الديموجرافية أن البلدان المتقدمة صناعيا تتمـيز بانتشار الاعمال الوسطى أو الشباب ويرتفع فيها بالمثل نسبة كبار الســن بينمـا تنخفض نسبة الاعمار المبكرة الأقل من ١٥ سنه أو معدل المواليد في هذه البلدان مع انتشار التصنيع Industrialization والحضرية ٠ Urbanism والتقـــدم الاقتصادي المصاحب بالتقدم الطبى ، وزيادة الاهتمام بالخدمات (لاسيما الخدمـات الطبيه والتعليمية) وفى وسائل الانتقال والمواصلات والاسكان وقـد ازداد معـدل الإناث في الكثير من هذه البلدان عن الذكور كنتيجة للعديد من العوامل لعـل مـن ابرزها في هذا القرن قيام الحرب الأولى والثانية ، وغنى عن القـــول أن المـــرأة التي حصلت على كافة حقوقها في المجتمعات الغربية وأصبحت على قدم المساواة مع الرجل قد اصبحت كذلك من ابرز المنافسين له في شتى الميادين ٠

وعلى العكس من هذا ففى البلدان المتخلفه صناعيا ترتفع عـــادة نسـبة صغار السن والذين يعتمدون اعتمادا يكاد تماما على الشباب في المجتمـــع بينمـــا يقل معدل كبار اللسن لنقص الرعاية الطبيـــة وانخفاض متوسط عمر الفرد بـــل تنخفـــض كـــذلك فئـــــة الســـن التي تقع فـــي مرحلة ما قبل الشـــيخوخة

(٤٥ – ٦٠ سنه) هذا ويؤدى انتشار الزواج المبكر إلى تضخم معدل المواليد في مثل هذه المجتمعات ٠

وبينما ترتفع نسبة الإناث عن الذكور – في أي مجتمع – نتيجة لبعض الظروف كالهجرة الخارجية أو الحروب يؤثر ارتفاع هذه النسبة على شتى الأمور التي تتصل باشتغالها ومركزها الاجتماعي والعلاقة مع الذكور في المجتمع ٠

ومن انسب الوسائل لابراز العوامل المتصلة بالسن والنوع تصنيف السكان في المجتمع إلى فئات عمريه قوامها سنة أو اكثر وعلى سبيل المثال فقد يكون المعدل (سنة واحدة) حين نبدأ بتقسيم الذكور والإناث إلى اقل من سنة ، ثم سنة ، ثم ٢ ، ثم ٣ ٠٠ الخ وفي بعض الاحيان تكون فئات السن طولها ٥ سنوات أو ١٠ سنوات أو ٢٠ سنه ، وفي غير هذا يتم تصنيف السكان إلى ٣ فئات كبرى القاعدة وتضم صغار السن (اقل من ١٥ سنه) في أى مجتمع ٠

القوى العاملة وتضم الشباب في مرحلة ما قبل الشيخوخة (١٥ – ٦٠) ثم كبار السن وتضم الشيوخ (٦٠ سنه فاكثر) ٠

ويسمى الشكل البيانى الذي يوضح هذا التصنيف بالهرم السكاني Population Pyramid حيث يتخذ الرسم صورة الهرم الذي يتسع عادة حجم صغار السن فيه بينما تقل نسبة الشيوخ وكبار السن ٠

وسنحاول أن نعطى امثلة على هذه الاختلافات بين المجتمعات في التصنيف ففى ١٩٦٨ كانت نسبة الفئة الأقل من ٥ سنوات إلى مجموع السكان

٤% في امارة موناكو (٢% ذكور ، ٢% اناث) ، بينما كانت نسبة هــذه الفئــة سنة ١٩٧٠ في مصر ١٥% (٨% ذكور ، ٧% اناث) ٠

وفي عام ١٩٧٠ كانت نسبة السكان في فئة السن اقل مــن ١٠ ســنوات تبلغ ١٦ % من المجموع الكلي للسكان في كل من فرنســا ، والمانيــا الغربيــة واليابان ، بينما كانت هذه النسبة ٣٤ % في غانا والسودان على سبيل المثال ٠

والفرق هنا يدل على أن غانا والسودان عليهما أن تعولا من الأطفال اكثر من ضعف ما تضطر اليه فرنسا والمانيا المتقدمة صناعيا وهكذا تــزداد الاعبــاء الملقاه على عاتق البلدان الفقيرة فيزداد الفقير فقرا بينما يزداد الثرى ثراء مــن جراء ما تحمله الزيادة السكانية من اعباء اجتماعية واقتصادية على الدول النامية في الوقت الذي فيه تتباطىء معدلات الإنتاج ٠

وما ذكرناه بشأن القاعدة والقوى العاملة وكبار السن من الممكن التمثيـل له هنا بالهرم السكاني (*) الخاص بمصر بحسب تقدير الســكان ســنة ١٩٧٠ و جزيرة كريسمس سنة ١٩٧١ :

الدولة	القاعدة	القوى العاملة	كبار السن
مصر	٤٢	٥٢	٦
كريسمس	٣١	٦٧	٢

(*) اقل من ١٥ سنة ، ١٥ – ٦٠ ، ٦٠ سنه فأكثر

كما يختلف معدل الإناث اختلافا واضحا عن الذكور في الفئات الثلاث (القاعدة والقوى العاملة وكبار السن) ويكاد يقترب معدل الذكـــور والإناث في مصر (في القاعدة والقمــة والقــوى العاملــة) فـــهي بالنسبة للقوى العاملة في مصر ٢٦ % للذكور ومثلها للانـــــاث = ٥٢ % بينما هذه النسبة في كريسمس ٤٨ % بالنســبة للذكــور و ١٩ % بالنسبة للاناث = ٦٧ % أي أن معدل الذكور فـــي القــوى العاملة في كريسمس يزيد عن ضعف معدل الإناث كما أن أجمـــالي نسبة الذكور في مصر هى ٥١ % من المجموع الكلى بينما هى فـــي كريسمس ٦٤ % من هذا المجموع.

وغنى عن القول انه حين يختل التوازن بين معدل الذكور والإنـــاث فـــي المجتمع يؤدى ذلك إلى العديد من الآثار الاجتماعية والثقافيه وتســـمى المعادلـــة الدالة على ذلك بنسبة " الذكورة " وتأتي من قسمة عدد الذكور على عدد الإنـــاث في المجتمع وضرب حاصل القسمة × ١٠٠٠ .

ففى ١٩٧٦ كان عدد سكان مصر ٣٨١٩٨٢٠٤ وكان عــدد الذكــور ÷ على عدد الإناث كما هو مبين في المعادلة الاتيه :

$$\frac{\text{ذ}}{\text{أ}} = \frac{١٨٦٤٧٢٨٩}{١٧٩٧٨٩١٥} \times ١٠٠٠ = ١٠٣٦$$

ويعنى هذا أن لكل ١٠٠٠ أنثى ١٠٣٦ من المنكور كما أن نسبة الانوثة هى على العكس من هذا تأتى من قسمة مجموع الإناث ÷ مجموع الذكور في المجتمع × ١٠٠٠ .

أ	١٧٩٧٨٩١٥	
=	————————	× ١٠٠٠ = ٩٦٤ أنثى
ذ	١٨٦٤٧٢٨٩	

أى أن لكل ١٠٠٠ من الذكور ١٩٦٤ انثى ويمكننا أن نحصل على النتيجة نفسها من قسمة النسبة المئوية لاى نوع على النسبة الخاصة بالنوع الأخر .

وتختلف نسبة الانوثة في مصر من تعداد لاخر ففى سنة ١٩٨٢ كانت نسبة الانوثة ١٠٠٦ بينما هى حسب تعداد سنة ١٩٦٠ = ٩٨٨ أنثى لكل ١٠٠٠ ذكر وتتأثر نسبة الذكور بثلاثة عوامل ديموجرافية هى : الهجرة ، ونسبة الذكورة بين المواليد ، ونسبة الذكورة بين الوفيات ، وتأثير عامل الهجرة واضح كل الوضوح بينما ترتفع النسبة العامه كذلك إذا انخفضت نسبة الذكورة بين الوفيات ومن الملاحظ في مصر خلال الفترة من ١٩٦٠ : ١٩٧٦ ارتفاع نسبة الذكورة بين المواليد وانخفاض نسبة " الذكورة " بين الوفيات وكلا هذين الاتجاهين يرفع من نسبة " الذكورة العامه في المجتمع "(١) .

طريقة رسم الهرم السكانى :

١ - أقرأ الأرقام وحولها إلى نسب مئوية بقسمة كل عدد على جملة السكان .

٢ - الق نظرة على النسبة الخاصة بالذكور وتلك الخاصة بالاناث وحدد افقيا في اسفل الصفحة النسب الخاصة بالذكور وتلك الخاصة بالاناث وحدد ٢ سم ٢ في وسط الصفحة (*) لتكون فاصلا بين الذكور والإناث مبتدئا

من أول سنتيمتر بعد (العامود) المستخدم لفئات السن ويفضل أن تخصص المساحة اليمنى للذكور واليسرى للاناث .

٣ - حدد أكبر رقم في الجدول الخاص بالذكور ونظيره الخاص بالاناث وحدد ١ سنتيمتر لكل ١% بالنسبة للذكور ومثلها للاناث وفي حالة عدم كفايتها استغل كل ١ سنتيمتر لكل ٢% وفي هذه الحالة يمثل لكل ١ مليمتر ٢% .

٤ - صل الصفحة من اسفل إلى اعلى في المساحة التي حددتها افقيا لفئات السن والتي يبلغ حجم الفئة فيها ٥ سنوات واكتب كل فئة عمرية في وسط المساحة المخصصة لها حتى تصل إلى قمة الهرم .

٥ - ابدأ بقاعدة الهرم وضع نقطة بالقلم الرصاص أمام فئة السن (اقل من ٥ سنوات) وصل بينها وبين الخط الافقى والرأسي وطبق نفس الامر بالنسبة للاناث ثم ابدأ بفئة السن التالية وصل بينها وبين الفئة الأولى - في الذكور والإناث كل على حده وراجع النسب المئوية والرسم لتلافي أي خطأ يحتمل أن تكون قد سقطت فيه حتى تصل إلى قمة الهرم (كبار السن) .

٦ - صل كل فئة فوق القاعدة بالفئة السابقة لها وليس بأسفل الهرم (كما هو موضح) وأبدأ بالتعليق على الرسم ويستحسن أن تقسم التحليل إلى ٤ أقسام أساسية :

وعلى القاعدة ، القوى العاملة ، قمة الهرم ، ثم الذكور والإناث وحاول أن تستعرض تفصيليا بعض الفئات كلما أمكنك ذلك وليكن اهتمامك هو التزايد والنقص في بعض الفئات واستخدم المقارنه بين الذكور والإناث

(*) يستثنى من ذلك إذا كان احد النوعين اكبر من الأخر .

في هذه الفئات مع ذكر العوامل الاجتماعية والثقافيه التي يحتمل أن تقف وراء كل حالة ·

ويعنى اتساع القاعدة : ازدياد معدل المواليد ، وازدياد معدل الزواج والأطفال ، وتبدو الحاجة إلى دور الحضانة والمدارس والرعاية الطبية ، وهذا يعنى ايضا تقدم الطب الوقائي والعلاجي ، وقلة نسب الوفيات وانخفاض نسبة كبار السن ·

أما أنكماش القاعدة فيعني انخفاض معدل المواليد واتساع الاعمار الوسطى · وازدياد متوسط دخل الفرد وقلة من يعتمدون في معاشهم على غيرهم · ويتمشى هذا مع ازدياد التصنيع والتحضر ·

أما اتساع فئة القوة العاملة فيشير عادة للتقدم الاقتصادي في المجتمع ويملى هذا على المجتمع اهمية العناية بالنشاط الترويحى والرفاهية الاجتماعية وقضية التنمية بصفة عامة ·

وازدياد معدل كبار السن يعنى زيادة متوسط عمر الشخص ، وانخفاض نسبة الوفيات ، وازدياد مستوى الخدمات الصحيه ، ويعنى هذا الحاجه الماسه لدور رعاية كبار السن ·

أما ازدياد معدل الذكور فيعنى ازدياد مكانة الرجل ، والاقدام على الزواج المبكر ، والحرية في الانجاب ، وضخامة معدل المواليد ، قلة نسبة الإناث في المجتمع ·

على حين قد يعنى زيادة معدل الإناث على الذكور ارتفاع مكانه المرأة وتأخر سن الزواج ، والاهتمام باشتغال وتعليم المرأة في المجتمع ·

وكلما ازداد حجم صغار وكبار السن في المجتمع الذيـــن يعتمــدون فـــي حياتهم المعيشية على غيرهم Dependent كلما ازداد انخفاض مستوى المعيشة وهو الوضع السائد في معظم بلدان العالم الثالث التي تعانى مـــن ازديـــاد نســبة الاعالة .

جـدول رقـــم (٤٥)

يوضح توزيع السكان حسب فئات السن والنوع

تعداد ١٩٧٦

فئات السن	ذكور	اناث	المجموع
صفر -	٧,٠	٦,٨	١٣,٨
٥ -	٦.٦	٦,٢	١٢,٨
١٠	٧,٠	٦,٣	١٣,٣
١٥	٥,٨	٥,١	١٠,٩
٢٠	٤,٢	٤,٣	٨,٥
٢٥	٣,٦	٣,٧	٧,٣
٣٠	٢,٨	٣,٠	٥,٨
٣٥	٢,٨	٢,٨	٥,٦
٤٠	٢,٦	٢,٦	٥,٢
٤٥	٢,١	٢,٠	٤,١
٥٠	٢,٠	٢,٠	٤,٠
٥٥	١,٣	١.١	٢,٤
٦٠ فأكثر	٣,١	٣,٢	٦,٣
المجموع	٥٠,٩	٤٩,١	١٠٠

جـــدول رقـــم (٤٦)

احصاء السكان في مصر سنة ١٩٨٦

فئات السن	ذكور	اناث	المجموع
اقل من ٥ سنوات	٧,٨	٧,٥	١٥,٣
٥ –	٦,٨	٦,٣	١٣,١
١٠ –	٦,١	٥.٥	١١,٦
١٥ –	٥,٦	٤,٩	١٠,٥
٢٠ –	٤,٦	٤,٢	٨.٨
٢٥ –	٣,٧	٤,٠	٧.٧
٣٠ –	٣,١	٣,٢	٦,٣
٣٥ –	٣,٠	٣,٠	٦,٠
٤٠ –	٢.٢	٣,٢	٤.٤
٤٥ –	٢,٠	٢,٠	٤,٠
٥٠ –	١,٦	١,٩	٣,٥
٥٥ –	١,٤	١,٢	٢,٦
٦٠ فاكثر	٣,١	٣,١	٦,٢
المجموع	٥١,٠	٤٩,٠	١٠٠

" معدل التوازن السكاني "

ويستخدم علماء الديموجرافيا معادلة سكانية للحصول على معدل التـوازن السكاني فهم يقسمون المجتمع إلى ثلاث فئات سكانية على النحو التالي :

الفئة الأولى : أقل من ١٥ سنه ٠

الفئة الثانية : من ١٥ – ٥٠ سنة ٠

الفئة الثالثة : ٥٠ سنه فاكثر ٠

فاذا وجدنا هذه الفئات الثلاث تتفق والنسب المئوية ٤٠ ، ٥٠ ، ١٠ على التوالى كان احتمال التضخم كبيرا واذا وجدنا هذه الفئات الثلاث تتفـق والنسـبة المئوية ٢٠ ، ٥٠ ، ٣٠ كان احتمال التضاؤل كبيرا ٠

أما إذا كانت هذه النسب متفقة مع النسب المئوية ٣٣ ، ٥٠ ، ١٧ لكـان احتمال التوازن السكاني كبيرا ٠

وتكاد البلدان المتخلفة صناعيا تتمشى ونمط التضخم الكبير بينما تخالفـها البلدان المتقدمة صناعيا في المسار أما البلدان التي يتم فيها التوازن فـهي تلـك التي تسعى للتحضر والتصنيع فتسعى إلى انتهاج الطرق المختلفة لتحديد النسل٠

واذا قارنا هذه المعدلات في مصر لوجدنا انها تتمشى وظـاهرة التضخـم فهي في سنة ١٩٢٧ ، سنة ١٩٦٠ كالاتى :

١٩٢٧ = ٣٩ ، ٤٩ ، ١٢ = ١٠٠

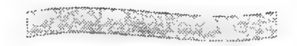
١٩٧٦ = ٤٠ ، ٤٧ ، ١٣ = ١٠٠

ويتفق هذا وما نجده عموما في العديد من بلدان العالم الثالث .

وان كانت النتائج تدل على بداية الاتجاه للاخذ بتحديد الأسر في مصر إلا أن المجتمع لازال مجتمعا " شابا" وفرص الانجاب لديه متزايدة الامر الذي يتمشى وما يعبر عنه بول أر وارليك بقولهما :

" أن جماهير الصغار في الدول الناميه هم بارود الانفجار السكاني " (١) .

إذ أن معدل صغار السن في مصر لم يقل بل على العكس قد تزايد خلال الفترة من ١٩٢٧ : ١٩٧٦ وان كان معدل النمو السنوي للسكان قد بدأ في الانخفاض منذ منتصف التسعينات .



المصـــــــادر

[١] ارثر لنجستون - السياسة الاجتماعية في البلدان المتخلفة - تعريب احمـــد النكلاوى - القاهرة - ١٩٨٠ - الفصل الخامس ٠

[٢] فيليب هاوسر - السكان والسياسات الدولية ترجمة خليل حسين مراجعـــة سعيد النجار - مكتبه الانجلو - القاهرة - ١٩٦٣ - ص ٥٣ ٠

[٣] محمود الكوردى - المسألة السكانية - في دراسات ســـكانية - ديســمبر ١٩٧٩ ٠

[٤] فيليب هاوسر - المصدر السابق - المقدمه ص ١٩ : ص ٢٢ ٠

[٥] المصدر نفسه ص ٢٣ : ص ٢٧ ٠

[٦] المعتز بالله جابر - دراسات سكـــــــانية المجلس القومى للسكان القاهرة (العدد ٦٣) ٠

[٧] العلاقة بين موارد العالم والسكان في فيليب هاوسر - المصدر الســـابق - ص ٦١ ٠

[٨] الاتجاهات الاقتصادية الاقليمية ومستويات المعيشية في فيليب هاوســـر - المصدر نفسه ص ٩٩ : ص ١١٨ ٠

[٩] السكان والقوة في عالم الاقتصاد والحرب في فيليب هاوســـر - المصـــدر نفسه - ص ٢٠٢ ٠

[١٠] (في) المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - السكان القضايا والسياســـات - اليونسكو - ١٩٩٤ - ص ١١١ : ص ١١٤ ٠

[١١] المصدر نفسه ص ٢١ : ص ٣٣ ٠

[١٢] الجهاز المركـزي للتعبئة - الملامح الديموجرافية للســـكان - ١٩٩٤ - ص ١١٣ ٠

[١٣] الجهاز المركزي للتعبئة – الكتاب الإحصائي السنوي – ١٩٩٤ القـــاهرة ١٩٩٥ – ص ٤٦ ، ص ٤٧ ٠

[١٤] معهد التخطيط القومي – تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ – ص ١٤٦ ٠

[١٥] المصدر نفسه ص ١٥٣ وانظر كذلك :

الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصـــاء – الســكان والتنميــة بيــن الحاضر والمستقبل – ١٩٩٤ – ص ١٤٣ : ص ١٤٨ ٠

[١٦] الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء المؤتمر القومي للسكان فــي مصــر - تقرير اللجنة الاجتماعية ٠

[١٧] عوض هلوده – الموقف السكاني – مجلة السكان يوليو ١٩٨٤ ٠

الفصل الحادي عشر

السكـــــان والتنميـــــــة

مقدمه :

يتيح مفهوم التنمية بمعناها الشامل النظر للسكان والظواهر السكانية فـي اطار البناء الاجتماعي والثقافى وعلى ضوء التنمية الاجتماعية والاقتصادية فـي عمقها الانسانى فالسكان هن اداه التنمية وهدفها النهائى ومشاركتهم في مفـاعيل التنمية هى التي نتطلع اليها حين نتطرق لمفهوم التنمية البشرية باعتبارها تنميـة للمشاركة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فلا معنـى للحديـث عـن السكان دون تنمية ، ولا دلاله للحديث عن التنميـة دون مشـاركة السـكان فـي الإنتاج والتبادل وقيام المؤسسات الحكومية والأهليـة بالمشـاركة فـي اشـباع حاجاتهم المادية والاجتماعية ٠٠ الصحية والتعليمية ٠٠ الفكرية والروحية ٠

وفى مؤلفه عن مصير العالم الثالث يشير توماس كوتـرو Th.Coutrot وميشيل إسون M.Husson (١) إلى العلاقة بين السكان والتنمية حين يذكـر أن ثمه صله بين مستوى معيشة السكان والخصوبة وان البلدان التي يرتفـع فيـها العمر المتوقع تتسم بمعدلات خصوبة منخفضة كمـا أن صعـود النـاتج المحلـى الإجمالي لا تصاحبه عادة معدلات مواليد مرتفعه وهما يعقبان انه إذا كـان هـذا التلازم بين السكان والاقتصاد يبدو واضحا فانه من المتعذر القول بـان العلاقـة بينهما علاقة سببيه في الوقت نفسة ففي كوبا وكوستاريكا وولاية كيـرالا بالـهند تحققت الجهود الطيبة لاعاده التوزيع الإجمالي للناتج وسياسة صحيـة نموذجيـة كما هبطت معدلات الخصوبة إلى أقصى حد ممكن ٠

والمشكلة الوارده في تحليل الظواهر السكانية هي معالجتها بصورة جزئية كارقام واعداد ونسب ومعدلات أو فصلها تعسفيا عن الاطار الاجتماعي الذي يحتويها أو الاصرار على مناقشة قضايا بعينها كارتفاع معدل الخصوبة واختزال الحلول المقترحة في وسائل تنظيم الأسرة فحسب.

فالقضية كما يراها كوترو ولسون قضية مجتمعية في المحل الأول وكوكبية في المحل الثاني ففى القسم الأول من مؤلفهما السابق الإشارة اليه يذكران أن المشكلة السكانية في العالم الثالث ترجع للمفارقات بين البلدان المتقدمة صناعيا والبلدان النامية فالدول النامية فالدول النامية مستغرقة في عبء الديون لسداد التزاماتها أما الغرب فيخلي مسئوليته عن المشاكل البيئية والسكانية في العالم الثالث وهي الفكرة التي ذكرها كاليلوس وانجل بقوله " الحقيقة اننا نتهم بخلق كافة صور التأخر والفقر (في العالم الثالث) مع انها سمات محلية قائمه قبل كل اتصال بالغرب "

ويرى كوترو ولسون أن هناك اختلافات واضحة بين المركز الرأسمالى (الشمال) والمحيط (الجنوب) ففى المحيط الذي يصل حجم سكانه إلى ٤٠٧٠ مليون نسمه سنه ١٩٩٠ يموت في كل عام ١٤ مليون طفل قبل أتمام سن الخامسة ويحرم نحو ١,٥ مليار بخدمات الصحية كما يحرم ١,٣ مليار من المياه الصالحة للشرب ، ولا يتمتع ٢,٣ مليار بخدمات الصرف الصحي بينما يعانى نحو مليار نسمه من الجوع (وليس الغرب بالضرورة هو السبب في كل هذه الخسائر) وفى العالم النامي كذلك تستحوذ الاميه على مليار من الكبار ، ٦٠٠

مليون منهم من النساء بينما لا يتردد ٣٠٠ مليون طفل على المدارس (بمراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية) .

فاذا اضفنا إلى ذلك انخراط النسبة الاكبر من القوه العامله في الزراعة ضعيفة الانتاجية والنزوح العشوائي للمدن ، والانخراط في قطاع غير رسمي في الحضر مع الحصول على دخول ضعيفة ، وضعف الحافز للتجديد التكنولوجي والاجتماعي واتساع الهوه بين الطبقات فانه ينبغى أن نذكر أن معظم بلدان العالم الثالث تقع تحت السيطرة الإمبريالية للشركات العبر قوميه ، والواقع أن النظر إلى المؤشرات السكانية في ضوء اتصالها باجمالي الناتج الحقيقي للفرد يوضح كما يذكر البعض الفجوة المتسعة بين البلدان الاقل نموا (الأكثر تخلفا اقتصاديا) وبين مجمل البلدان النامية والبلدان الصناعية كما يتضح في الدول التالي

جدول رقم (٤٧)

المؤشرات السكانية والاجتماعية لبلدان العالم

البلد	البلدان الاقل نموا	جميع البلدان النامية	البلدان الصناعية	العالم
السكان ١٩٩٠ بالملايين	٤٤٠	٤٠٧٠	١٢١٠	٥٢٨٠
معدل المواليد %	٦,١	٣,٩	١,٩	٣,٥
معدل الوفيات	١٦,١	٩,٥	١٠,٠٠	١٠,٠٠
اجمالى الناتج الحقيقى للفرد ١٩٨٨ (بالدولار)	٧٢٠	٢١٧٠	١٤٣٥٠	٤٣٤٠

المصدر : تـوم كوتـرو وميثيل إسون – مصير العـالم الثـالث – القـاهره – ١٩٩٥ – ص٢٧ .

ويوضح هذا الجدول أن السكان في البلدان النامية يبلغ معدلهم نحو ٢,٣ ضعف بالنسبة للبلدان الصناعية كما أن معدل المواليد يتدرج بين ١,٩ في البلدان الصناعية و ٣,٩ في مجمل البلدان النامية بينما يصل في البلدان المتخلفة (الاقل نموا) إلى ٦,١ ٠

وتظهر الفجوة في اجمالى الناتج الحقيقى للفرد بالدولار الذي لا يتعدى ٧٢٠ في البلدان الأقل نموا بينما يبلغ في المتوسط ٢١٧٠ في مجمل البلدان الناميه بينما يصل متوسط الناتج الحقيقى للفرد في البلدان الصناعية إلى نحو ١٩ ضعف في البلدان الأقل نموا ٠

ولا شك أن الأرقام التي يوردها كوترو وإسون عن دخل الفرد سنة ١٩٨٨ من خلال الناتج المحلي بالدولار والتى تصل في الولايات المتحده إلى ١٩٤٦١ بينما لا تتعدى ١١٧٣ في أفريقيا السوداء و ٨٧٠ في الهند توضح الفروق بين الشمال الذي يبلغ متوسط الدخل فيه ١٥١٦٦ والجنوب الذي يصل إلى ٢١٣٣ ٠ (٤)

ولا يكمن الفرق هنا في زياده سكان الجنوب وقله سكان الشمال أن تبسيط المعادلة بهذه الصورة لا يخدم الفهم الحقيقي للقضايا السكانية إذ أن غياب الاستغلال الأمثل للثروة البشرية والمادية يمكن أن يقدم لنا فهما أفضل والبلدان النامية التي تؤمن لسكانها نموا للدخل مقارنه بالدخل البلدان الصناعية كانت تضمن ربع سكان العالم سنه ١٩٧٠ لكن فقط ٢,٦ بعد ذلك بعشرين سنة وبالتالي اصبح اللحاق بها هو الاستثناء منذ الثمانينيات ويعيش معظم سكانه في بلدان يسجل نصيب الفرد من الناتج الإجمالي تراجعا من ٣ % سنه ١٩٧٩ إلى

٢٣,٧% في نهاية عقد الثمانينيات واكثر هذه البلدان تراجعا نيجيريـــا ١٠٥ ٠م والمكسيك ٨٣ ٠ م وإيـــران ٥٢ ٠م والفليبيــن ٥٩ ٠م وأثيوبيـا ٤٨ ٠م فـــي الثمانينيات ومع هذا فان استربوسيراب Ester Boserup ذكر ســـنه ١٩٧٠ أن تزايد السكان على عكس المعطيات السابقة ينخفض متوسط تكلفـــة الفـرد مــن تجهيزات البنية التحتية ويؤدى لتطوير نمط استغلال الارض ويمثل بافريقيا التـــي اضيرت نتيجة لضعف التزايد السكاني في بعض المناطق بــها وهويؤكـد وجـود علاقة بين النمو السكاني والتنمية الزراعية (٢) وقد أصاب عبد المجيد فـراج (٣) كبد الحقيقة حين ذكر أن المناداة بتحديد النسل أملا في إحداث تقدم اقتصادي فـــي مصر فيه تجاهل لفكره محورية مؤداها أن التقدم الاقتصادي لا يأتى تلقائيا عنــد استخدام وسائل تنظيم الأسرة فالاهتمام بالمعرفـــة التراكميــة ورفـــع المســتوى التكنولوجي وبناء أساس سليم للقاعدة العلمية محليا هو الأساس كما أن الإقـــلال من معدل الخصوبة يتم عن طريق التوعية برفع ســن الــزواج وزيــادة التعليــم وفرص العمل ٠

ونحن نركز في هذا الفصل على أن الظواهر الاجتماعية لا تعمل في فـراغ بل من خلال منظومة اجتماعيه اقتصاديه سياسية وثقافية ٠٠ مـــوارد وامكانـــات مادية وبشريه ومن هنا فانه من العبث أن نضع السياسات السكانية بعيـــدا عــن إطار التنمية البشرية لندرك أن تغيير الاتجاهات السكانية المتصلة بالخصوبـــة أو الهجرة أو الزواج والطلاق ٠٠ أو التعليم والعمل لا يمكن أن يتــم إلا فـــي ظـل منظومة كليه تراعى الاعتبارات المحلية والقومية والدوليــــه ولا يمكــن أن تتـم بالقوانين واللوائح وحدها أو بالقهر والاجبار بل انها تستلزم فتره زمنيه معقولـــه لتعديلها ، ولا يتم هذا مطلقا دون وعى الناس ومشاركتهم الفعاله ومن هنا تكمــن اهميه استعراض الملامح السكانية التي ترتبط بالتنمية البشرية والملامح الأساسية

للحرمان البشرى في مصر في ضوء تقارير التنمية البشرية في مصر لأعوام ١٩٩٦ ثم ٩٨ / ١٩٩٩ حيث اتضح أن مفهوم التنمية البشرية قد دفع الناس في قلب عمليه التنمية وذلك بالانتقال من الوسيلة (النمو الاقتصادي) إلى الغايه (الانسان) ولم يعد ننظر للتنمية بانها مجرد زيادة في الإنتاج في مختلف القطاعات بل مواجهة الفقر الاميه والبطالة وتدهور الخدمات الاجتماعية إذ لابد من التوازن بين الاستثمار البشرى والاستثمار المادى (٤) – واذ ذاك فنحن لسنا بحاجة إلى أن ننادى في الشوارع والازقه باستخدام وسائل تنظيم الاسره ولا أن نضع عقوبات حازمه كمالتتبع في الصين من اجل الحد من الخصوبة السكانية ولا أن نضع اللوائح لمنع الهجرة الداخلية للمدن كما نادى البعض إذ أن تحسين الأحوال المعيشية للفئات الفقيرة والمحرومة وتخفيف الضرر عمن تصيبهم أعاده الهيكلة الاقتصادية والاهتمام بالثروة البشرية من خلال التعليم والتوعية سينصب على تطوير العنصر البشرى بما يمكنه من تحقيق أهدافه الاجتماعية والاقتصادية وانجاح خططه بخصوص للسياسة السكانية ٠

وسنتناول هنا ابرز مجالات التنمية البشرية على ضؤ علاقتها بالسكان والظواهر السكانية ٠

١ – التعليم :–

من المعروف أن التعليم هو الوسيله الرئيسية لبناء القدرات البشرية ويتوقف ذلك على الوعي باهميه التعليم ولذا تعد الاميه التحدى الحقيقى للتنمية المستدامة ويوضح تقرير التنمية البشرية سنه ١٩٩٦ معدل الانتظام المدرسى سنه ١٩٩٥ ومعدل الاميه ومنه نلحظ الفروق بين المناطق المختلفة في مصر بما يوضح دور البيئة في تحسين أو إبطاء هذه المعدلات كما يتضح من الجدول التالي

جـــدول رقـــــم (٤٨)

الانتظام المدرسي سنة ١٩٩٥ ومعدل الاميه سنة ١٩٩٦

المنطقة	الانتظام المدرسة ١٩٩٥	معدل الاميه ١٩٩٦
إجمالي الحضر	٨٨,١	٢٦,٦
إجمالي الريف	٧٣,١	٥٦,٩
حضر الوجه القبلي	٨٩,٥	٢٨,١
حضر الوجه البحري	٨١,٢	٥١,٠
ريف الوجه القبلي	٨٧,٤	٣١,٦
ريف الوجه البحري	٦٣,٧	٧٤,٧

المصدر : معهد التخطيط القو مى مصر – تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ ص ٣ ٠

ومن الواضح هنا أن إجمالي الحضر يحظى بنسبه اكبر للانتظام المدرسى تصل إلى ٨٨,١ مقابل ٧٣,١ لإجمالي الريف وتقل نسبه الانتظام في ريف الوجـه البحري ٠

أما بالنسبة لمعدل الاميه فان أعلى النسب توجد كذلك في ريـف الوجـه البحري (٦٤,٧ %) وتتضح الفجوة الكبيرة في معدل الاميه بين إجمالي الحضـر ٢٦,٦ بالمقارنة بإجمالي الريف ٥٦,٩ وهو ما يلفت النظر للـدور الـذي تلعبـه المناطق الحضرية في تشجيع التعليم ومحو الاميه ويحث الدولة والهيئات المعنيـة على حفز السكان في ريف الوجه البحري على تعليم الأبناء ٠ وتفصح البيانـات المرتبطة بنسبه القيد في مراحل التعليم المختلفة عن التغيير النسبي فـي بعـض

المستويات بمقارنه سـنوات ١٩٩٤ و ٩٨ / ١٩٩٩ بحسـب مـا يتضـح فـي الجـدول التالي :

جـدول رقـم (٤٩)

نسبه القيد في مراحل التعليم المختلفة سنة١٩٩٤ ، ١٩٩٨ ، ١٩٩٩

المستوى	السنـة	
	١٩٩٤	١٩٩٨ / ١٩٩٩
المرحلة الابتدائية	٩٥,٨	٩٣,٧
المرحلة الإعدادية	٧٨,٦	٨٥,٩
المرحلة الثانوية	٥٤,٧	٤٧,٥
التعليم العالى	١٤,٥	٢٩,١

المصدر : تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ ص ١٣٠ ، تقرير التنمية البشـرية ٩٨ / ١٩٩٩ ص ١٣٧ .

والملاحظ هنا انخفاض القيد في مرحلة التعليم الابتدائي خـلال السـنوات المذكورة ٩٥,٨ إلى ٩٣,٧ والثانوي ٥٤,٧ إلى ٤٧,٥ الواقع أن النفقات التـي تدفعها الأسرة نظير الدراسة والدروس الخصوصية مع انخفاض مستوى المعيشـة يجعل الفقراء يفضلون اشتغال أولادهم بالحرف المختلفة للحصول على أجورهـم وتمكين أسرهم من سد حاجاتها الضرورية وهو ما يتضح بصـورة خاصـة فـي المرحلة الثانوية بينما ترتفع النسب في المراحل الإعداديـة والتعليـم العـالي ، ولاشك أن التسرب من التعليم يعد ظاهرة خطيرة إذ انه فضلا عن تأثيره على جيل الأطفال الصغار يؤدى إلى تدنى الخصائص الاجتماعية للجيل الجديد .

وتوضح بيانات تقرير التنمية البشرية لعـام ١٩٩٨ / ١٩٩٩ أن الأنثـى تعانى من الحرمان من تكمله تعليمها عادة إذ يضحى بها لصالح الذكر في الأنثـى إذ تصل أعلى نسبة للإناث اللاتي حصلن على مؤهل ثانوي أو أعلي سنة ١٩٩٦ في محافظة بور سعيد بنسبه تصل إلى ٤٣ % بينما تصـل إلـى ٢٤,٤ % فـي الدقهلية و ١٦,١ % في البحيرة و ١٣,١ في المنيا و ١١,٢ % في سـوهاج و ١٠,٤ % في قنا ،

وهكذا تعكس البيئة بمفاعلها الاقتصاديـة والاجتماعيـة والثقافيـة دور المجتمع المحلى والأسرة في تحسين الأوضاع التعليمية أو عـدم تحسـين هـذه الأوضاع والسكوت عن تسرب الأبناء من التعليم أو دفعهم دفعا لذلك ،

٢ - الأوضاع الاقتصاديـة :-

تصل قوه العمل (١٥ سنة فاكثر) كنسبه مئوية من إجمالي السكان سـنة ١٩٩٦ إلى (٢٩,١) على اعتبار أن ٣١,٧ % فـي المحافظـات الحضريـة و ٣٠,٢ % في الوجه البحري (٣٢,٢ للحضر ، ٢٩,٤ للريف) و ٢٦,٢ % فـي الوجه القبلي (٣٠% للحضر ، ٢٤,٥ للريف) و ٣٣,٥ % لمحافظات الحدود ،

ومن الواضح أن ريف الوجه القبلي هو اكثر المناطق التـي تقـل فيـها معدلات القوه العاملة إذ أن قلة فرص العمل تجعل الشباب ينزح للمـدن الكـبرى للعمل بها ،

والجدول التالى (رقم ٢٨) يوضح معدلات المشاركة في القوه العاملـــة والحاله التعليمية بحسب النوع وذلك خلال سنة ١٩٩٧ / ١٩٩٨ ٠

جـــدول رقم (٥٠)

المشاركة في قوه العمل ٩٧ / ١٩٩٨

مستوى التعليم	ذكور	إناث
الأميون	٨١,٧	١٤,٦
الإلمام بالقراءة والكتابة	٥٥,٧	٦
التعليم الأساسي	٢٨,٨	٣
الثانوي	٧١,٢	٤٦
فوق المتوسط	٨٨,١	٦٧,١
جامعي	٩,٥	٧٣,٨
المجموع	٧٢,٦	٢٢,٢

المصدر : تقرير التنمية البشرية ٩٨ / ١٩٩٩ – ص ٩١ ٠

يتضح من هذا الجدول أن النسبة الأكبر للقوه العاملة من الذكـــور ٧٢,٦ مقارنة ب ٢٢.٢ % من الإناث فما زال المجتمع يعتبر الرجل هو المسئول عـــن إعالة الأسرة كما أن الأنثى لازالت تفضل العمـــل بمـــهن الخدمـــات (طبيبـــة – ممرضة – مدرسة – أخصائية اجتماعية – محاسبة الخ ٠٠)

وفوق كل ذلك فان مراحل التعليم المتوسط وفوق المتوسط أما بالنسبة للمذكور فان أعلى المعدلات توجد في مستوى التعليم فوق المتوسط فضلا عن الشرائح التي لم تنل حظا من التعليم .

وقد اتضح أن أعلى المعدلات تقع في المرحلة العمرية ٢٥ : ٥٠ سنة واقلها في المرحلة من ٦٥ سنة فاكثر كما أن الريف بحكم زيادته سكانه يستحوذ على القدر الأكبر من القوه العاملة (٤٩,٧ %) مقارنه و ٤٥,٨ % للحضر .

أما بالنسبة لمعدلات البطالة فقط بلغت ٨,٧ سنه ١٩٩٦ في الحضر و ٩,١ في الريف واعلى النسبة في حضر أسوان ١٤,٧ واقلها في جنوب سيناء ١% .

وقد قدرت نسبة من يعملون بالمهن الفنية والعلمية في مصر سنة ١٩٩٥ بـ ١٥,١% وكان النصيب الأكبر للمحافظات الحضرية حيث توجد مراكز البحوث والجامعات والهيئات العلمية في القاهرة والإسكندرية بصفة خاصة بينما انخفضت نسبه من يعملون في هذا المجال في محافظات الوجه البحري والقبلي ، ونسبة الإناث هنا منخفضة كذلك إذ تبلغ ٢٨,٤ % من إجمالي القوه العاملة المشار إليها .

وقد ارتفعت هذه النسب في مصر سنة ١٩٩٧ / ١٩٩٨ فبلغت النسبة الاجمالية ٢١,٢ % وارتفعت مشاركة الإناث كذلك في هذه النسبة .

والملاحظ أن الإناث في قوه العمل (من الإجمالي) قد انخفضت كذلك بين ١٩٩٥ ، ١٩٩٦ .

أما عن الأجور فان نصيب الفرد من الدخل بالجنيه بلغ ٣٤٦١ في سنة ١٩٩٤ ، سنة ١٩٩٥ بينما ارتفع إلى ٤٨٢٢ في ١٩٩٨ / ١٩٩٩ كما ارتفع نصيب الفرد من الناتج المحلى الإجمالي (بالجنيه) من ٩٤ / ١٩٩٥ إلى ٩٨ / ١٩٩٩ بمقدار ٣٩% وهو ما يعنى كذلك ترشيد السياسات الاقتصادية والتحسين الملموس في مستوى المعيشة خلال هذه الحقبة .

٣ - الصحة :-

شهدت الرعاية الصحية اهتماما ملموسا ففى سنة ١٩٨٢ كان عدد الاطباء لكل ١٠٠٠٠ نسمه ٥,٤ ارتفع إلى ٦,٥ سنه ١٩٩٤ ثم ٦,٩ سنة ١٩٩٨ بينما ارتفعت نسبه الممرضات من ٩,١ إلى ١١,٦ خلال هذه الفترة بينما انخفض معدل وفيات الامومه لكل ١٠٠,٠٠٠ مولود حي من ١٧٤ في سنة ١٩٩٢ ، ٩٦ في سنة ١٩٩٨ ، ووفيات الأطفال الرضع لكل ١٠٠٠ مولود من ٣٨ في سنة ١٩٩٣ إلى ٣٢ في سنة ١٩٩٨ ووفيات الأطفال دون الخامسة لكل ١٠٠٠ مولود من ٩٥ في سنة ١٩٩٥ إلى ٤٢ في سنة ١٩٩٨ ، وارتفع توقع الحياة سنة ١٩٩٨ إلى ٦٨ سنة بعد أن كان ٦٧ سنه سنة ١٩٩٣ ويبلغ عدد السعرات الحرارية للفرد يوميا سنة ١٩٩٦ في المتوسط نحو ٤٢٥٨ بعد أن كان ٣٧٠٠ في سنة ١٩٩١ ومع انها دلالة طيبه إلا أن نوعية الغذاء ينبغي أن تؤخذ في الحسبان ومع هذا فان ١٣ % من الأسر خلال سنة ١٩٩٩ مازالت محرومة من المياه النقية ومعظم هذه الأسر تعيش في محافظات الشرقية والمنوفية

وبنى سويف والمنيا وسوهاج وقنا ومرسى مطروح فضلا عـن شـمال وجنـوب سيناء ٠

كما أن بعض الأسر في محافظات الوجه القبلي لازالـت محرومـة مـن الصرف الصحي سنة ١٩٩٩ وهى تعيش في بنى سويف والفيوم والمنيا واسـيوط وسوهاج وقنا وأسوان ومرسى مطروح وجنوب سيناء ٠

ولا يخفى الآثار الصحية المدمرة التي تترتب على الحرمان مـن الميـاه النقيه والصرف الصحي ٠

ويوضح الجدول التالي هذه الحقيقة باستعراض مؤشرات الحرمـان مـن المياه النقية والوفيات دون سن الخامسة فضلا عن معدلات نقص التغذية بالنسـبة للأطفال سنة ١٩٩٥ وهو ما يتصل اتصـالا وثيقـا بـالفقر وسـوء الأوضـاع المعيشية ٠

جـدول رقـم (٥١)

المنطقة	سكان بدون مياه نقية	وفيات دون الخامسة	الأطفال ناقصو التغذية
اجمالى الحضر	٣,٥	٦٤,٥	٩.٩
اجمالى الريف	٣٠,٦	١١٦	١٤,١
حضر الوجه القبلي	١,٨	٥٠,٣	٨.٨
حضر الوجه البحري	٢٠,٢	٨٩,٦	٩.٩
ريف الوجه القبلي	٩,٣	٩٠,٣	١١
ريف الوجه البحري	٤٤,٢	١٤٢,٨	١٧,٨

والملفت للنظر هنا ارتفاع نسبة الأسر المحرومة من المياه الامنـــة فـــي الريف عموما وريف الوجه البحري خاصة الذي تحرم ٤٤ % من الأسر فيه مـــن المياه النقية ويظهر هذا في وجود اكبر معدلات لوفيات الأطفال دون الخامسة فـــي هذه المناطق كما أن نقص التغذية الناجم من سوء الأوضاع الحياتية للاسر وتدنى الوعي تتمثل أعلى معدلاته في الريف عموما وفى ريف الوجـــه البحـــري بصفـــة خاصة ٠

٣ - الإسكـــــــان :-

ولا تنفصل مؤشرات التنمية البشرية عن توفر المسكن الصحي بمرافقـــة التي تلبى احتياجات الاسره في المناطق الريفية والحضرية ٠

والامر الملفت للنظر في بلدان العالم الثالث ظاهره التدهـــور الحضـــري ويذكر الحسينى (٦) أن التدهور الحضري في الإحياء المتخلفة بمدن الدول النامية قد أدى إلى ظهور أنماط جديدة من السكن العشوائي لم تكن مألوفة من قبل وهـــذه الأحياء تضمن الفقراء واصحاب المهن الهامشية والكثير من هذه المنـــاطق يقـــع على تخوم المدن ويقوم الأفراد بوضع اليد على مساحات صغيره ويقيمون فوقـــها مأوى لهم يبنونه من مواد مؤقتة وسريعة في العادة ولا شك أن هذه المناطق تعـد تحديا في وجه التنمية المستدامة ، وقد سبق أن ذكرنا أن الوجـــه البحـــري كـــان يستأثر في سنة ١٩٨٦ على ٣٦,٨ % من مجموع الوحدات السكنية في مصـــر يلية الوجه القبلي ٣٨% ثم المحافظات الحضريـــة ١٨,٨ % وقـــد اورد تقريـــر التنمية البشرية سنة ١٩٩٦ حصرا بمناطق الإســـكان غـــير المنظـــم (الإســـكان العشوائي) في محافظات مصر في علم ١٩٩٣-بحسب ما يتضح بالجدول التالى :

جـــدول رقـــم (٥٢)

المحافظة	عدد سكان العشوائيات	% مجموع سكان الحضر	ع. المناطق العشوائية
القاهرة	٢٩٦٣	٣٠,٢	٧٩
الجيزة	٢٢٥٩	٥٠,٣	٣٢
القليوبية	١٣١٤	٣٦,٨	٤٢
الإسكندرية	٩٣٨	٣٠.٨	٦٩
البحيرة	٤٣٠	٢٨,٦	٨١
مطروح	٦٥	٣٢,٣	٢٦
المنوفية	١٤٨	٣٧	٥٣
الغربية	٤٤٤	١٢,٨	٤٧
كفر الشيخ	٢٠٩	٤١,٤	٤٥
دمياط	١٧٣	٥٩,٢	٧٨
الدقهلية	٤٤٤	٢٣,١	١١٢
جنوب سيناء	٨	٢٩	١٢
بورسعيد	٧١	١٤,٧	٧
الاسماعيلية	١٤٩	٣٩,٧	١٧
السويس	٤٦	١١,٥	١٥
الشرقية	٢٢٥	٢٩,٩	٦٦
بنى سويف	٥٠٦	٤٦,٥	٥٢
الفيوم	١٨٢	٤٢	٢٨
المنيا	٣٥٧	٤٦,٩	٣٠
أسيوط	٤٤٤	٦٣,٢	٨٤

المحافظة	عدد سكان العشوائيات	% مجموع سكان الحضر	ع. المناطق العشوائية
البحر الأحمر	٥٠	٤٢,١	٢٦
قنا	٢٤١	٤٥,٩	٦٦
سوهاج	٣٤٨	٥٣,١	٦٥
اسوان	٢٤٢	٥٧,٣	٣٣
الاجمالى	١١٧٩٦		١١٦٥

المصدر : تقرير التنمية البشرية - ١٩٩٦ – ص ٥٤ .

ويفصح هذا الجدول عن ارتفاع عدد سكان العشوائيات في مصر إذ يبلـغ الإجمالي ١١,٨ مليون نسمه أي أن اكثر من ٢٠% من مجمـوع سـكان مصـر يعيشون في مناطق الإسكان غير العشوائي نتيجة لعدم التخطيط والبناء العشـوائي في المناطق المختلفة دون الحصول على ترخيص رسمي في معظم هذه المنـاطق العشوائية غير قانونية .

ويوضح المسح الديموجرافى الصحـي سـنه ١٩٩٥ أن متوسـط عـدد الأشخاص في الغرفة الواحدة قد بلغ ٢,٥ في المناطق الحضرية وان نسـبة ٤٨% من الأسر في هذه المناطق تعانى من فقر الإمكانيـات الصحيـة وخاصـة دورات المياه كما أن الكثير من الأطفال يحرمون من التعليـم الابتدائـي كمـا أن نسـبة التسرب تزيد عن ٢٠% .

والنسبة الاكبر من سكان المناطق العشوائية يتركزون في القاهرة بنسـبة ٢٤,٨% يعيشون في ٧٩ منطقة عشوائية وهى نسبة مفزعه توضح لنـا مـدى تعقد المشكلة وصعوبه حلها ويليها محافظة الجيزة التي تستحوذ علـى ١٩,٢%

من مجموع سكان العشوائيات يعيشون في ٣٢ منطقة ويشكلون اكثر من نصف سكان الحضر بالمحافظة ثم القليوبية التي تستحوذ على ١١,١% من مجموع سكان العشوائيات يعيشون في ٤٢ منطقة عشوائية .

ويعنى هذا أن ٤٥% من سكان العشوائيات يتركز معظمهم في القاهرة الكبرى حيث تقابلنا الازدواجية الحضرية والثقافية والاقتصادية والعمل بالقطاع غير الرسمي In Formal sector ومعظم السكان هنا تعد شرائح نازحه من الوجهين البحري والقبلي حيث تتدنى الظروف والأحوال المعيشية وتسوء الاحوال المتصلة بالسكن والرعاية الصحية والتعليمية وتزداد في المقابل معدلات الخصوبة وتنتشر البطالة والبطالة المقنعه فضلا عن الفقر والإدمان والجريمة * في هذه الاحياء المتخلفة Slums .

وتستحوذ الإسكندرية على اقل من مليون نسمه بقليل سنه ١٩٩٣ يعيشون في العشوائيات بينما تستحوذ الدقهلية وكذلك الغربية على ٤٤٤,٠٠٠ لكل محافظة .

أما بني سويف فان ٥٠٦ آلف يعيشون في احياء عشوائية بنسبة تصل إلى ٤٦,٥% من حجم سكان الحضر وكذلك أسيوط ٤٤٤ آلف أي بما يوازى ٦٣,٢% من مجموع سكان الحضر بالمحافظة والمنيا يعيش ٣٥٧ آلف نسمه

(*) قام الباحث خلال شهر يناير ٢٠٠٢ بدراسة للأسر في حي منشية الصدر الذي يمثل منطقة عشوائية في مدينة القاهرة واتضح من البيانات الأولية زيادة حجم الأسرة وسوء الأوضاع السكنية وعدم وجود مستشفى أو مكتب تلغراف أو مدارس ثانوية وتنتشر في المقابل البطالة والإدمان ويتدنى الوعي الاجتماعي والثقافي .

في مناطق عشوائية وتصل النسبة إلى ٤٦,٩% من مجموع سكان الحضر بل أن ٥٩,٢ من سكان حضر دمياط و ٥٧,٣% من سكان حضر اسوان و ٥٣,١% من سكان حضر بسوهاج يعيشون في مناطق عشوائية ولنا ان نتصور حياة الطفل والشاب والفتاة في بعض هذه الأحياء حيث توجد العشش والبيوت المشيدة من الحجارة والصفيح ، وما لنا نذهب بعيداً وهناك الآلاف يعيشون مع الموتى في مقابر العاصمة ويعني هذا ببساطه أن هذه التحديات يمكن أن تجسد سوء أوضاع السكان في بعض المناطق وتؤثر البيئة بشكل حاد على سكان هذه المناطق ٠

٥] الاتصال والإعلام :

تفصح النتائج المستقاة من تقرير التنمية البشرية أن توزيع الصحف اليومية لكل ١٠٠٠ أسرة وأجهزة الهاتف والتردد على دور السينما والمسارح والمتاحف لكل ١٠٠٠ شخص قد تغيرت نسبتهم من سنه ١٩٩٤ إلى سنه ١٩٩٦/سنه ١٩٩٧ بحسب الجدول التالي (٣١) ٠

جدول رقم (٥٣)

الوسيلة	السنة	%	السنة	%
الصحف	١٩٩٤	٤٢,٥	١٩٩٧	٣٩
الهاتف	١٩٩٤	٢٠٠	١٩٩٧	٢٦٦
التردد على دور السينما	١٩٩٤	٢٢٣	١٩٩٧	١٧٣
التردد على المسرح	١٩٩٤	٣٩	١٩٩٦	١٩
التردد على المتاحف	١٩٩٤	٨٥	١٩٩٦	٩٥
سيارات الركوب	١٩٩٣	٢١	١٩٩٨	٣٠

المصدر : تقرير التنمية البشرية سنه ١٩٩٦ ص ١٣٣ وتقرير التنمية البشرية ١٩٩٩/٩٨ ص ١٤٠ ٠

والملاحظ هنا انخفاض نسبة من يقبلون على قراءه الصحف من ٤٢,٥ إلى ٣٩% وكذلك التردد على السينما ١٧٣/٢٢٣ والمسرح من ٣٩ إلى ١٩ بينما ازداد الإقبال على اقتناء الهاتف من ٢٠٠ إلى ٢٦٦ والتردد على المتاحف ٨٥ إلى ٩٥ ، وسيارات الركوب من ٢١ إلى ٣٠ لكل ١٠٠٠ والمشكلة هنا أن الصحافة والمسرح يعبران عن رعاية المناخ الثقافي وتوفر المقابل المادي الذي يسمح بالمداومة إذ نحن في بداية الألفية الثالثة حيث تثار قضايا العولمه والهوية الثقافية .

كما أن هذه الوسائل الجماهيرية هى التي تشكل وعى الجماهير ، وقد اقبل الناس على اقتناء التلفزيون إذ بلغ معدل الأسر التي لديها تلفزيون سنه ١٩٩٥ ٦٨,٨ ارتفع إلى ٨٩,٤ سنه ١٩٩٩ وهو ما يوضح التأثير الفعال الذي يمكن أن تلعبه الشاشة الصغيرة في بلورة الوعي الجماهيري وهو ما يضع مسئوليات جمة أمام الدولة ووزارة الثقافة والهيئات المعنية للتأثير في الوعي الجماهيري بالاستعانة بالخبراء في مجال العلوم الإنسانية والإعلام .

٦] المـــرأة :

يفصح الدور الذي تلعبه المرأة في المجتمع عن مدى الوعي الذي يمكن أن تعكسه على اطفالها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية إذ أن دورها يتلخص في معظم البلدان العربية في تنشئة الأطفال والاهتمام بشئون المنزل فحسب ويقلل هذا من جدوى مشاركتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية (٧) .

والواقع أن مصر منذ تاريخها القديم في عصر الفراعنه إلى الحقبة الاقباطيه فالاسلامية لم تعرف دوينه النساء إلا في عصور التقهقر الاجتماعي والثقافي كمرحلة الاحتلال العثماني وحين قامت الثوره بنهضتها البنيوية الشاملة في الخمسينيات شاركت المرأة تدريجيا في النهضة الشاملة للمجتمع ٠

وقد اوضحت البيانات الخاصة لسنه ١٩٩٩/٩٨ اننا إذا استعرضنا نسبة الإناث – كنسبة مئوية من الذكور لوجدناها قد بلغت في الابتدائي ٨٤,٥ (مقارنة بـ ٦٢% في سنه ١٩٦١/٦٠) ٠

وفى الإعدادي ٨٤,٨% وفى الثانوي ٨٥,٩% وفي المرحلة الجامعية ٧٦,١% من اجمالى الذكور ومن المعروف أن نسبة الذكور للاناث ٥١% / ٤٩% وهذا يعنى أن الفتاه قد أصبحت تأخذ نصيبها عادة من التعليم دون أن ننكر أن الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية للأسرة والعادات والتقاليد في بعض المناطق الريفية والصحراوية وفي بعض الأحياء العشوائية في أطراف المدن تلعب دورا في الإقلال من أهمية تعليمها وبخاصة بعد مرحلة التعليم الأساسي ، وقد ارتفع العمر عند الزواج الأول للأنثى فوصل إلى ٢٣ سنه خلال عام ١٩٩٨ وان كانت نسبة الإناث في قوة العمل في سنه ١٩٩٦ قد انخفضت عن سنه ١٩٩٣ ٠

وربما أمكن أن نناقش بعض التحديات التي تواجه المرأة حين نتناول المؤشر المتعلق بالفقر في تطوير التنمية البشرية التي عرضت لظاهرة تأنيث الفقر ٠

٧] الفقـــــــــر :

يتناول خبراء التنمية البشرية الفقر ليتناول فقر القدوره ومفـهوم الحرمان البشرى باعتبار أن الفقر يعد ظاهرة متعـــددة الأبعـــاد فـــالفقر يتجاوز عدم توافر الضرورات اللازمة للرخاء المادى إذ أن الحرمان مـــن الفرص ومن القدره على الاختيار ومن العمر الطويل والابـــداع والحيـــاه الكريمه والاحترام المتبادل مع الغير يعد اوسع مدى من مجرد عدم كفايـــة الدخل .

ومن الواضح أن تأثير الإصلاح الاقتصادي في مصـــر ينســحب على الفجوة بين الريف والحضر إذ أن عدم اسراع الدولـــة فـــي بعـض الاحيان لحماية اكــثر الشــرائح هشاشـــه فـــي أوضاعـــها الاقتصاديـــة والاجتماعية يزيد الأمور تعقيدا بمرور الوقت وبخاصة تلك الأسر الفقـيرة التي تعانى من ارتفاع الأسعار وانخفاض الدخل الفعلي والبطالـــة وهـــى الشريحة الأكبر التي لا يصيبها الضرر بمرور الوقت نتيجة لتطبيق برامج الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي منذ بداية التسعينيات .

والجدول التالى رقم (٣٢) يوضح المجموعات الفقيرة في مصـــر ١٩٩٦/٩٥ .

جدول رقم (٥٤)

الشرائح الفقيرة في مصر في الريف والحضر ١٩٩٦/٩٥

طبعة الفقر	مصر	حضر	ريف
الفقراء جميعا	٢٢,٩	٢٢,٣	٢٢,٥
فقراء مدقعون	٧,٤	٧,١	٧.٧
فقراء معتدلون	٢٥,١	٢٦,٩	٢٢,٥
غير فقراء	٥٢	٤٩,٨	٥٥

ويتضـــح من هذا الجدول أن الفقــراء يشــكلون نحــو ربــع السكان في ١٩٩٦/٩٥ غير أن الفقراء لا يشكلون شريحة متجانســـه إذ أن ٧,٤% يشكلون ما يعرف بالفقر المدقع ونسبتهم لمجمـــوع الســكان كبيرة ٠

وقد قدر الفقر في تقرير التنمية البشـــرية ســنه ١٩٩٦ علـــى أساس الإنفاق على الطعام (سله الطعام) وقـــدر علـــى أســاس ١٠٩٨ جنيها مصريا واعتبر من تجاوزوا هذا المبلغ غير فقـــراء بينمــا مـــن يتراوح إنفاقهم بين ٥٩٤ : ٨١٤ فقراء أما من يقل إنفاقهم الفعلي عـــن ٥٩٤ جنيها فانهم فقراء فقرا مدقعا أما من يتراوح إنفاقهم بيـــن ٨١٤ و ١٠٩٨ فهى شرائح الفقر " المعتدل "

ومع اننا لا نوافق على ما يعرف بخط الفقر المطلـــق المتصـل بالقوة الشرائية إلا أن هناك عدة اعتبارات تم مناقشتها في التقرير الـذي سلف الإشارة اليه من حيث مستوى المعيشة وظروف السكن مما ســمح بتصنيف الأسر تبعا للنشاط الاقتصادي ونوع المهنة والارتباط بين الفقـر والامية والاجور المنخفضة والبطالة والتكلفـة التـي يتكبدهـا الفقـراء للحصول على السلع اللازمة بتكلفة اكبر من اقرانهم بل أن السعر الفعلـي للعملة والاسباب الهيكلية والبنيوية للفقر في الريف والحضر لها اعتبارها فقد تربى الأسرة الريفية الماشية والطيـور وتضطلـع النسـاء ببعـض الاعمال الانتاجية كصناعة الجبن والزبد مع تسويقها لهذه المنتجات ممـا ينعكس بصوره ايجابية على وضع الأسرة الاقتصادي كما أن الاجور فـي القطاع غير المنظم في المدينة والمرونه في الدخول فيه والخـروج منـه حيث تسهم النساء الفقيرات في انشطه مختلفة في المجتمع المحلى كبيـع الاطعمه وغيرها لها اعتبارها الهام بصرف النظـر عـن مشـاكل هـذا القطاع ٠

والجدول التالي يتطرق إلى قضية هامة في مجال دراسة الفقـراء من خلال منظور التنمية البشرية وهى ما يعرف باسم فقر القدرات وفقـر الدخل في مصر سنه ١٩٩٥ حيث يتناول قضية الإناث الأميات والـولادات التي تتم دون إشراف طبي ونقص الوزن للمواليد مع الربـط بيـن هـذه المتغيرات المتنوعة التي تعد مصاحبه للفقر ٠

جدول رقم (٥٥)

فقر القدرات وفقر الدخل في مصر سنه ١٩٩٥

المنطقة	الفقراء في الدخل	فقراء في القدرات	إناث اميات	ولادات دون إشراف	ناقصو الوزن
مصر	٢٢,٩	٣٣,٩	٣٥,٤	٥٣,٧	١٢,٥
اجمالى الحضر	٢٢,٥	٢٠,٩	٢٠,٨	٣٢,١	٩.٩
إجمالي الريف	٢٣,٣	٤٣,٠٠	٤٧,٨	٦٧,٢	١٤,١
المحافظات الحضرية	١٦,٠٠	٢٠,١	٢٠,٤	٣٠,٨	٩,١
محافظات الوجه البحري	١٧,١	٣٠,٤	٣٣,٠٠	٤٨,٦	٩,٦
حضر	٢١,٧	١٧,٥	١٨,٨	٢٤,٩	٨.٨
ريف	١٥,٤	٣٥,٠٠	٣٨,٩	٥٦,١	٩.٩
محافظات الوجه القبلي	٣٤,١	٤٤,١	٤٨,٣	٦٧,٨	١٦,١
حضر	٣٥,٠٠	٢٥,٢	٢٤,١	٤٠,٤	١١,٠٠
ريف	٣٣,٧	٥١,٣	٥٩,١	٧٧,١	١٧,٨

المصدر : تقرير التنمية البشرية – ١٩٩٦ – ص ٣٨ ٠

والملاحظ في هذا الجدول في مصر عموما ارتباط الفقر في الدخـــل مـــع الفقر في القدرات مع امية الإناث مع ارتفاع معدل الولادات دون اشراف طبى ومع نقص وزن الأطفال ٠

والملاحظة نفسها تنطبق على إجمالي الريف حيث ترتبط هذه المؤشـرات معاً بما يظهر أن الفقر يتصل بالأمية لا سيما لدى الإناث اللاتي يضحى بـهن أولا للمساعده في أعمال المنزل قبل التضحية بالذكور في مضمار العمل فـي القطـاع غير المنظم ولا يرجع فقر القدرات هنا لنقص في الذكاء بل لقصور فـي تدريـب هؤلاء وصقل مهاراتهم ، ولا تتم الولادات عادة لدى الفقراء تحت إشراف طبـي كما أن تكرر الإنجاب مع الفقر يسمح بإنجاب الأطفال الضعفاء جسمياً .

وتتضح الصورة في محافظات الوجه القبلي حيث ترتفع هـذه المعـدلات بصوره ملفتة للنظر .

وطبقا للمسح الديموجرافى والصحي العام سنه ١٩٩٥ فان نسبة الأسـر التي تعولها إناث قد بلغت ١٢,٦% من إجمالي الأسر ، وفى مسح تقييـم الفقـر الذي اشرف عليه معهد التخطيط القومي بلغت النسبة ١١% كما اتضح أن نسـبة الأسر إلى تعولها الإناث أعلى نسبيا بين الفقراء (١٤% مقابل ١٠% بين غـير الفقراء كما ترتفع النسبة في حضر الوجه البحري إلى ١٦,١% ثـم فـي حضـر الوجه القبلي ١٣,٤% .

واكبر المحافظات من حيث نسبة الفقـراء ١٩٩٦/٩٥ هـي محافظـات أسيوط ٥٣.٤% ثم الفيـوم ٤٠,٦% وسـوهاج ٣٩,٤% وقنـا ٣٨,٣% وهـي المحافظات عينها التي ترتفع فيها معدلات الفقر المدقـع (٢٥,٨ فـي أسـيوط ، ١٥,١% قنا ، ١٤% للفيوم ، ١٢,٥% المنيا ، ١٢,٣% سـوهاج) ولا يخفـى على احد أن هذه المحافظات نفسها والمحافظات التي تبطء فيها عجلـه التنميـة الاجتماعية والاقتصادية ويرتفع فيها معدل البطالة وقد بدأت منها شراره التطـرف

المتسربل بالدين والارهاب الفكرى والعنف الدينى في السبعينيات ، إذ انـــه حيـــن يشعر بعض الفقراء بتهميش التنظيم الاجتماعي لهم يمارسون عنفا على الدولـــــة ومؤسساتها ورموزها فضلا عن الشرائح الأخرى التي يظنون أن بامكانهم احـــراج النظام من خلال ممارسة العنف عليها .

والسؤال الذي يطرح نفسه في نهاية هذا العـــرض للســكان والظواهـــر السكانية على ضوء اتصالها بالتنمية البشرية مؤداة ما هو الحل اذاً ؟

يطرح خبراء التنمية البشرية حلولا جذرية تتصل ببناء مجتمع نشط مـــن خلال الارتكاز على ناتج الثقافة المشتركة والحوار بين الشرائح المختلفة وتعزيـــز العدالة الاجتماعية من خلال اتاحه فرص التعلم والحراك الاجتماعي والقضاء علـــى التفاوت الطبقى .

كما يوصى بالعمل على تحسين انتاجية الفرد من خلال تزويده بالمعرفـــة والمهارات مع استخدام التكنولوجيا المناسبة فـــي الإنتـــاج ، وتطويـــر الطـــرق والأساليب الديموقراطية في المجالات المختلفة وداخـــل المؤسســـات المختلفـــة ، ودعم الإرشاد والتوجيه الاجتماعي مما يتطلب إيجاد ثقافة علمية ومعرفية رشـــيدة يفيد منها المجتمع لتطوير قدراته ودفع عجله التنمية مع الحـــرص علـــى تنميـــة المناطق الريفية .

ويركز تقرير التنمية البشرية الأخير ١٩٩٩/٩٨ علـــى إصـــلاح النظـــام التعليمى فالتطور الاقتصادي والاجتماعي يستلزم تنمية مهارات الأفراد ويكفل لهم الحصول على مواقعهم على خريطه الحياه الاجتماعية .

وينصح التقرير بانه لابد من مواجهة الفقر واثاره الاجتماعية باعتباره ليس تدنيا في الدخل بل حرمان من الاختيارات وفقر في الإمكانات فسكان الوجه القبلي هم اكبر الشرائح المحرومة ولابد من توفير فرص العمل واساليب الرعاية في المجالات المختلفة لتنمية قدرات السكان ودفع عجله التنمية مع الاهتمام الفعلي بالمرأة والطفل وضمان وجود برامج أو شبكات امان فعاله للحد من الفقر تشارك فيها الدولة والجمعيات الاهلية ويشارك فيها الناس انفسهم لمواجهة تأثير السياسات الاقتصادية وبرامج الإصلاح الهيكلى على أن تكون هذه السياسات جزءا من نهج متكامل وليست سياسات مضافة إلى حزمة التكيف الهيكلى حتى يتمكن الفقراء من المشاركة في الأنشطة الانتاجية وتزداد فرصهم للحصول على الرعاية الصحية والتعليمية والثقافية وغيرها من سبل الرعاية إذ أن أليات السوق وحدها تعجز عن تحقيق التنمية البشرية الفعالة في المجتمع ٠

أن المشكلة في التعامل مع الظواهر السكانية هي في النظرة الجزئية التي تقترح زيادة توزيع وسائل تنظيم الأسرة أو تحسين الخصائص السكانية بالاهتمام بتوفير مؤسسات تعليمية أو صحية في المناطق التي تفتقر للخدمه التعليمية أو الصحية وتوفير فرص اكثر للعمل أو رفع الأجور ٠

ونحن لسنا بطبيعة الحال ضد هذه الإصلاحات الجزئية غير أن الامر الذي ينبغي أن يشغلنا هو النظرة الكلية التي تربط السياسة السكانية بمجمل السياسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية والروحية ٠

أن التنمية البشرية هى المدخل الهام للتعامل مع الظواهر السكانية بشرط ارساء المفهوم الذي مؤداه أن الإنسان هو غايه التنمية ووسيلتها في آن واحد

واذا كان الوعي الاجتماعي هو الاساسي في اى سياسه سكانية فان هـذا الوعـــي هو السبيل لمشاركة الناس في رسم سياستهم السكانية بموازره الدولة والـــهيئات الأهلية في المجتمع المدني ٠

أن نظره شاملة للظواهر السكانية في المجتمع ينبغي أن تتم ونحـــن فـــي بداية الألفية الثالثة فالقضايا السكانية ستتأثر بفاعلية بموجات العولمه وتوابعـــها الاقتصادية وإذ ذاك فان الأبعاد المحلية والقومية والعالمية ينبغي أن تؤخــــذ فـــي الحسبان ٠

المصـــــادر

[١] توماس وترو وميشيل اسون – مصير العالم الثالث – ترجمه خليل كلفــت – دار العالم الثالث – القاهرة – ١٩٩٥ – ص ٢٤ : ص ٢٦ ٠

[٢] المصدر نفسه ص ٦٢ ، ص ٦٣ ٠

[٣] عبد المجيد فراج – احوال مصر فىنصف قـــرن – دار ايجـى مصــر – القاهرة – ٢٠٠٠ – ص ٣١٢ : ص ٣٣٠ ٠

[٤] توماس كوترو وميشيل اسون – ص ٢٧ ، ص ٣٤ ٠

[٥] انظر معهد التخطيط القومى – تقرير التنمية البشرية ١٩٩٦ – القـــاهرة ١٩٩٦ – مواضع متعدده

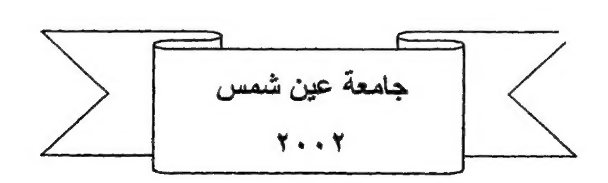
وانظر كذلك للمؤسسه نفسها – تقرير التنمية البشــرية ١٩٩٨/١٩٩٩ – القاهرة ٢٠٠٠ – مواضع متعدده ٠

[٦] السيد الحسينى – المدينة والمجتمـــع – بـدون – القــاهرة – ١٩٩٦ – ص ٢٤١ : ص ٢٤٦ ٠

[٧] حليم بركات – المجتمع العربي في القرن العشـــرين – مركـز دراســات الوحدة العربية – بيروت – ٢٠٠٠ – ص ٣٧٠ ٠

فهـــــرســــت

رقم الإيداع
٢٠٠٢/٧١٧٨




Bibliotheca Alexandrina
0406608